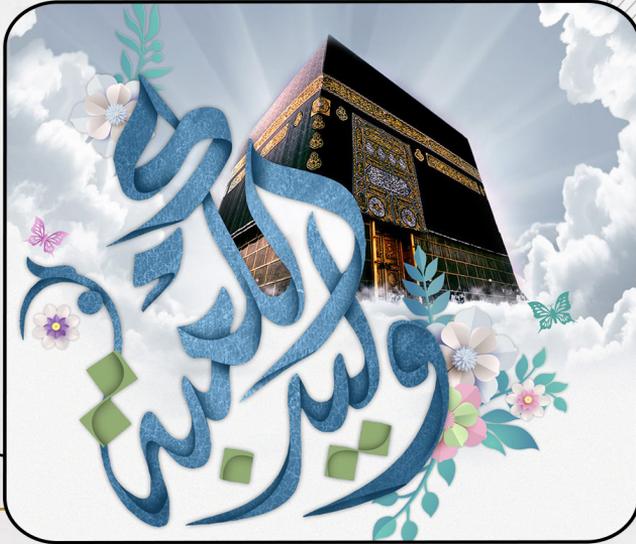


سلسلة زاد المناسبات



زاد المناسبات

الجزء السادس



البحثة والاستشارة التربوية

ميسرة

مناسبات شهر رجب

مركز الإرشاد الأسري/ النجف الأشرف

زادُ المُبلَّغات
الجزء السادس
(مناسبات شهر رجب)

زاد المبلّغات

~~~~~  
كتاب: زاد المبلّغات - الجزء السادس -

تأليف وإعداد: الباحثة مياسة شبع

تصميم: كرار الشمخي، ومياسة شبع

الناشر:

الطبعة:

عدد الصفحات: ٣٣٤

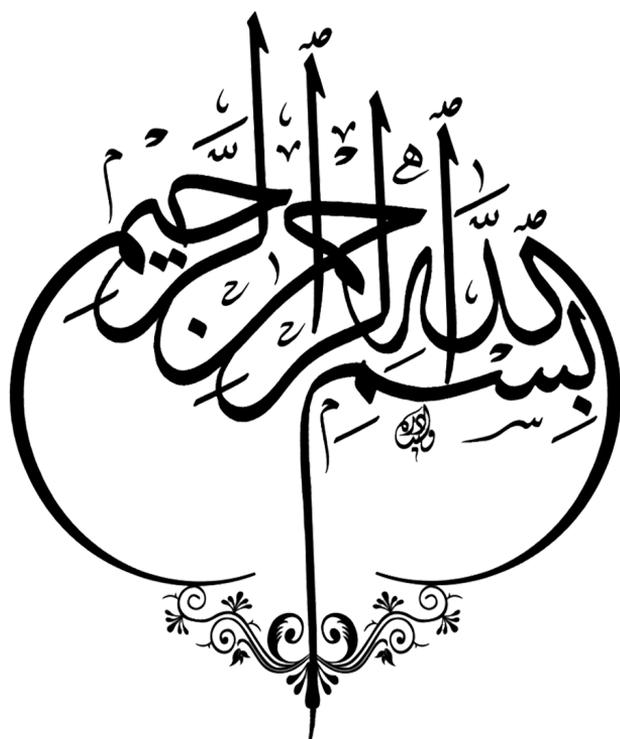
~~~~~  
مركز الإرشاد الأسري / النجف الأشرف

٠٧٨١٥٨٤٠٠٦٠ - ٠٧٨١٥٠٥٤٥٦٤

EMAIL: fgc.najaf@gmail.com

fgc.najaf@outlook.com

تراث النبوغات



فهرس المحتويات

٦ المقدمة
٩ يوم ١ رجب: ولادة الإمام محمد الباقر ﷺ
١١ موضوع المحاضرة(١): مناجم الأسرار في فضل الاستغفار
٣٥ يوم ٢ رجب: ولادة الإمام علي الهادي ﷺ
٣٧ موضوع المحاضرة(٢): تدخل الأهل نعمة أم نقمة؟
٦٣ يوم ٣ رجب: شهادة الإمام علي الهادي ﷺ
٦٥ موضوع المحاضرة(٣): الخُمس، فريضة إلهية
٩٠ يوم ٨ رجب: ولادة عبد الله الرضيع ﷺ
٩١ موضوع المحاضرة(٤): التربية العقائدية
١١٦ يوم ١٠ رجب: ولادة الإمام الجواد ﷺ
١١٨ موضوع المحاضرة(٥): الحب ما بين الجنسين
١٤٥ يوم ١٣ رجب: ولادة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ
١٤٨ موضوع المحاضرة(٦): علي ﷺ كعبة الأحرار
١٧٣ يوم ١٥ رجب: وفاة عقيلة بني هاشم ﷺ
١٧٦ موضوع المحاضرة(٧): الصبر على البلاء
١٩٨ يوم ١٨ رجب: وفاة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ
٢٠٠ موضوع المحاضرة(٨): كشف الكربة عند فقد الأحية
٢٢٤ يوم ٢٥ رجب: شهادة الإمام موسى الكاظم ﷺ
٢٢٦ موضوع المحاضرة(٩): موقف الشهادة يوم القيامة
٢٥١ يوم ٢٦ رجب: وفاة سيد البطحاء أبو طالب ﷺ
٢٥٢ موضوع المحاضرة(١٠): توقير كبار السن
٢٧٣ يوم ٢٧ رجب: المبعث النبوي الشريف
٢٧٥ موضوع المحاضرة(١١): إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
٢٩٥ الهوامش

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين..

تُعَدُّ مهمّة العمل التبليغي من أشرف الأعمال التي تقع على عاتق أهل العلم والإيمان كونها تتحد في جوهرها وماهيتها مع مهام الأنبياء والرسل والأولياء.

وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(١) نجد في كل مناسبة دينية تُستنفر همم الأخوات المبلّغات لأداء واجبهن في نشر العلم والحثّ على العمل الصالح أداءً لهذه المهمة الرسالية العالية، وبالأخص ونحن نعيش في زمن تزداد الحاجة فيه إلى التبليغ؛ لأنّ الإعلام المضاد للدين. والذي تتحكّم فيه القدرات العالمية، وتوظّف فيه أحدث الأساليب والطرق. قد بلغ أقصى مداه، خاصّة وأنّ الكيان الثقافي الإسلامي معرّض لمخاطر معقّدة وجديّة، وفي المواجهة الراهنة سيحدّد إمّا البقاء بعزّ ورفعته الإسلام والمسلمين أو العيش على هامش الثقافات العالمية المنسوخة، وفي هذا السجال ستقرّر رفعة الإسلام والمسلمين، أو ديمومة النذل والانحطاط.^(٢)

وفي إطار مواكبة المبلّغات في عملهن التبليغي الذي يمثل غاية الشرف، ويهدف تأمين مادة ثقافية تُمكن المبلّغة من الاستفادة منها لإحياء المناسبات الدينية، وحرصاً على إرشاد الفرد والأسرة والمجتمع من النواحي التربوية والاجتماعية والإيمانية؛ عمد مركز الإرشاد الأسري في النجف الأشرف، التابع للعتبة الحسينية المقدسة، إلى تأليف كتاب (زاد المبلّغات) والذي يقع ضمن سلسلة (زاد المناسبات) في أربعة عشر جزءاً، وكل جزء سنطرح فيه أبرز المناسبات الدينية لكل شهر وفق التاريخ الهجري، والتي سيتم بيانها بمحاضرة أو الإشارة إليها بشكل موجز بعد ربطها بمحاضرة معينة، وعدد مناسبات كل جزء يتراوح ما بين (١-١٤) مناسبة دينية. علماً أنّ الأخوات غير مقيدّات بطرح المحاضرة لنفس المناسبة المطروحة في الكتاب، بل لهنّ الحرية في ربطها بأي مناسبة دينية أخرى.

ولقد حرصنا على أن تكون مواضيع المحاضرات منتخبة من الواقع الذي تعيشه الأمة (ومقسّمة ومنوّعة حتّى لا تُسبب الملل للمتلقّي، وتكون مناسبة لكافة شرائح الحاضرات والمتلقّيات، ففي اغلب المجالس تحضر الفتاة الشابة والمرأة المسنّة، وهناك مَنْ تحمل شهادة ولديها مستوى ثقافي متوسط أو عالٍ، وهناك مَنْ لا تحمل شهادة، ولربما تكون أميّة، فيتوجّب مراعاة الفوارق الفردية بين صفوف الحاضرات، وهذا ما يُشير إليه النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في قوله: (إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم)^(٣)، فمن ذكاء المبلّغة أو الداعية أن تعرف ما تحتاج إليه المتلقّية من أمور دينية وتربوية وغيرها، فلا تنتظر أن تأتي النساء إليها، بل هي التي تقتحم الميادين)^(٤)، فالمبلّغ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (طبيب دوار بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه.. يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمى، وأذان صم، وألسنة بكم.. متتبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة).^(٥)

أي أن المبلّغة كالطبيب الذي يُعطي مريضه جرعة دوائية مناسبة لنوع المرض، فعلى سبيل المثال: لو كانت أغلب أمراض النساء هي التبرج والسفور، أو التأثير بالفساد الإعلامي فوجب التركيز على تلك المواضيع أكثر من غيرها. وأيضاً الطبيب الماهر هو الذي يُعطي مريضه جرعة دوائية كافية تفي بالغرض دون زيادة أو نقصان، فإذا زادت المحاضرة ربما تسبّب نفوراً ومللاً، وإذا نقصت فسوف تسبّب سوء فهم، أو عدم اكتمال الصورة المطلوبة في ذهن السامعة، ولقد ارتأينا أن نطرح الحد الأعلى، فكانت مُدّة طرح المحاضرة في هذا الكتاب ما بين (٣٥-٥٠) دقيقة، وللمبلّغة الحرية في إيجازها وانتخاب ما تراه مناسباً.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يتقبّل هذا العمل بأحسن قبول وأن ينال رضا قلب صاحب العصر والزمان عج.



١ رجب

ولادة الإمام الباقر عليه السلام

أسعد الله أيامكم

المناسبة

ولادة الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة بقلم حميد حلمي زادة

فَخَرّاً أَزْفُ مِنْ الْبَيَانِ الزَّاهِرِ
 كَلِمَاتٍ وُدٌّ لِلْإِمَامِ الْبَاقِرِ
 فِي يَوْمِ مَوْلِدِهِ الْغَزِيرِ مَبَاهِجاً
 لِلسَّائِرِينَ إِلَى السَّبِيلِ الظَّافِرِ
 لِلطَّالِبِينَ عُلُومِ آلِ مُحَمَّدٍ
 وَالرَّائِبِينَ إِلَى الْعَلِيِّ الْقَادِرِ
 أَهْلاً بِمِلَادِ يُوسُسٍ مَنهَجاً
 فِي كُلِّ عِلْمٍ بِالْذَلِيلِ الْحَاضِرِ
 وَيَكُونُ نَبْرَاسَ الْهَيْدَايَةِ مُفْرِزاً
 صِدْقاً تَمَيَّزَ عَنْ سَقِيمِ خَاسِرِ
 دِرْعُ الْعَقِيدَةِ فِي نِظَامِ نِكَايَةِ
 بِالذِّينِ عَبْرَ مُنَافِقٍ وَمُخَاتِرِ
 فَهَوَ ابْنُ طِهٍ وَالْوَصِيِّ وَفَاطِمِ
 وَوَلِيدِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ الطَّاهِرِ
 وَفَمُ الْحَقِيقَةِ إِنْ أَرَدْتَ حَقِيقَةَ
 وَصَدَقَ الزَّمَانُ لِثَوْرَةِ الْمُتَّصِرِ
 وَأَمِينُ دِينِ اللَّهِ يَنْطِقُ صَادِقاً
 وَوَرِيثُ أَحْمَدَ كَابِراً عَن كَابِرِ
 مَن مِثْلُهُ نَسَباً وَمَجْدَ عَالِياً

جَدَّيْنِ جَادَا بِالرَّبِيعِ النَّاضِرِ
 وَأَبُّهُ هُوَ السَّجَّادُ آيَةٌ رَحْمَةً
 وَابْنُ الْحُسَيْنِ أَبِي الْفِدَاءِ الْبَاهِرِ
 وَالْأُمُّ جَوْهَرَةُ الْإِمَامِ الْمُجْتَبَى
 وَكَرِيمَةَ هِيَ بِنْتُ جُودِ زَاخِرِ
 فَ(مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ) كَنْزُ إِمَامَةٍ
 أُعْطِيَ بِهِ {الْحَسَنَانِ} نَسْلَ أَكْبَرِ
 بَقَرَ الْعُلُومَ عَلَى اقْتِدَارِ كَامِلِ
 وَأَزَاحَ أَوْهَامًا بِعَقْلِ نَائِرِ
 مَخَقَ الطَّغَاةَ بَنِي أُمِّيَّةِ زُمْرَةٍ
 أَلَقُوا بِدِينِ اللَّهِ فِتْنَةَ نَاكِرِ
 قَوْمٌ أَشَاعُوا كُلَّ شَكِّ بَاطِلِ
 لِيَدُومَ سُلْطَانُ الطَّلِيقِ الْجَائِرِ
 لَوْلَا صُؤُودُ مُحَمَّدٍ وَنَفِيرُهُ
 وَعُلُومٌ انْتَصَرَتْ لِذِينِ الْغَافِرِ
 لِأَعَادَ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ «لَاتَهُمْ»
 وَغَزَا دِيَارَ الْوَحْيِ دِينَ الْكَافِرِ
 قَدْ كُنْتَ يَا مَوْلَايَ هَبَّةً صَادِقِ
 وَدَلِيلَ إِيمَانٍ وَنَهْضَةَ نَائِرِ
 وَحَلِيفَ ذِكْرِ اللَّهِ تَطَلُّبُ وَجْهَهُ
 وَمُدِيمَ نَهْجِ خَيْرِ مُتَوَاتِرِ
 وَرَفَدْتَ مِعْوَانًا بِطَوْلَةِ مَا جَدِ
 وَمَجَاهِدِ يَمْضِي لِفَجْرِ زَاهِرِ
 كَلَّتْ حُرُوفِي عَنِ مَدِيحِكَ قَائِدًا
 فَلَأَنْتَ يَا مَوْلَايَ فَخْرُ النَّاضِرِ

المحاضرة الأولى

مناجم الأسرار في فضل الاستغفار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ طه/٢٨.

نبارك لكم حلول شهر رجب المرجَّب أعاده الله علينا وعليكم باليمن والبركات أنه سميع الدعوات.

إن لشهر رجب فضيلةً كبيرةً لكونه يتميز عن غيره بالآتي:

١- شهر رجب الحرام دورة تدريبية ينبغي الاشتراك فيها للاستعداد لشهر الله تعالى.

٢- شهر رجب هو من الأشهر الحرم، ويسمى بالشهر الأصم لأنه لا يُسمع فيه ما يُسمع عادة في الحروب.

٣- شهر رجب عظيم البركة كانت الجاهلية تعظمه وجاء الإسلام بتعظيمه.

٤- شهر رجب يسمى الشهر الأصب لأن الله يصبُّ فيه الرحمة على عباده.^(٦)

٥- لشهر رجب مكانة عظيمة لاشتماله على ذكرى مبعث رسول الرحمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم ومولد ولي الله علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ.^(٧)

ولهذا الشهر الفضيل عدة أعمال عامة منها: الصوم، والصدقة، والصلاة الخاصة، وقراءة الأدعية اليومية، ومنها الاستغفار حتى سمي هذا الشهر بشهر الاستغفار، فقد روي عن الإمام الصادق صَلَّواتُ اللهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: رجب شهر الاستغفار لأمتي، فأكثرُوا فيه

الاستغفار فإنه غفور رحيم. ويسمى رجب الأصبّ لأنّ الرحمة على أمتي تصبّ فيه صبّاً، فاستكثروا من قول: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ. (٨)

وروي عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «مَنْ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي شَعْبَانَ سَبْعِينَ مَرَّةً غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ عَدَدِ النُّجُومِ». (٩)

وروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي رَجَبٍ، اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، وَخْتَمَهَا بِالصَّدَقَةِ، خْتَمَ اللَّهُ لَهُ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَمَنْ قَالَهَا أَرْبَعَمِائَةَ مَرَّةٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ مِائَةِ شَهِيدٍ، فَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لَهُ: قَدْ أَقْرَرْتُ بِمَلَكِي فَتَمَنَّ عَلَيَّ مَا شِئْتَ حَتَّى أُعْطِيكَ فَإِنَّهُ لَا مَقْتَدِرَ غَيْرِي». (١٠)

ولكي نعطي هذا الشهر حقه من الاستغفار لا بد من الوقوف على المعنى الحقيقي للاستغفار ونبين شروطه، والآثار الإيجابية المترتبة عليه والآثار السلبية على من يؤجل ويسوّف في الاستغفار التي سنطرحها في المباحث الآتية:

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: تفسير الآية الكريمة

في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (١١)، يضع الله تعالى أربعة شروط للمغفرة وهي: ١. التوبة، ٢. الإيمان، ٣. العمل الصالح، ٤. الهداية. وإلا إذا الإنسان تاب من الذنب ولكنه غير مؤمن بالله ورسله فلا تنفعه توبته؛ لأن التوبة معناها الرجوع إلى الله وطاعته، فإذا كان لا يؤمن بالله فلا معنى للرجوع إليه، وإذا تاب وآمن ولكنه لا يعمل الصالحات فلا ينفعه إيمانه؛ لأنه مرهون بالعمل الصالح، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن الإيمان ما خلص في القلوب

وصدّقتة الأعمال»^(١٢).

وإذا تاب وأمن وعمل صالحاً ولكنه غير مهتدٍ لطريق أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فلا ينفعه عمله الصالح المشروط بقوله بولايتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

يقول المفسرون: إن كلمة (غفّار) في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾، صيغة مبالغة، وتوحي أنّ الله سبحانه لا يقبل هؤلاء التائبين ويشملهم برحمته مرّة واحدة فقط، بل سيعمّهم عفوه ومغفرته مرّات ومرّات، لذا وجب أن لا نياس ولا نقنط من رحمة الله إذا صدرت منا معاصي.^(١٣)

روي عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لصاحبه: «يا محمّد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله إنّها ليست إلّا لأهل الإيمان، قلت: فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة؟ قال: يا محمّد بن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثمّ لا يقبل الله توبته؟! قلت: فإنه فعل ذلك مراراً يذنب ثمّ يتوب ويستغفر؟ فقال: كلّما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة، وإنّ الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، فإنّك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله»^(١٤).

إن أول شرط للاستغفار الذي تؤكد عليه النصوص الشرعية هو التوبة، ولكن قد يسأل أحدنا قائلاً: **ما الفرق بين الاستغفار والتوبة؟، وكيف يتم كل منهما؟**

الجواب: الاستغفار هو طلب المغفرة، والتوبة هي الندم والرجوع الى الله، ويتم الرجوع بامثال أوامره تعالى، والانتها عن نواهيه.^(١٥)

سؤال آخر: لقد وردت في القرآن الدعوة إلى التوبة النصوح، ما هو المراد من ذلك؟

إن المعنى الشرعي للتوبة النصوح هي التوبة التي لا يعود فيها التائب إلى

الذنب الذي تاب عنه، على ما ورد عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث سئل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن معنى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (١٦)، فقال: «يتوب العبد من الذنب، ثم لا يعود فيه». (١٧)

ولهذا، فإنَّ التوبة النصوح منهج تربوي متكامل، يبدأ بالتخطيط للتوبة إلى إعلانها، إلى تطبيق الخطط العملية للتوبة، وصولاً إلى المراقبة الذاتية، فالمحاسبة اليومية.

وأما إذا قضى مدة من عمره بارتكاب المعاصي ثم اهتدى فيجب عليه أن يحاسب نفسه ليكفر عما مضى من ذنوبه، رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذَكِّرُهُ اللَّهُ الذَّنْبَ بَعْدَ بَضْعِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حَتَّى يَسْتَغْفِرَ اللَّهُ مِنْهُ فَيَغْفِرَ لَهُ». (١٨)

المبحث الثاني: أشكال الاستغفار

إن ارتكاب الذنب يترتب عليه الآتي:

١. تدوينه في صحيفة الفرد، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾. (١٩)

٢. تدوين آثاره، قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾. (٢٠)

٣. نيل غضب الله عليه، قال تعالى في حق العاصي: ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾. (٢١)

٤. لا يستحق الرحمة الإلهية الخاصة؛ لأنها خاصة بالمتقين، قال تعالى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (٢٢)

٥. فضيحة الإنسان بزوال ستر الله عنه، وهو من الآثار المترتبة على الذنوب، لذا من أسماء يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾^(٢٣)، أي أن الأشياء الخفية التي كان الإنسان يسرّها ويخفيها في نفسه عندما كان في الدنيا، من أعماله التي كان يكتمها عن الآخرين، فإنها تكشف وتظهر حين يقف الإنسان للحساب.^(٢٤)

بينما الاستغفار هو الطلب من الله تعالى لرفع الذنب وما يترتب عليه، لذا يمكن تصور العفو الإلهي بعدة أشكال بحسب نية المستغفر وقصده، وهي كالآتي^(٢٥):

الشكل الأول: محو الذنب من صحيفة الفرد المستغفر، فانه من المعلوم بالضرورة إن أعمال الفرد تسجل في صحيفة أعماله إن خيراً أو شراً، وذلك حتى يحاسب عليها يوم القيامة، يوم يخرج الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم.

الشكل الثاني: محو الذنب من صحيفة الفرد المستغفر، وسكون الغضب الإلهي،

فانه المعلوم إن الذنب يغضب الله ويسخطه.

الشكل الثالث: محو الذنب من صحيفة الفرد المستغفر، وسكون الغضب الإلهي، ورجوع الرحمة الإلهية اليه بالالتفاتة الإلهية، فانه من المعلوم إن الله تعالى يصفح بوجهه الكريم عن وجوه المذنبين.

الشكل الرابع: محو الذنب من صحيفة الفرد المستغفر، وسكون الغضب الإلهي، رجوع الرحمة الإلهية اليه، ومحو آثار الذنب إجمالاً، إذ لا يمكن محو آثار الذنب كلياً لأن المذنب سوف يكون بالتأكيد أقل درجة من غير المذنب، أي إن رجوعه إلى حالة ما قبل الذنب وإن كانت ممكنة برحمة الله إذا استغفر بمقدارها، إلا انه لا يخفى إن وقتاً قد ضاع منه في ذلك. وهذا الوقت له قيمة في موازين الأعمال والمفاضلة. ولهذا ورد في السنة الشريفة «إن من قارف ذنباً فارقه عقل لم يعد إليه أبداً» وفي الحديث أيضاً «إن التائب من

الذنب كمن لا ذنب له» ولا يخفى إن المشبه أقل رتبة من المشبه به.. فتأمل.

الشكل الخامس: محو الذنب من صحيفة الفرد المستغفر، وسكون الغضب الإلهي، ورجوع الرحمة الإلهية إليه، ومحو آثار الذنب إجمالاً، وستر الذنوب عنه فوق ذلك.

وبيانه: إن الفرد حينما يقول (اللهم اغفر لي) فإن معنى الغفران هو الستر، والستر الإلهي - هذا - إنما يتصور بأنه محو الذنب وآثاره، ولكن يوجد تصور آخر لهذا الدعاء بالمغفرة، وهو أعمق من السابق وهو أن يقصد الداعي أن يغفر الله ما سبق من ذنوبه بالستر، وأن يغفر أي يستر عنه الذنوب في المستقبل حتى لا يدنو منها ولا يقترفها، حيث ورد في الدعاء عن الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: (اللهم تب علي حتى لا أعصيك) ^(٢٦)... وهذه هي المغفرة الحقيقية التي يجب أن نقصدها في قولنا (اللهم اغفر لي).

وهكذا نلاحظ اختلاف أشكال العفو الإلهي بحسب الاستحقاقات، وكلما كان الاستغفار معمقاً كلما كان العفو أشمل وأعلى. ولا يخفى إن الاستغفار بحد ذاته ذكر يستحق الأجر والحسنات.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على الاستغفار

إنّ للاستغفار والتوبة آثاراً عظيمةً على الإنسان، تؤثر عليه من خلال مجريات حياته، نشير فيما يأتي إلى بعضها:

١. الاستغفار سبب في بث روح الرجاء والأمل في نفس المسلم وإبعاده عن اليأس والقنوط، قال تعالى: ﴿قُلْ يُعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ^(٢٧).

٢. الاستغفار يكشف الهموم والغموم؛ لأنه بالإضافة إلى دوره في بث

الأمل والرجاء فهو يطهر القلب من كل خبث ونجس، قال رسول الله صلى الله عليه واله: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ صِدَاءً كَصِدَاءِ النِّحَاسِ، فَأَجْلُوهَا بِالِاسْتِغْفَارِ» (٢٨)، وهذا التطهير يريح المؤمن ويكشف همومه، قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب). (٢٩)

وقال أيضاً: (من كثرت همومه فليكثر من الاستغفار). (٣٠)

٣. **الاستغفار سبب في نزول الخير والرزق والبركة:** هناك ارتباطٌ قويٌّ بين الاستغفار وبين صلاح المجتمع ونزول البركات والحياة الطيبة، قال تعالى حكاية عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٣١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣٢)

وعن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه واله: من أنعم الله عزّ وجلّ عليه نعمة فليحمد الله، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزنه أمر فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله» (٣٣)

٤. **الاستغفار سبب في دفع البلايا:** روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ادفعوا أبواب البلايا بالاستغفار. (٣٤)

روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إذا ظهر الزنا كثير موت الفجأة، وإذا طفف المكيال أخذهم الله بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركاتهما من الزرع والثمار والمعادن كلها، وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان، وإذا نقضوا العهود سلط الله عليهم عدوهم، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار، وإذا لم يأمرؤا بمعروف ولم ينهوا عن منكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم شرارهم، فيدعوا عند ذلك خيارهم فلا يستجاب لهم». (٣٥)

٥. الاستغفار سبب في طرد الشيطان واحباط مؤامراته، روي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه واله لأصحابه: ألا أخبركم بشيءٍ إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان عنكم كما تباعد المشرق عن المغرب؟ قالوا: بلى، قال: الصوم يسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والموازرة على العمل الصالح يقطعان دابره، والاستغفار يقطع وتينه»^(٣٦) «^(٣٧)

٦. الاستغفار يطيل الأعمار: إن من آثار الذنوب إنها تقصر العمر، لذا نسأل الله في دعاء كميل بأن يغفر لنا الذنوب التي تعجل الفناء، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالأجال، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار».^(٣٨)

وروي في عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: بالأسانيد قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يا علي من كرامة المؤمن على الله أنه لم يجعل لأجله وقتاً حتى يهيم ببائقة»^(٣٩) فإذا هم ببائقة قبضه إليه.

قال: وقال جعفر بن محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ: تجنبوا البوائق البوائق يمد لكم في الأعمار».^(٤٠)

إن من أسباب زيادة العمر صلة الرحم، وبر الوالدين، والاستغفار والتوبة من الذنوب، كما في قصة قوم يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن رأوا علامات العذاب، خرجوا إلى الصحراء مصطحبين أغنامهم وأطفالهم حيث فرقوا بين النساء والرجال وبين الأمهات وأولادها وبين المواشي وصغارها وبكوا وندموا على ذنوبهم وتابوا إلى الله فكشف عنهم العذاب ومد في أعمارهم التي كادت أن تستأصل بالعذاب.

٧. الاستغفار سبب في إجابة الدعاء: قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾^(٤١)، أي أنكم إذا استغفرتم الله وتبتم إليه فإن الله

قريب مجيب لدعواتكم.

هذه هي أهم الآثار المترتبة على الاستغفار، ولقد ذكرنا أن أول شرط للاستغفار هو التوبة، فإذا كانت التوبة نصوح فسوف يترتب على ذلك آثار وثمرات إضافية، خمسة منها تذكرها الآية الثامنة من سورة التحريم، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، التي نستنتج منها الآتي:

الأولى: غفران الذنوب والسيئات.

الثانية: دخول الجنة المملوءة بنعم الله.

الثالثة: عدم الفضيحة في ذلك اليوم العصيب الذي ترتفع فيه الحجب وتظهر فيه حقائق الأشياء، ويفتضح الكاذبون الفجار. روي عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحا أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة قلت وكيف يستر عليه؟ قال ينسى ملكيه ما كتب عليه من الذنوب وأوحى الله إلى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه وأوحى إلى بقاع الأرض اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بالذنوب».^(٤٢)

الرابع: أن نور إيمانهم وعملهم يتحرك بين أيديهم فيضيء طريقهم إلى الجنة.

الخامس: يتجهون إلى الباري أكثر من ذي قبل، ويرجونته تكميل نورهم والغفران الكامل لذنوبهم).^(٤٣)

السادس: إن الأثر الآخر للتوبة النصوح الصادقة هو أن الله سيستبدل سيئاته حسنات، وقد صرح به تعالى في قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا

صَالِحاً فَأَوْلَيْكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴿٤٤﴾

فأي كرم أعظم إلهي من هذا؟!

بقي أن نعرف أن الذي يتوب توبة نصوح بصدق ثم يعود بلحظة ضعف في الذنب لا يعني أنه محروم من التوبة النصوح، فقد روي عن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾»^(٤٥) قال: هو الذنب - أي التوبة من الذنب - الذي لا يعود فيه أبداً، قلت وأينا لم يعد؟ فقال: يا أبا محمد، «إن الله يحبُّ من عباده المفتتين التَّوَابِ».^(٤٦)

المبحث الرابع: الاستغفار الحقيقي

السؤال المطروح هو: ما هو الاستغفار الحقيقي؟

والاستغفار المطلوب ليس هو قول «أستغفر الله» باللسان فقط، وإنما له شروط لا بد وأن تتوفر ليكون الاستغفار حقيقياً وصحيحاً، فالاستغفار اللساني الذي لا تتوفر فيه شروط الاستغفار ليس له أي أثر فعّال، فلا تتحقق التوبة والمغفرة بموجبه، حيث أنّ هذا النوع من الاستغفار يعتبر في نظر الشرع الشريف مجرد لقلقة لسان لا أكثر من ذلك، فلا بدّ أن يكون الاستغفار ناشئاً من ندم العبد الشديد على حياته الماضية التي قضاها في أجواء الانحراف والطاعة للشيطان والأهواء والشهوات بعيداً عن طاعة الحق سبحانه وتعالى، والذي يرافقه العزم بإرادة قويّة وتصميم أكبر على عدم الرجوع إلى ممارسة الذنب وما كان عليه من انحرافات سابقة، فمتى ما كان استغفاره واجداً لهذين الشرطين كان استغفاره حقيقياً، فهذا الاستغفار هو الاستغفار الذي تستتبعه التوبة، والذي أشار إليه الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: (... ومن أعطي الاستغفار لم يحرم من التوبة ...)، وهو الذي أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.^(٤٧)

ولا بدّ أن يراعي المستغفر أيضاً أمرين واجبين عليه وهما:

الأول: أن يحصي الفرائض التي فاتته في وقت انحرافه إلى يوم استغفاره، ويقضي كلّ ما فاته من هذه الفرائض كالصلاة والصيام والحج، ويؤدّي الحقوق المالية كالزكاة والخمس وما لزمه من كفارات، فلا يغني عنها الاستغفار والتوبة، فلا بدّ من أن يجتهد في قضائها وأدائها ولا يترك في ذمته شيء منها.

الثاني: أن يؤدي إلى الناس حقوقهم التي اعتدى عليها أيام انحرافه، وأن يستحلّ من اعتدائه عليهم في أموالهم وأنفسهم وغير ذلك.

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أيّها الناس، إنّ الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، وذنب غير مغفور، وذنب نرجو لصاحبه، ونخاف عليه. قيل: يا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فبينها لنا، قال: نعم.

أمّا الذنب المغفور، فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا، فالله أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين. وأمّا الذنب الذي لا يُغفر، فمظالم العباد بعضهم لبعض، إنّ الله تبارك وتعالى إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه، فقال: وعزّتي وجلالي، لا يجوزني ظلم ظالم، ولو كفّ بكف، ولو مسح بكفّ، ولو نطحة ما بين القرناء إلى الحمّاء، فيقتصّ للعباد بعضهم من بعض، حتى لا تبقى لأحدٍ على أحدٍ مظلمة، ثم يبعثهم للحساب. وأمّا الذنب الثالث، فذنب ستره الله على خلقه، ورزقه التوبة منه، فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربه، فنحن له كما هو لنفسه، نرجو له الرحمة، ونخاف عليه العذاب»^(٤٨).

ينقل أن الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع شخصاً بحضرته يقول «أستغفر الله»، فقال له: (ثكلتك أمك، أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معانٍ:

أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم، حتى تلقى الله أمله ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان، حتى يلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: ان تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية.

فعند ذلك تقول: (أستغفر الله).^(٤٩)

وفي الأمر الخامس والسادس من المعاني التي ذكرها الإمام عليه السلام للاستغفار، يشير إلى أمرين هما أشبه بجبران ما أضاعه الذنب من كونهما شرطين في صحة الاستغفار والتوبة، أحدهما: أن يعيش العبد في خوف دائم لعدم علمه بقبول الله عز وجل لتوبته، خوفاً يصهر كل ذلك اللحم الذي نبت من السحت والحرام، حتى ينشأ ويتكون مكانه لحم جديد من الحلال. والثاني: أن يمارس العبادة والطاعة ويكثر منها لترتفع عن نفسه ظلمة المعاصي وينقشع عنها ذلك التكدر والرّين الذي أصابها بسبب المعصية، فتتنور بنور الطاعة، لما تخلّفه ممارسة الطاعة بشكلها الواسع من ألم للنفس الذي هو نوع من المجاهدة لها، بل هو عقاب لها على ما استأنست به واستلذته من حلاوة المعصية.^(٥٠)

نعم أن هناك أمر أيسر من الاستغفار والتوبة وهو ترك المعصية والخطيئة، فقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «تَرَكَ الْخَطِيئَةَ أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ، وَكَمْ مِنْ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْناً طَوِيلاً».^(٥١)

المبحث الرابع: الحكم الشرعي للاستغفار

إن الاستغفار على قسمين:

الاستغفار بعد كل ذنب، وهو هنا واجب. والاستغفار من غير ذنب، وهو مستحب. ^(٥٢)

ويُعد الإنسان مذنباً، وتجب عليه التوبة، إذا تحققت أربعة شروط:

١- أن يكون المذنب قد بلغ سن التكليف الشرعي؛ لأن غير المكلف ليس مخاطباً بالأحكام الشرعية، وإن ترتب على بعض أفعاله حقوق قضائية، فيما يتعلق بحماية الفرد والمجتمع.

٢- أن يكون المذنب عالماً بحرمة ما ارتكبه من جرم، وما اقترفه من معصية، أي غير جاهلٍ أو مخطئ به.

٣- أن يكون المذنب عاقلاً حين إقدامه على المعصية، وقد ارتكبها بكامل وعيه (أي ارتكبها مع سبق الإصرار).

٤- أن لا يكون المذنب مضطراً إلى ارتكاب المعصية والتلبس بالجريمة ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾. ^(٥٣)

فإذا تمت هذه الشروط في مرتكب الجرم، وقد تلبس به، يصبح مذنباً من جهة شرعية، وتجب عليه المبادرة إلى التوبة. ^(٥٤)

روي عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: « طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَةِ عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ كُلِّ ذَنْبٍ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ». ^(٥٥)

قد يرد هذا السؤال: لقد ذكرنا أن الاستغفار من غير ذنب مستحب، فما فائدة الاستغفار من غير ذنب؟

إن رب العالمين يحب أن يرفع من درجة العبد بطريقتين:

الطريق الأول: السبب الداخلي. أي يكون هو السبب في رفع الدرجات، وذلك بالاستغفار. فالذي يستغفر ربه من غير ذنب، رب العالمين يرفع من درجاته؛ لأنه لم يذنب ويستغفر. أما إذا أذنب واستغفر؛ فإنه يحط عنه السيئات. فالاستغفار من غير ذنب، يكون رفع درجات، لا كفارة سيئات.

الطريق الثاني: السبب الخارجي. إذا لم يستغفر الإنسان، يصب عليه البلياء والمصائب؛ ليرفع من درجاته. فأيهما أفضل: رفع الدرجة بالاستغفار، أم رفعها بالمحن؟ المؤمن دائماً يسأل الله -عز وجل- العافية، فيقول: (يا ولي العافية! نسألك العافية) والدليل على ذلك هذه الرواية: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ -في حديث- قال: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يتوب إلى الله ويستغفره، في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب. إن الله يخص أوليائه بالمصائب؛ ليوجرهم عليها من غير ذنب».^(٥٦)

إذن، فالمصائب والاستغفار كلاهما طريقان للأجر، والقرب إلى الله عز وجل وهناك محطتان للاستغفار: محطة نهائية، ومحطة ليلية. المحطة النهارية: بعد صلاة العصر، حيث منتصف النشاط النهاري، يستحب الاستغفار بعد صلاة العصر سبعين مرة. والمحطة الليلية: تكون في صلاة الليل، وكذلك يستحب الاستغفار سبعين مرة ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٥٧)، فالمؤمن الذي يستغفر بعد صلاة العصر مرة، وبعد صلاة الليل مرة؛ هذا يعد من المستغفرين كثيراً.^(٥٨)

المبحث الرابع: إياك وتسوية التوبة!!

إنَّ بعضهم يرى أنه ما دام باب الاستغفار والتوبة مفتوحاً فلا داعي للعجلة والإسراع إليهما، وما دام في العمر متسعٌ فله أن يأخذ نصيبه من متع الدنيا وزينتها، ويعمل على إشباع غرائزه وشهواته من الطرق المشروعة وغير المشروعة، ثم عندما يتقدم به العمر ويصل إلى مرحلة الشيخوخة سيرجع إلى ربّه مستغفراً تائباً، طالباً منه العفو والصفح، فنقول له:

١. من يضمن لك أن تعيش إلى أن تصل إلى هذه المرحلة المتقدمة من العمر؟!، هل أخبرك ملك الموت بأنك ستموت في سن الشيخوخة وليس في شبابك؟

إن الإنسان العاقل هو الذي يستثمر فرصة حياته في الاستغفار والتوبة قبل أن يموت فجأةً فيصيح ويصرخ قائلاً: ﴿... رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ...﴾ ^(٥٩) ولكن هميات، حيث لا رجوع ﴿... كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ^(٦٠).

٢. من يضمن لك أن تُوفق للتوبة إذا ما سوّفتها؟، فأن من آثار الذنوب -إذا ارتكبت بشكل واسع وكبير- أنّها تشكل حاجزاً ومانعاً عن الرجوع إلى خطئ الاستقامة؛ لأنها تؤثر على صفاء نفسه ونقائها إلى أن تصل بها إلى الحالة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة المطففين، الآية ١٤: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، فليس المراد بالقلب في هذه الآية هو العضو الموجود في القفص الصدري، والذي يضح الدم إلى جميع أجزاء الجسم، بل المراد به النفس الإنسانية التي تمثل الجانب المعنوي من الإنسان، فتصاب النفس بسبب كثرة ممارستها للذنوب بالصدأ والرّين، وحينها لا تحدّث الإنسان نفسه بالاستغفار والتوبة والرجوع إلى خطئ الاستقامة، فيستمر في خطئ الانحراف، بل يصل الأمر ببعض المذنبين المنغمسين في فعل المعاصي إلى درجة أنّهم لا

يتأثرون بالموعظة والنصيحة، وبعضهم تصل بهم إلى مرحلة خطيرة جداً، بحيث أتهم يرفضون حتى استغفار الصلحاء لهم، فضلاً عن أن يستغفروا لأنفسهم بأنفسهم، قال تعالى في سورة المنافقون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

فالإصرار على الذنوب وترك الاستغفار سيدفع المسلم للتكذيب بآيات الله تعالى، قال تعالى في سورة الروم، الآية ١٠: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كما نرى الحال مع بعض المتبرجات والسافرات اللاتي ينكرن آيات الله التي تثبت مشروعية الحجاب.

٣. إن ترك الاستغفار والتوبة سيؤدي إلى ترتب الآثار السلبية على الفرد والمجتمع والأمة والإنسانية، كنزول الهموم والغموم، ونقصان الرزق وزوال البركة، وحجب الدعاء ونزول البلايا، وهذه حقيقة ذكرتها النصوص الشرعية، منها قوله تعالى في سورة الروم، الآية ٤١: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقال تعالى في سورة الشورى، الآية ٣٠: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (أما إنه ليس من عرق يضرب، ولا نكبة، ولا صداع، ولا مرض، إلا بذنب، وذلك قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، ثم قال: وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به).^(٦١)

المبحث الخامس: التسوية بحجة أن الله غفور رحيم

إن من الأسباب التي تجعل أغلب المذنبين يؤخرون الاستغفار والتوبة ولا يبادرون إليهما، هو حب الدنيا والتعلق بملذاتها وشهواتها، والانقياد لوساوس

الشیطان الذي یستخدم كلّ الحیل والمکر؛ لیجعل الإنسان یسوّف الاستغفار والتوبة لیوصله إلى عذاب الله فی نار جهنم والعیاذ بالله.

ومن الأسباب الأخرى التي نريد الوقوف علیها والتي انتشرت فی الآونة الأخيرة هو ترديد کلمة حَقِّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ، وهي (إن الله غفور رحيم)، وجعلها كذريعة لارتكاب الذنوب والمعاصي وترك الاستغفار والتوبة، ونرد على ذلك بنقطتين:

النقطة الأولى: إن الله تعالى كما أنه (غفور رحيم) الذي یغفر الذنب، فهو كذلك (شديد العقاب) یؤاخذ بالذنب، وكما أنه یعفو عن السيئات، فهو كذلك یعذب المجترئين على حرّماته، انتهوا ماذا قال تعالى:

﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾

الحجر: ٤٩-٥٠.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الأنعام: ١٦٥.

﴿ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ المائدة: ٩٨.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فصلت: ٤٣.

هل نعلم أنه ذكر في القرآن الكريم أن الله سبحانه ﴿ ... شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الأنفال: ١٣. ﴿ ... سَرِيعُ الْعِقَابِ ... ﴾ الأنعام: ١٦٥. ﴿ ... وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فصلت: ٤٣. حوالي سبع عشرة مرّة!؟

هذا من غير صيغ مختلفة تُناسب المضمون، من قبيل قوله تعالى في سورة ص: ١٤ ﴿ ... فَحَقَّ عِقَابٍ ﴾.

فإلى متى يبقى الاستخفاف والتبرير شائعين، اتكالا على «بعض الكتاب» وإغفالا «لبعض الآخر»؟... فغضب الله تعالى لا يمنع رحمته، ورحمته لا تمنع غضبه، بل مقتضى العدل عدم مساواة الصالح مع الطالح والمحسن مع المسيء. (١٢)

النقطة الثانية: إن العاصيين الذين يرتكبون المعاصي بحجة أن الله غفور رحيم، هم مغرورون، وليسوا راجين، فهناك فرق بين الرجاء والغرور.

إنَّ مورد الرجاء هو تهيئة المقدمات وانتظار النتيجة، كمن بذر الأرض الصالحة للزرع وهيئاً أسباب الإنبات كالفلحة والتسميد والسقي، وبعد ذلك يرجو من الله تعالى أن ينبت هذا الزرع، فهذا هو الناجح.... وأمَّا الغرور فهو الانتظار من دون تهيئة المقدمات والأسباب، كمن ألقى البذر في أرض غير صالحة للزرع بالمرّة ولم يهيئاً أسباب الإنبات فهو مغرور، وهذا هو الفاشل.

فالمؤمن الراجي لرحمة الله لزم أن تتوفر فيه صفات، انتهوا ماذا قال تعالى سورة البقرة، الآية ٢١٨: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فإنّ هذه الآية الكريمة تذكر بعض صفات الراجي، وهو الذي يكون لديه إيمان بالله ويقوم بالأعمال الصالحة ويجاهد نفسه من أجل التورع عن محارم الله، لا أنه يرجو الله وبنفس الوقت يصر على المعصية ولا يتوب، فهذا يسمى مغرور، والمغرور لا تناله رحمة الله.

إستمعوا لهذه الرواية المهمة المروية عن ابن أبي نجران عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قُلْتُ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي وَيَقُولُونَ نَرْجُو، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الْمَوْتُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يَتَرَجَّحُونَ فِي الْأَمَانِيِّ، كَذَبُوا لَيْسُوا بِرَاجِينَ إِنَّ مَنْ رَجَا شَيْئاً طَلَبَهُ وَمَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ».^(٦٣)

والمقصود من هذه الرواية واضح، وهي رواية جامعة تدلُّ على الفرق بين الرجاء والغرور، حيث إنَّ الإمام عليه السلام عبّر عن الذين يعملون المعاصي ويموتون على هذه الصفة. من دون توبة وتدارك لما فاتهم من العبادات والطاعات والمسامحة من الناس وإرجاع الحقوق إلى أهلها ومع ذلك يقولون نرجو فضل الله تعالى، فهنا سماهم الإمام بالمترجحين في الأمانى. والترجح تذبذب الشيء المعلق في الهواء والتمايل من جانب إلى جانب كالمرجوحة المعلقة

بحبل ويركبها الصبيان، فكأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ شَبَّه أمانهم بأرجوحة يركبها الصبيان تتحرك بهم بأدنى نسيم وحركة، فكذا هؤلاء يميلون بسبب الأمانى من الخوف إلى الرجاء من دون عمل.^(٦٤)

قد يرد هذا التساؤل: إن هذا الرد الذي فيه تذكير بـ (إن الله شديد العقاب مثلما هو غفور رحيم)، سينقّر الناس من الدين، في حين أن الرسول ص يقول: بشروا ولا تنفروا!!

الجواب: قد يغفل بعضنا بأننا وصلنا إلى مرحلة صار يأمن فيها الكثيرون من غضب الله تعالى إلى أن وصل بهم الحال إلى أن يتجاهروا بل يتفاخروا بالإصرار على المعصية، متناسين أن غضب الله سبحانه هو عدل رحمة، فكما لا يجوز تئيس الناس، كذلك لا يجوز إغراؤهم.^(٦٥)

وقد يعتقد البعض أن المراد من قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بشروا ولا تنفروا».^(٦٦)، أي فقط ركزوا على جانب التبشير بسعة رحمة الله ومغفرته ورضوانه وجنته، ولا تنذروهم بذكر الموت والآخرة وأن هناك حساب وعقاب... إلخ

إن هذا التفسير غير صحيح لأسباب وهي كالاتي:

١. أنه يتعارض مع النصوص الشرعية التي تنذر بالحساب والعقاب والنار، فلو نفتح القرآن الكريم سنجد أن اغلب الصفحات لا تخلو من الإنذار، ولو نستقري النصوص الروائية سنجد فيها حث لتذكر الموت وما بعده، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «أكثروا من ذكر هادم اللذات، فقليل: يا رسول الله فما هادم اللذات؟ قال: الموت، فإن أكيس المؤمنين أكثرهم ذكرا للموت، وأشدهم له استعدادا».^(٦٧)

٢. إن الإنذار يختلف عن التنفير، (فالإنذار يكون عندما يسوق النذير الناس إلى شيء ما، ولكن التنفير هو حمل الناس على الفرار من شيء ما، كما لو كان

المرء يحاول أن يسحب حيواناً لكي يقوده خلفه على الرغم منه، وفجأة يجذب الحيوان رأسه إلى الخلف بقوة ويقطع زمامه، ويفرّ هارباً ممّن كان يريد سحبه. وهذا هو التنفير.

ولهذا نجد أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عندما يرسل معاذ بن جبل إلى اليمن لدعوة الناس إلى الإسلام يوصيه بما يلي: «يَسِّرْ وَلَا تُعَسِّرْ وَبَشِّرْ وَلَا تُنْفِرْ» (٦٨) (٦٩).

والتنفير تارة يأتي من استخدام الأسلوب الغليظ في القول أو الفعل، قال تعالى في سورة آل عمران: ١٥٩: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

أو يأتي من الضغط على أرواح بعض المسلمين بأداء العبادات المستحبة رغم عدم ميلهم ورغبتهم بذلك، فيشعر الواحد منهم بثقل وصعوبة وأنه قد حمّل نفسه أكثر من طاقتها فيثير فيها بالتدريج حالة من النفور والفرار، حتى يصل به الأمر إلى اعتبار التعبد كشرب الدواء، وعندئذٍ تتولّد في ذهنه فكرة سيئة عن العبادات.

أو يأتي التنفير من التركيز على الإنذار دون التبشير، بينما الشريعة حثتنا على كليهما، قال تعالى في سورة الأحزاب: ٤٥: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

فـ: «البشير» هو الذي يأتيك بخبر مفرح؛ فمثلاً إذا أردت أن تعهد إلى ابنك كي يقوم بعمل ما، فإنك تعالج ذلك بأحد أسلوبين أو بكليهما:

الأسلوب الأوّل: هو أسلوب الترغيب وبعث الأمل فيه؛ فإذا كنت تريد إلحاقه بالمدرسة-مثلاً-فتروح تشرح له فوائد الذهاب إلى المدرسة ونتائجه وأثاره، لكي تثير فيه روح الرغبة في ذلك.

الأسلوب الثاني: هو أنّك تأخذ بشرح العواقب الوخيمة التي سوف تترتب

على عدم ذهابه إلى المدرسة وبقائه أميًا وكذا وكذا. ولكي يتخلص ابنك من هذه الحالة يوافق على الذهاب إلى المدرسة. وإذا استخدمت الاثنان فالنتيجة تكون أفضل؛ وكلاهما ضروريان للبشر، على أن يكون ميزان التبشير أثقل، وميزان الإنذار أخف، كما يتضح في القرآن حيث يُقدّم التبشير على الإنذار، فيقول: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٦٩).

وهذا الأسلوبان من الأساليب التربوية التي يستخدمها المربي في تربية أولاده بالترغيب والترهيب، مع تقديم الأول على الثاني.

٣. إن التركيز على التبشير دون الإنذار، كالتركيز بأن الله غفور رحيم، مع تهميش بأنه شديد العقاب سيوقع الناس في الغرور، بينما العكس-كالتركيز على عقاب الله وتهميش رحمته-سيوقعهم في اليأس، بينما يجب على المؤمن أن يعيش الموازنة ما بين الخوف والرجاء، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ارج الله رجاء لا يجرك على معاصيه، وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته»^(٧٠).

المبحث السادس: الولاية شرط في الاستغفار

لقد ذكرنا في المبحث الأول أن الشرط الرابع للاستغفار الذي ذكرته الآية الكريمة-محل البحث- ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ هو قوله: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾. وقد ذكر المفسرون لهذه الجملة تفسيرات عديدة، يبدو أنّ اثنين منها هما الأوفق والأدق:

الأول: إنها إشارة إلى أنّ الاستمرار في طريق الإيمان والتقوى والعمل الصالح، يعني أنّ التوبة تمحو ما مضى وتكون سببا للنجاة، وهي مشروطة بأن لا يسقط التائب مرة أخرى في هاوية الشرك والمعصية، وأن يراقب نفسه دائما كيلا تعيده الوسواس الشيطانية وأهواؤه إلى مسلكه السابق.

و الثاني: هذه الجملة إشارة إلى لزوم قبول الولاية، و الالتزام بقيادة القادة

الربّانيين، أي أنّ التوبة و الإيمان و العمل الصالح كلّ ذلك سيكون سببا للنجاة و الفلاح إذا كان في ظلّ هداية القادة الربّانيين، ففي زمان تحت قيادة موسى عليه السّلام، و في زمن آخر تحت لواء نبي الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، و مرّة تحت لواء أمير المؤمنين على عَلَيْهِ السّلام، أمّا اليوم فينبغي أن ننضوي تحت لواء الإمام المهدي عليه السّلام لأنّ أحد أركان الدين قبول دعوة النّبي و الانضواء تحت قيادته ثمّ قبول قيادة خليفته و نائبه.

ينقل العلامة الطبرسي في ذيل هذه الآية عن الإمام الباقر أنّه قال: «ثمّ اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت» ثمّ أضاف: «فو الله لو أنّ رجلا عبد الله عمره ما بين الركن و المقام، ثمّ مات ولم يجيء بولايتنا لأكبّه الله في النّار على وجهه».^(٧١)

ويترتب على ولاية أهل البيت عَلَيْهِمُ السّلام وجوب محبتهم واتباعهم و السير على نهجهم و إحياء أمرهم بتعلم علومهم، فقد روي عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السّلام أنّه قال: «رحم الله عبد أحيا أمرنا فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا و يعلمها الناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا».^(٧٢)

فأهل البيت عَلَيْهِمُ السّلام هم المعين الصافي للعلوم الإلهية الحقّة، و بالأخص صاحب الذكرى الإمام الباقر عَلَيْهِ السّلام الذي من أشهر ألقابه باقر العلوم.

و عن العلة التي من أجلها سمي أبو جعفر محمد بن علي (ب) الباقر، ورد في كتب الحديث عن عمرو بن شمر قال: سألت جابر بن يزيد الجعفي فقلت له: لم سمي الباقر باقراً؟ قال: لأنّه بقر العلم بقرّاً - أي شقه شقاً و أظهره إظهاراً.^(٧٣) وقد أشار الإمام الصادق عَلَيْهِ السّلام إلى أن لقب الباقر فضيلة اختصت بأبيه.^(٧٤) يعد الإمام الباقر عَلَيْهِ السّلام المؤسس للثورة العلمية الشيعية الكبرى التي بلغت ذروتها في زمن ولده الإمام الصادق عَلَيْهِ السّلام، و قد روي عنه عَلَيْهِ السّلام روايات كثيرة في مجالات شتى كالفقه، و التوحيد، و السنة النبوية، و القرآن، و الأخلاق، و قد بلغ عدد ما روى عنه محمد بن مسلم ٣٠

ألف حديث، كما روى عنه جابر بن يزيد الجعفي ٧٠ ألف حديث. فبدأت المعتقدات الشيعية تتبلور في فترة إمامته، وذلك في مختلف الفروع. وقالوا بأن عدد أصحابه وتلامذته يصل ٤٦٢ شخصاً.

وفي مثل هذا اليوم تمر علينا ذكرى ولادة إمامنا الخامس الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ولد في المدينة في يوم الجمعة الموافق للأول من رجب سنة ٥٧ هـ، سمّاه جده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بمحمد، ولقّبه بالباقر قبل أن يولد بعشرات السنين، تقلّد الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ منصب الإمامة في سنة ٩٥ هـ بعد شهادة أبيه، واستمرت إمامته وقيادته للشريعة ١٩ سنة بعد والده الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى حين شهادته في سنة ١١٤ هـ أو ١١٧ هـ على قول (٧٥)

فسلام على إمامنا الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً

هوسات بالمناسبة:

يو جعفر هلا بميلادك الهل

يشع نورك على الدنيا بفرح طل

يباقر للعلوم وعنده كل حل

يا لباقر علمك يغنيه

تهني هالناس وتهلل لبو جعفر

بُرجب ميلاد عزاها البي تظل تفخر

امام الخير هل بمولده و نور

بالباقر فرحت دنيانه

أبوذيات بالمناسبة:

علمنا

يرفرف هالمسا أصبح

علمنا

بفرح في مولده باقر



٢ رَجَبُ حُبِّ

ولادة الإمام علي الهادي عليه السلام

أَسْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَكُمْ

المناسبة

ولادة الإمام علي الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة للشاعر عمار جبار خضير

يا بن الجواد و كلكم هادٍ لنا
 فإذا أتيتك زائراً متقدماً
 يا من ثويت بأرض سامرا ومذ
 لامستها طالت بفضلك للسا
 و تحولت من بعد قفر روضة
 غناء زاهية تغيض الأنجا
 كم كحلت عيني بطلاة قبة
 من تحتها كل الوجود قد ارتمي
 طالت أيادي الظالمين شموخها
 ظناً ينالوا مجدكم أن تهدما
 لكنهم فشلوا كعهد جدودهم
 و الله أخزاهم جميعاً أينما
 حلوا سيلقون البوار منازل
 عند الحياة و في القيام جهنما
 يا سيدي إني قصدتك ذاكرا
 و حملت في روعي هياما مفعما
 ولأنت تعلم كم أسلت مدامعي
 وجعلت من صدري لهيباً مضرماً

فأنعم علي بنظرة يابن الهدى

تمحى لقلبي ما جنى و تأثما

أنا حاجتي و الله أقسم صادقا

هو عفوكم و به أنال المغنما

من وحيكم و على سبيل ولائكم

أنا سالك أما لغيركم فما

وجد الذي والى لغيركم سوى

جهلا يكبل عقله ثم العمى

بيضاء كالتبر اللجين عقيدتي

تخط للإنسان نهجا قيما

في حبكم يا آل بيت محمد

الفوز حظ للذي فيه انتمى

المحاضرة الثانية

تدخل الأهل نعمة أم نقمة!!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ النساء: ٥٣.

من المعلوم أنه لا توجد حياة تخلو من مشكلات ما بين الناس، سواءً أكانت على مستوى الزملاء أو الأصدقاء أو الأقارب، أو الأسرة، ومنها المشكلات الزوجية

ولكي نحل المشكلة الزوجية ينبغي على الزوجين أن يتبعوا مراحل حل المشاكل الزوجية، ففي البداية (يحاول الزوجان حل المشكلة بينهما بالحوار والتفاهم داخل البيت وهذه هي المرحلة الأولى، فإن لم يتفاهما ينتقلا للمرحلة الثانية وهي اللجوء للأهل، فإن كان الأهل ليسوا أهلاً للصلح، يلجأ لشخص مقرب لهما أو إلى خبير زواج وإرشاد أسري وهي المرحلة الثالثة، المهم أن يكون أميناً وحكيماً ولديه مهارة وخبرة في الحياة حتى يكون سبباً في علاج المشكلة لا في زيادة تعقيدها.^(٧٦)

ونريد في هذه المحاضرة أن نقف على المرحلة الثانية وهي مرحلة اللجوء إلى الأهل، أو تدخل الأهل في حل المشاكل الزوجية. حيث تحدث القرآن الكريم في الآية-محل البحث-، (عن ضرورة المبادرة والتصدي لمعالجة أي خلاف زوجي، يهدد باضطراب العلاقة الزوجية، وطرح مشروعاً للمعالجة والحل، يتمثل في اختيار حكم من عائلة الزوج، وآخر من عائلة الزوجة، ينتدبان لدراسة مشكلة الخلاف بينهما، ويقترحان ما يلزم للحل)^(٧٧)

يقول السيد محمد الحسيني الشيرازي في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ﴾ أيها الناس المحيطون بالزوجين ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾، أي المخالفة والعداوة بين الزوجين، كان كل واحد منهما في شق وجانب غير شق الآخر وجانبه ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ فإن الحكمين حيث يعرفان ملابسات الزوجين يتمكنان من فصل الأمر على أحسن الوجوه وللحكمين الإصلاح وليس لهما الطلاق إلا برضى الزوج أو وكالة سابقة ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ يعني الحكمين ﴿إِصْلَاحًا﴾ بينهما ﴿يُوفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ والضمير عائد إلى الحكمين لقرب اللفظ، وربما يُقال عائد إلى الزوجين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بمصالح العباد ﴿خَيْرًا﴾ بما يضمه الحكمان ويفعلانه في أمر الإصلاح والإفساد. ^(٧٨)

يا ترى هل تدخل الأهل في الحياة الزوجية لأولادهم نعمة أم نقمة؟، وبالأصل هل يحق للأهل التدخل في حياة الزوجين؟، وما موقف الشريعة من ذلك؟، وهل توجد شروط وجب توفرها فيمن يسعى للإصلاح ما بين الزوجين؟، ما هي وسائل علاج الخلافات بين الزوجين؟، كيف نعالج هذه المشكلة؟ ... إلخ من الأسئلة التي سنحاول الوقوف عليها في مباحث هذه الآية الكريمة.

المبحث الأول: رأي الشريعة في تدخل الأهل

إن تدخل الأهل في الحياة الزوجية لأولادهم-ذكراً أو أنثى-يعني (قيام أهل الزوج أو الزوجة بما من شأنه أن يعود على الحياة الزوجية لذويهما بالضرر أو النفع) ^(٧٩)

إن السؤال الذي ينبغي طرحه في هذا المبحث: هل يحق للأهل التدخل في الحياة الزوجية لأولادهم؟

الجواب: إن الثقافة الرائجة التي نسمعها من الناس والإعلام بأن الأهل لا يحق لهم التدخل في حياة أولادهم الزوجية بشكل مطلق.

في حين إن الإسلام لم ينفِ علاقة الأهل في كل جوانب حياة أبنائهم، ومنها الجانب الزوجي. إن الزوجين بزواجهما لا ينقطعان عن الأهل.. فالزواج هو مرحلة حياتية يمر فيها الإنسان لتكوين الأسرة وإنجاب الأولاد وتحقيق أهداف الزواج، والإسلام أمرنا بصلة الرحم والتواصل بين كل من الزوج والزوجة وأهلها التي تتجسد في التحاور، والتزاور، والتمهادي، والتراحم، وتفقد الأحوال، وتقديم النصح والإرشاد والمساعدة، ومنها إذا علم الأهل بحصول خصومة ما بين ولداهم المتزوج وزوجه فينبغي المبادرة إلى إصلاحهما، لقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾^(٨٠)

فإن الأهل في النهاية يمتلكون تجربة وخبرةً ووعياً أكثر من أبنائهم، إضافة إلى حرصهم على أن تنجح العلاقة الزوجية من باب حب الخير لأولادهم وإشفاقهم عليهم.

ولا شك أن دعم الأهل لأبنائهم ووجودهم إلى جانبهم في السراء والضراء، أمر مهم وأساسي في حياة ضاغطة قد يعجز معها بعضهم عن مواجهتها منفرداً.

إن مبادرة أهل الزوج أو الزوجة في التدخل من أجل إصلاح ذات البين، أمر حثنا الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾^(٨١)

ولكن عندما نأتي للواقع نجد إن النتائج المترتبة على تدخل الأهل في الحياة الزوجية أغلبها يترتب عليها الإفساد والتفرقة ما بين الزوجين فحينما نستقرئ واقع المشاكل الزوجية نجد أن نسبة كبيرة منها سببها تدخل الأهل في الحياة الزوجية لأولادهم، حيث يخمن بعض المتخصصين في المجال التربوي والاستشاري من خلال عملهم بأن أكثر من ٨٠٪ من حالات الطلاق تعود لذلك، حيث يمكن للأهل أن يكرهوا الزوج بزوجه أو العكس، وقد ينتهي الأمر إلى النتيجة الأسوأ وهي الانفصال، وبعد الانفصال هناك سنوات من المعارك والتحدي بين الطرفين.

نفهم من ذلك بأن تدخّل الأهل في الحياة الزوجية لأولادهم على نوعين، وهما كالآتي:

أولاً: (التدخل الإيجابي)، وهو التدخّل الهادف إلى إصلاح العلاقة الزوجية، عن طريق قيام أهل الزوج أو الزوجة بما من شأنه أن يعود على الحياة الزوجية لذويهما بالنفع. وهذا القسم من التدخّل هو الذي حثنا عليه الشريعة الإسلامية.

فقد جاء في فضل الإصلاح بين الناس عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «صدقة يحبّها الله إصلاحٌ بين النَّاسِ إذا تفسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا»^(٨٢)

بل إنّ إصلاح ذات البين من أفضل العبادات في ما روي عن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصيته لولديه الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إذ يقول: «... فإنّي سمعت جدّكما صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام»^(٨٣)

ولو لم يكن في فضل هذا الأمر إلّا كونه أفضل من عمود الدّين الذي هو الصلاة لكفى.

فكيف إذا كان الإصلاح بين المتخاصمين أفضل حتّى من الصدقة بالمال ذي القيمة، فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضاً: «لأن أصلح بين اثنين أحبّ إليّ من أن أتصدّق بدينارين»^(٨٤)

ثانياً: (التدخل السلبي)، وهو التدخّل الهادف إلى إفساد العلاقة الزوجية، عن طريق قيام أهل الزوج أو الزوجة، أو غيرهم كالضرة بما من شأنه أن يعود على الحياة الزوجية لذويهما بالضر.

وهذا النوع من التدخل هو الذي يرفضه الإسلام، ويرفضه العقلاء؛ لأنّ إفساد ذات البين من الكبائر، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: ليس منّا من خبّب^(٨٥) امرأة على زوجها امرأة على زوجها.^(٨٦)

ويترتب على التدخّل السلبي آثار وخيمة نذكر منها الآتي:

١. إن المفرّق ما بين الأحبة هو من شر الناس، فقد روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ألا أنبئكم بشرا راكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء المعاييب». (٨٧)

٢. إن إفساد ذات البين يفسد الدين، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «.. فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ». (٨٨)، أي تحلق الدين.

٤. يترتب على إفساد ذات البين أنه سيتحمل نسخة من ذلك الإثم الذي ارتكبه الظالم بحق المظلوم، قال تعالى: ﴿وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ۖ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (٨٩)، فلو كانت الزوجة مظلومة، وأهل الزوج طلبوا منه أن يطلقها رغم أنه لم يصدر منها ما يستحق ذلك، فسوف يتحمل الزوج وكل من حثه من أهله أثم ذلك. هذا عدا أثم ارتكاب المحرمات التي تعد وسيلة لتحقيق التفرقة ما بين الزوجين كالغيبة والنميمة والكذب وغيره من المحرمات.

ومن المناسب أن نطرح مجموعة أسئلة لها علاقة برأي الشريعة، نذكر منها الآتي:

سؤال رقم (١): قد يسأل الأهل: إن المصلحة قد تقتضي الطلاق، فهل لو ساندنا ولدنا على التفريق فيما بينه وبين زوجته ينطبق علينا عنوان (إفساد ذات البين) ونكون آثمين؟

الجواب: هناك فرق بين التفريق وبين إفساد ذات البين، فليس كل تفريق ينطبق عليه هذا العنوان. بل تارة ينطبق على التفريق عنوان (الإصلاح)، وهذا لا أشكال فيه، وأخرى ينطبق على التفريق عنوان (الإفساد) وهذا الذي حذرنا منه الشريعة الإسلامية.

مثال ذلك: لو كانت الزوجة غير عفيفة، أو كانت باستمرار ناشزاً، أو كان الزوج مصادراً لحقوق زوجته من النفقة والوصال وحسن العشرة، وحاول الزوج أو الأهل إصلاح المفسد مرارا وتكرارا بدون فائدة، وكان الضرر المترتب على التفريق أقل من الضرر المترتب على البقاء بحيث كان الحل الوحيد للمشكلة هو التفريق، فهنا جاز للأهل التدخّل ومساندة الزوج على اتخاذ قرار التفريق، ولا يعد ذلك إفسادا؛ لأن الطلاق قد يكون حلا في بعض الأحيان.

قال الشيخ الطوسي (ره): إذا كانت الحال بينهما-الزوجين-فاسدة بالشقاق وتعذر الإنفاق وكل واحد منهما يعجز عن القيام بما يجب عليه، فالمستحب الفرقة.^(٩٠) وأما لو كانت الزوجة صالحة عفيفة، تراعي الحقوق الزوجية، وكلا الزوجين سعيّدان مع بعضهما، فأن الأهل إذا حثوا ولدهم على التفريق فيما بينه وبين زوجه سيكون ذلك التفريق إفسادا للعلاقة الزوجية ويترتب عليه الوقوع في الحرام. بل حتى الطلاق حكمه الكراهة. قال الشيخ الطوسي (ره): وأما المكروه فهو إذا كانت الحال بينهما عامرة وكل واحد منهما قيّم بحق صاحبه.^(٩١)

سؤال رقم (٢): لو رأى الحكمان أن الحل هو الطلاق والفرق، فهل يمضي قرارهما؟

إن فقهاء الشيعة يحصرون نفاذ أمر الحكّمين فيما يتعلق بالإصلاح والجمع، أما التفريق فلا يمضي أمرهما فيه، إلا إذا كانا وكيلين عن الزوجين في ذلك، أو اشتراطاً منذ البداية أن لهما الجمع والتفريق، أو بموافقة الزوج على الطلاق، وإذا كان التفريق يتضمن بذلاً وفدية من الزوجة، فيحتاج مراجعتها وموافقتها.^(٩٢)

سؤال رقم (٣): ما هو موقف الشريعة من الأهل الذين يرفضون التدخّل من أجل الإصلاح ما بين ولدهم وزوجه، رغم أنهم بحاجة إليهم؟

الجواب: يؤسفنا أن نجد في مجتمعاتنا بعض الأهل وبالأخص الآباء والأمهات

رغم أن أحدهما له تأثير على الولد في إصلاح ما بينه وبين زوجته، إلا أنه يعتمد السكوت، وحينما يطلب منه آخرون أن يتدخل من أجل الإصلاح يرفض بحجة عدم رغبته في التدخل في حياة ولده.

نعم، شرعاً إذا لم يتدخل الأهل في إصلاح أو إفساد العلاقة ما بين الزوجين فهم لم يرتكبوا محرماً، ولكن إذا كانوا قادرين على الإصلاح وامتنعوا عن ذلك وخذلوهم -رغم عدم ممانعة الزوجين في تدخلهم-، وترتب على سكوتهم الإفساد فسوف يخذلهم الله في الدنيا والآخرة، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة.^(٩٣)

وروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: أيما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة وهو يقدر على قضائها فمنعه إياها، عيره الله يوم القيامة تعبيراً شديداً، وقال له: أتاك أخوك في حاجة قد جعلت قضاءها في يدك فمنعته إياها زهداً منك في ثوابها، وعزتي لا أنظر إليك اليوم في حاجة معذبا كنت أو مغفوراً لك.^(٩٤)

بينما لو سعى الأهل في إصلاحهما ترتب عليه أجر عظيم، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «وما من مؤمن يفرج عن أخيه كربة إلا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة، وما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلا كان له أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام، وما من مؤمن ينصر أخاه (وهو يقدر على نصرته) إلا نصره الله في الدنيا والآخرة».^(٩٥)

وهذا الأمر يشابه فيما لو ترك أحدنا التصدق، فرغم أن حكمه مستحب، إلا أن تركه قد يترتب عليه نزول البلاء لكون الصدقة تدفع البلاء، وهكذا الحال مع ارتكاب النهي غير الإلزامي كالنهي التنزيهي الكراهتي أو الإرشادي.

نعم، إذا كان الأهل يعلمون أنهم غير مؤهلين للإصلاح، كأن يعلموا بأنه إذا تدخل أحدهم سينحاز إلى ولده ولو كان على باطل وسيكون ضد زوجته ولو كانت على حق، أو كان الشخص غضوباً، فإذا تدخل وكان ما يفسد أكثر مما

يصلح ... فهنا سكوته أفضل من التدّخل السلبي المؤدي إلى الإفساد، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»^(٩٦).

سؤال رقم (٤): بعض الأزواج يعيشون في صراع بين طاعة الوالدين اللذين يأمران الولد بأن يفرّق ما بينه وبين زوجته، وبين مبغوضية طلاق الزوجة في الشريعة، فأيهما يقدم؟

الجواب: نعم، هناك بعض الأزواج من يحب أن يستمر في حياته الزوجية رغم وجود المشكلات الزوجية حباً بأسرته وأولاده وزوجته، أو حباً لله تعالى الذي يبغض هدم الأسرة. ولكن هنالك بعض الوالدين بدلاً من تشجيعه على موقفه، تراهما يصران على ولدهما بتطليق زوجته بحجة أن ذلك فيه مصلحته، فإذا رفض يعداه عاقاً لهما، في حين إن طاعة الوالدين ليست مطلقة، فهما غير معصومين، بل طاعتهما لها حدود فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وإليك الحكم الشرعي لهذه المسألة وفق سماحة السيد السيستاني (دام ظله):

السؤال: إذا أمرت الوالدة ولدها بتطليق زوجته لخلافها مع الزوجة، فهل تجب عليه طاعتها في ذلك؟ وماذا لو قالت له: (أنت ولد عاق إن لم تطلق زوجتك)؟

الجواب: لا تجب طاعتها في ذلك، ولا أثر للقول المذكور، نعم يلزمه التجنب عن الإساءة إليهما بقول أو فعل.^(٩٧)

المبحث الثاني: صفات الحكمين

لكي يكون تدخل الأهل إيجابياً، وينجح الحكمان في مهمتهما الإصلاحية، لا بد من توفر الصفات المساعدة على ذلك، والتي تحدث الفقهاء والمستشارون

التربويون عن تلك الشروط، ونذكر منها الآتي:

أولاً: القرابة من الزوجين: حيث نصت الآية الكريمة على أن يكون الحكمان من أهل الزوجين ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ لأن ذلك في الغالب أنجح لمهمة الإصلاح^(٩٨)، كأن يكون الحَكَم من الأهل هو الأب، أو الأم، أو الأخ، أو الأخت، أو الجد أو العم أو الخال، أو شيخ العشيرة وغيرهم من الأقارب، ولكن إذا كان الأجنبي أقدر على التأثير، كأن يكون رجل دين أو مستشار تربوي مؤمن أو أي شخصية مؤمنة حكيمة تتوفر فيها صفات الحكم، فله الأولوية في اختياره كحكم ما بين الزوجين.

رب تساؤل يرد: لماذا حث الله تعالى أن يكون الحَكَم من الأهل؟ -أي حكماً من أهل الزوج، وحكماً من أهل الزوجة-، لماذا لم يحثنا ابتداءً بأن نتحاكم عند الحاكم الشرعي أو في المحكمة القضائية الرسمية؟

الجواب: إن محكمة الصلح العائلية تمتاز بمميزات تفتقر إليها المحاكم الأخرى، ونختصرها بالنقطتين الآتيتين:

١. إن المدعي والمدعى عليه في المحاكم العادية القضائية مضطرين تحت طائلة الدفاع عن النفس أن يكشفوا عن كل ما لديهما من الأسرار الزوجية أمام الأجانب والغرباء وهذا يتسبب في جرح مشاعر الطرف الآخر، بحيث لو اضطرت الزوجان أن يعودا بحكم المحكمة إلى البيت لما عادا إلى ما كانا عليه من الصفاء والمحبة السالفة، بينما لو اتفق أن طرحت هذه الأمور في أجواء عائلية فإنها لن تنطوي على ذلك الأثر السيء الذي أشرنا إليه.

٢. إن القرارات التي يتخذها الموظف العامل في «المحاكم الجنائية» تكون خاضعة للقوانين الجافة والضوابط الصارمة البعيدة عن المحبة والخالية عن روح العاطفة، وقد تكون أيضاً بعيدة عن قوانين شريعة محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، في حين إن حل الخلافات الزوجية في أجواء عائلية بالطرق العاطفية، وتذكير الطرفين بالقوانين الإلهية تحظى بفرصة أكبر للإصلاح بين

الزوجين.^(٩٩)

مثال ذلك: زوجة تطلب الطلاق لأن زوجها يتعاطى المخدرات، فلما تحاكما عائلياً، اعترف الزوج بالخطأ ووعدهم أن يتركها نهائياً، فلما رفضت الزوجة قبول عذره، قال لها أبوها: (ابنتي سامحيه واغفري عنه، واعطه فرصة أخرى من أجلي-باللهجة العراقية(لخاطري)-ولا تنسي أن الله أمرنا بالعفو والتسامح)، فهنا أغلب النساء يتأثرن عاطفياً وتوافق، ويتحقق الإصلاح وتعود المياه لمجاريها.

ولكن هذا الطلب لا يستطيع القاضي أن يطلبه من الزوجة، بل حتى لو طلبه لن تتأثر الزوجة لأن لا توجد صلة تربطها به، ولذا سيطبق القاضي المادة القانونية التي تفرّق فيما بينهما بدون تردد.

لذا ننصح العوائل أن لا تلجأ إلى المحاكم القضائية مباشرة عند مواجهتها للمشاكل الزوجية لأن أغلب الحالات قد انتهت بالطلاق.

فينبغي على الزوجين عدم الاستعجال ومحاولة حل المشكلة الزوجية عن طريق التفاوض والتفاهم ما بينهما أولاً، فإذا لم تُحل المشكلة يُلجأ إلى تدخل الأهل، فإذا لم يكونوا مؤهلين يُلجأ إلى شخص مؤهل للإصلاح كرجل دين له خبرة في حل المشكلات، أو اللجوء لمستشار تربوي متخصص، فإذا لم ينفع فننصح بتدخل الحاكم الشرعي (الفقيه الجامع لشروط التقليد) قبل اللجوء للمحاكم القضائية، ففي بعض الأحيان حينما تشتكي الزوجة للحاكم الشرعي من مصادرة زوجها لحقوقها الزوجية يأخذ الحاكم بالاتصال به ويدّكره بأحكام الله، فبعضهم ينتهي وبعضهم الآخر يعاند... (فإذا توقف استيفاء الحق ورفع الظلم على التحاكم عند المؤسسات والمحاكم الرسمية جاز لها ذلك كما يذكر ذلك الفقهاء، ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله))^(١٠٠)

ثانياً: أن يكون الكّم بالفا عاقلا مسلما، فإسلام الحّم شرط في الإصلاح إذا كان الزوجان مسلمين؛ لأن المسلم له أحكام ومبادئ وقيم

تختلف عن أحكام الكافر الكتابي أو غير الكتابي، فلو لجأت الزوجة المسلمة لمستشار كافر وأخبرته بأن زوجها لا ينفق عليها ويجبرها على العمل، فلا يرى الحَكَم الكافر أن الزوج مقصّر؛ لأن أحكامهم تختلف عنّا.

ثالثاً: أن يكون هدف الحَكَم الإصلاح لا الإفساد: يقول سماحة

السيد السيستاني (دام ظله) في منهاج الصالحين: ينبغي للحكمين إخلاص النيّة وقصد الإصلاح، فمن حسنت نيّته فيما تحرّاه أصلح الله مسعاه. (١٠١)

لذا من لم يكن هدفه الإصلاح لا ينفق أن يُنتخب حَكَمًا لحل المشاكل الزوجية؛ لأن **كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**. (١٠٢)، -أي على نيّته-، فإذا ارتفع الإصلاح حلّ محلّه الإفساد... انتهبوا فالآية لم تقل (إن يُريدًا إفسادًا يُوفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا) بل قالت: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾ لأن التوفيق لرفع الشقاق ما بين الزوجين يحتاج إلى أسباب منها أن يتدخل حَكَمًا صالحًا ينوي الإصلاح.

وحيثما نعاتب الأهل الذين كان تدخلهم سلبياً، يدّعي الأغلبية بأن نيّته الإصلاح، ولكن إذا كذّب أحدهم على الناس فلا يستطيع أن يكذّب على الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١٠٣).

رابعاً: الصلاحية؛ بمعنى قدرة الحَكَم على القيام بالإصلاح،

فالنيّة وحدها لا تكفي، بل ينبغي أن يكون عارفاً بأساليب الإصلاح كأن تكون (لديه خبرة في الحياة حتى يكون سبباً في علاج المشكلة لا في زيادة تعقيدها، والأفضل أن تكون لديه مهارات الإقناع والتوجيه على تمارين المسامحة والعفو وتعريف كلا الزوجين بطبيعة الحياة الزوجية). (١٠٤)

وأيضاً من الضروري أن يكون عارفاً بالأحكام الشرعية وبالأخص المتعلقة بالحقوق الزوجية، لا أن أختار حَكَمًا جاهلاً بأحكام الله، وإلا كيف سيميز بين الظالم والمظلوم، بين المقصّر فيعبّته وبين غير المقصّر؟

فلو شكى الزوج من زوجته بأنها تمتنع عنه في الفراش، وترفض أن تعطيه الراتب الذي تتقاضاه من راتبها الشهري، فإذا كان الحكم جاهلاً بالأحكام الشرعية فكيف سيحل المشكلة؟، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: من أفتى الناس بغير علم كان ما يفسده من الدين أكثر مما يصلحه. (١٠٥) هذا بالإضافة إلى أنه سينال اللعنة بدل الرحمة. (١٠٦)

وأغلب هذه المواصفات تتوفر في رجل الدين الحكيم، وفي المستشار المؤمن المتفقه في دينه الذي سيتمكن من الحكم بالعدل فيخبر الزوج بأنه مخطئ في طلبه لأموال زوجته؛ لأن الزوج غير مسلط على أموال زوجته، والزوجة مخطئة في منعها لحق زوجها في الفراش.

خامساً: أن يكون الحكم غير متحيز لأحد الزوجين، بل يحكم

بالعدل حتى لو كان على خلاف هوى ابنه أو ابنته، فلو كان سبب المشكلة هو امتناع الزوج عن النفقة، فوجب على أهل الزوج أن يكونوا مع الحق بأن يعاتبوا ولدهم ليحجزوه عن ظلم زوجته، ولا يكونوا ضد الزوجة. قال تعالى:

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (١٠٧)

ولما نستقرئ الواقع نجد أن الأعم الأغلب من الأهل ينحاز لطرف أولادهم -ذكرا كان أو أنثى- بل حتى لو كان ولدهم ظلماً فهم ينصرونه ويؤيدونه ويتهمون زوجه بالظلم والعدوان.

مثال ذلك: عندما تشتكي الزوجة من زوجها، نجد بعض الآباء والأمهات بدلاً من حثها على الصبر والعفو، وبدلاً من سماع وجهة نظر زوجها لمعرفة سبب المشكلة وتمييز المخطئ عن غيره، نجدهما يتسرعان بمنحها الحق، ويحثانها على التمرد على زوجها وهجره وطلب الطلاق، كأن تقول الأم لابنتها -باللهجة العراقية-: (خلي يولي)، لا تعطيه مجال، هذا فوك ما قبلنا بيه، لا تتنازليين، ولا تخليه يتحكّم ببيج، أنت ألفت واحد يتمنّاج.. العتب مو عليه بل على الي قدره

واعطاه زوجة...إلخ)

في قبال ذلك إذا الزوج اشتكى من زوجته أمام أهله، فبعض الأهل يشجعونه على هجرها وتأديبها، أو تركها معلّقة وأن يتزوج عليها، أو يطلقها، كأن تقول الأم لابنها -باللهجة العراقية-: (زوجتك ما تستحي، كاعد تتمرّجلك عليك، لازم تأديبها، ولا تعطها مجال.. أنا عرفتها من البداية مو سهلة ولكنك ما سمعت كلامي.. وهذه النتيجة.. إلخ)

وهذا يعد من العصبية التي حرمها الله تعالى التي معناها (أن يدعو الرجل إلى نصره عُصْبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين) ^(١٠٨)، عن الزهري قال: سئل علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن العصبية فقال: «العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن العصبية أن يعين قومه على الظلم». ^(١٠٩)

إن الشريعة ترفض الكيل بمكيالين، فبعض الأمهات عندما ترى زوج ابنتها يراعي زوجته كثيراً، ويُحسن عشرتها، ويحترمها ويمنحها حقوقها الشرعية، تسميه (رجلاً شهماً)، ولكن إذا مارس ابنها نفس هذا التصرف مع زوجته تسميه باللهجة العراقية (طرطور، أو خرقة بيد زوجته)، أي تسحب منه صفة الرجولة.. لذا وجب علينا أن ننتبه لتصرفاتنا لأننا محاسبون عليها.

الخلاصة: من لم تتوفر فيه هذه الصفات والنقاط التي ذكرناها، فهو غير مؤهل ليُنتخب كحكم يسعى للإصلاح ما بين الزوجين.

المبحث الثالث: التدخل السلبي للأهل، أسباب وحلول

سنتطرق في هذا المبحث الأخير إلى هذين المطلبين:

المطلب الأول: أسباب تدخل الأهل

وينبغي التعرف على الأسباب التي تدفع الأهل للتدخل السلبي؛ لأنها تساعد الزوجين على حل المشكلة، ونختصر الأسباب بالنقاط الآتية:

١- شعور الأهل بالمسؤولية المستمرة عن الأولاد حتى بعد الزواج.

٢- السمات الشخصية للأهل: ومنها الشخصية المتسلطة كالأم المتسلطة التي تكون أكثر رغبة في فرض سيطرتها على زوجة ابنها أو حتى زوج ابنتها، والأب المتسلط أيضاً لن يقبل أن يتخذ ابنه قرارات مستقلة في حياته الزوجية، وسيكون ميّالاً بشكل واضح إلى وضع المعايير الأساسية لأبنائه وبناته حتى بكيفية تعاملهم مع شريك الحياة.^(١١٠)

٣- عدم قدرة الزوجين على رسم حدود واضحة للأسرة ولعلاقتهم مع الأسرة الكبيرة، فينبغي على الزوجين أن يتفقا ومنذ الليلة الأولى من زفافهما أن يحرصا على عدم إخراج الأسرار الزوجية إلى خارج إطار غرفتهما بدون دافع قهري.

٤- ضعف شخصية الزوج والزوجة: بما أن الزوج الذكر في مجتمعنا هو المسؤول غالباً عن قيادة الأسرة ورسم حدود العلاقة مع الآخرين؛ سيؤدي ضعف شخصية الزوج إلى تدخلات مستمرة من الأهل، وليس من الأهل فقط بل حتى من الأقارب الأبعد والجيران والأصدقاء، لأن الناس ميّالة إلى النصيح والسيطرة، وميّالة إلى مشاركة التجارب والشعور بالسعادة عند التأثير على الآخرين، فإن لم يتمكن الزوج من إيقاف كلّ عند حده، سيتحول بيت الزوجية إلى بيت بلا جدران!، وهذا ينطبق أيضاً على الزوجة ضعيفة الشخصية.

٥- أسباب موجبة لتدخل الأهل في الحياة الزوجية: منها مثلاً تدخل الأهل

بسبب قسوة وعنف الزوج على الزوجة، وغيرها، ثم قد ينجحون أو يزيدون الطين بلة!

المطلب الثاني: القواعد التي يجب على الأهل مراعاتها

للحد من التدخل السلبي للأهل، ولتفادي وقوعهم في الحرام، ينبغي على الأهل مراعاة بعض القواعد التربوية قبل أن يفكروا في التدخل في الحياة الزوجية لأولادهم. وهذه القواعد تختلف حسب نوع التدخل الذي سنطرحه في هاتين النقطتين:

أولاً: التدخل لإصلاح خلل مفترض

ربما تدخل والدا الزوج أو الزوجة في الحياة الزوجية لهما لرؤيتهما خللاً أو عيباً ما يشوب علاقة الزوجين ببعضهما، فيحاولان إصلاح هذا الخلل بشكل غير سليم أو مبالغ فيه مما قد يسيء إلى العلاقة الزوجية ويؤدي إلى انهيارها، وذلك كأن يرى أهل الزوج مثلاً أن ابنهما كثير المطاوعة لزوجته وأنه خاضع لها ومسلوب الشخصية أمامها. إن كثيراً من الآباء يسيء تفسير علاقة الانسجام بين الزوج وزوجه، ويحملها على أنها علاقة تسيطر فيها الزوجة لا الزوج، خصوصاً إذا رأوا ابنهما يقوم ببعض التصرفات المستهجنة عرفاً. وإن كانت مطلوبة شرعاً وعقلاً. كالقيام ببعض الواجبات المنزلية مثلاً.

فيعُدّان هذا الأمر خللاً ينبغي تعديله، فيبدآن بمحاولة وضع حد له عن طريق النصح لهذا الابن أو الانتقاد أو حثّه على التمرّد... وهكذا، مما قد يفضي إلى تشوش العلاقة بالفعل بين الزوجين إلى حد يهدّد بالطلاق.

مثال آخر أن يرى أهل الزوجة أن ابنتهم مظلومة خصوصاً إذا رأوها مطاوعة لزوجها وأهله وأنها كثيرة الخدمة لهم، فيحاولون معالجة هذا الخلل عن طريق النصح والإرشاد والتلميح والتصريح والأمر والنهي وغير ذلك من الوسائل. وإذا كانت ابنتهم تسكن مع أهل زوجها تبدأ أمها بتوجيهها لافتعال المشكلات حتى

يكون ذلك وسيلة للضغط على الزوج بالانفصال عن أهله حتى لو لم يكن قادرا بعد على الانفصال، مما قد يفضي أخيرا إلى اضطراب العلاقة الزوجية واختلالها أكثر مما كانت عليه، ومن ثمَّ يجعلها عرضة للتفكك عن طريق الطلاق.

السؤال المطروح: متى يكون التدخل إيجابيا وصحيحا، ومتى يكون سلبيا وضارا؟

الجواب: حسب نوع الحالة، فهناك حالات تستلزم التدخل قطعاً، التي يكون الخلل من الفضاة بـمكان، كالزنا المتكرر لأحد الزوجين أو إدمانه على الكحول أو المخدّرات.

بينما هناك حالات لا تستلزم التدخل قطعاً. وهذا في حالة كون المشكلة أو العيب طارئاً لا دائماً ومن التفاهة بـمكان بحيث لا يستلزم التدخل، كازدياد عدد زيارات الزوجة لأهلها في فترة ما.

ينبغي على الأهل قبل التدخّل أن يحتكموا إلى القواعد الآتية:

أولاً: أن لا يكون التجسس على الزوجين أو أحدهما هو وسيلة معرفة هذا الخلل أو وسيلة التأكد من وجوده، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(١١١)

ثانياً: أن تُعطى فرصة للزوجين لمحاولة الإصلاح بنفسهما قبل التدخل.

ثالثاً: أن يكون من صفة الخلل أو العيب أنه دائم أو مستمر لفترة طويلة، أما إذا كان من النوع العارض الزائل فلا ينبغي التدخل.

رابعاً: إذا علم الأهل قطعاً أو في غالب الظن بأنهم عاجزون عن إصلاح الخلل فحينئذ لا داعي للتدخل لأنه قد يعقّد المشكلة أكثر.

خامساً: التدرج في عملية التدخل فيبدأ بالتلميح، فإن لم يُجد، فبالإرشاد نصحا ثم أمراً ونهياً. وفي بعض الأحوال لا بد من التوقف عند الأمر والنهي

وعدم اللجوء إلى وسائل أقوى للتأثير حتى لو لم يصلح الخلل. (١١٢)

ثانياً: التدخل لإصلاح الخلافات الزوجية

ويختلف هذا السبب عن سابقه بكونه يفترض وجود نزاع بين الزوجين لسبب ما فيتدخل الأهل لمحاولة التوفيق بينهما وحل النزاع، إما بطلب من أحد الزوجين وإما بدون طلب، مما قد يفضي في كثير من الأحيان إلى نتائج سلبية إذا لم يُحسن الوالدان التعامل مع المشكلة أو قاما بإجراءات تصعيدية ضد الطرف الآخر. أما السبب السابق فلا يفترض وجود خلاف بين الزوجين بل مجرد وجود عيب ما، من وجهة نظر الأهل، يشوب العلاقة بينهما.

والصورة الشائعة اجتماعياً لهذا السبب هي خروج الزوجة إلى بيت أهلها من غير رضا زوجها أو برضاه بعد خلاف ما نشب بينها وبينه، فأحياناً يتدخل الأهل إيجابياً بدعوة الزوج ثم محاولة الوقوف على سبب الخلاف ووضع حد له، وتعود المياه بعد ذلك إلى مجاريها. وفي أحيان أخرى لا يكون تدخل الأهل سليماً بسبب استماعهم إلى وجهة نظر ابنهم أو ابنتهم دون سماع وجهة نظر الطرف الآخر. فمثلاً ينصح أهل الزوج ابنهم بعدم الذهاب إلى بيت أهل زوجته وإحضارها لأن في ذلك إهداراً لكرامته وتضعيفاً لشخصيته أمامها وأمام أهلها، ويرفض أهل الزوجة أيضاً عودة ابنهم بنفسها إلى بيت زوجها لنفس السبب السابق، وبعد ذلك يبدأ الشد والجذب بين الطرفين: الزوج وأهله من جهة والزوجة وأهلها من جهة أخرى، ويستعمل كل طرف ما بحوزته من أسلحة للضغط على الطرف الآخر، وهنا قد تستخدم الزوجة وأهلها الأولاد لا سيما الصغار والرُّضَع كوسيلة للضغط على الزوج وذلك بأن يدعُوهم له، وهم يعرفون أنه لا يستطيع تدبُّر أمورهم. وقد يلجأ أبو الزوجة إلى المحكمة للمطالبة بنفقة الزوجة كوسيلة من وسائل الضغط أيضاً. أما أهل الزوج فقد يلجؤون إلى حث ابنهم على خطبة امرأة أخرى كوسيلة لإغاظة الزوجة وأهلها. وبعضهم يحث ابنه على رفع دعوى قضائية لإثبات نشوز الزوجة كوسيلة لإسقاط نفقتها. والحقيقة أن أكثر حالات الطلاق التي تنتج عن خلاف ما بين

الزوجين لا يكون سببها الخلاف نفسه، وإنما ما جرّه هذا الخلاف من خلافات أعمق بسبب التدخل غير السليم للأطراف الخارجية.

وهناك أمثلة كثيرة على مثل هذا التدخل غير السليم نكتفي منها بذكر هذه القصة التي أوردتها إحدى المجلات على لسان امرأة مطلقة: (تقول أم نايف - موظفة: إن تدخل الأهل في المشاكل الزوجية عادة ما يزيد من تعقيدها ويؤدي بالحياة الأسرية إلى الدمار، وأي حياة أسرية لا تخلو من الخلافات، وقد كانت هناك خلافات مادية بيني وبين زوجي وبحسن نية كنت أشكو لوالدي، إلا أنني فوجئت في يوم من الأيام بأمي وهي تصرخ في وجه زوجي وتعدد له سلبياته وتهدهده بأنه إذا لم يحسن معاملتي وينفق علي مثل باقي الأزواج فإنها سوف تأخذني من البيت، ولم أهتم كثيراً بما قالت، ولم أتخيل على الإطلاق أن يكون لزوجي ردة الفعل العنيفة التي ذهبت به لأن يتزوج عليّ ويضعني أمام اختيار أن أبقى أو أن أرحل، وفضلت البقاء إلا أن والدي تدخلت كعادتها وأصرت على الطلاق وقد كان، ومنذ أن حدث ذلك وأنا لا ألوم إلا نفسي لأنني فتحت بيدي الباب لتدخل أهلي فيما يحدث بيني وبين زوجي وكنت أعتقد أنها ستحل المشكلة ولم أكن أعلم أنها هي التي ستخلق المشاكل التي ليس لها حل) (١١٣)

وعلى العموم ينبغي على الأهل قبل التدخل مراعاة القواعد الآتية:

أولاً: يجب على الأهل سماع وجهة نظر الطرف الآخر، وعدم الاكتفاء بسماع وجهة نظر ابنهم أو ابنتهم. ولو أدى هذا إلى ذهاب أهل الزوجة أو الزوج بنفسهم إلى الطرف الثاني لسؤاله عن سبب الخلاف وإمكانية حله.

ثانياً: مع الاعتراف بأن ترك المشكلة بدون حل لمدة من الزمن يكون في بعض الأحيان جزءاً من عملية الحل إلا أنه لا ينبغي أن تطول كثيراً فترة إقامة الزوجة في بيت أهلها من غير مبادرات للإصلاح من هذا الطرف أو ذاك. لأن إهمال المشكلة في هذه الحالة قد يدفع الطرف الآخر إلى التصعيد كوسيلة من وسائل الرد على الإهمال. وحينئذٍ يتسع الخرق على الرقع.

ثالثاً: قد يكون من الحكمة في بعض الحالات التي يأنف فيها الزوج أو أهله والزوجة أو أهلها عن محاولة الذهاب إلى الطرف الآخر والجلوس معه لحل المشكلة، توسيط بعض أهل الخير لمحاولة الجمع بين الطرفين على أن يبدو أن توسطهم هذا كان بمبادرة ذاتية منهم.

رابعاً: أن لا يلجأ الأهل إلى المحاكم إلا أن يكونوا قد استقروا. بعد استنفاد الحلول الممكنة. على أن العلاقة بين هذين الزوجين هي علاقة مستحيلة والحل الأنسب بالنسبة لهما هو الطلاق، ثم رَفَضَ الزوج أن يطلق بالإحسان، بعيداً عن أروقة المحاكم.^(١١٤)

خامساً: على الحَكَم أو المصلح أن يعلم أن الصدق أحياناً في إصلاح ذات البين قد ينطبق عليه عنوان محرّم كالنميمة، فإن قال المصلح ما سمع من كلّ من المتخاصمين للآخر يكون من حيث لا يدري سعى بينهما بما يترتب عليه زيادة الخلاف وتعميق الشقاق وزيادة بُعد المسافات فيكون مشاءً بالنميمة بين المؤمنين، هذا من جهة فإنّ الصدق هنا حيث يكون مصداقاً للنميمة لا شكّ أنه حرام.

وثمة أمر آخر لو اضطرّ المصلح للكذب حتى يقرب بين القلوب ويجمع بين النفوس أن ينسب كلاماً لأيّ من المتخاصمين بما يؤدي إلى ردم الهوة وسدّ الفجوة فقد يجب أحياناً ولا يكون هذا من الكذب الحرام، فلو سمعت أم الزوج من كَنَّتْها بأنها قد تكلمت بسوء بحق ولدها كأن تكون قد سبته وشتمته، فلتقل لابنها: (إن زوجتك تحبك وتحترمك، ولا تتكلم عنك بسوء، بل تمدحك... إلخ)، فهذا النوع من الكذب تؤجر عليه ولا تآثم لأنها بصدد الإصلاح ما بين اثنين، روي عن أحد الصادقين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «إن الله أحب الكذب في الإصلاح، وأبغض الصدق في الإفساد».^(١١٥)

بل إن حفيده الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أخرجه أصلاً من صدق عنوان الكذب، مبالغة في الإشارة إلى حليّته وعدم حرّمته حيث قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّ المصلح

ليس بكذاب، إنّما هو الصلح ليس بكذب». (١١٦). (١١٧)

المطلب الثالث: القواعد التي يجب على الزوجين مراعاتها

هناك بعض القواعد التي ينبغي على الزوجين مراعاتها من أجل الحدّ من تدخّل الأهل السلبي، وسنطرح أبرزها في النقاط الآتية:

١- الحرص على امتلاك رصيد عاطفي في قلوب أهل الزوج: أن من الدوافع التي تؤدي إلى تدخّل أهل الزوج السلبي ضد الكنّة هو أنها لا تملك رصيداً عاطفياً في قلوب أهل الزوج. فلو اعتبرت الكنّة أن أهله بمثابة أهلها وأحبّتهم كما تحب أهلها، ولا تحمل بقلبيها حقدا عليهم كما تفعل ذلك مع أهلها، فسوف يقل التدخل السلبي، وهكذا الحال مع الزوج الذي ينبغي أن يهتم بأن يكون لديه رصيد في قلوب أهل الزوجة.

لذا نقول: ينبغي أن تكون الزوجية ذكيّة وتحاول كسب محبتهم بطرق متعددة منها (الاحترام)، فهو القاعدة الكبرى بالتعامل مع أهل الزوج والزوجة، فمهما كانت طبيعة التدخل الذي يمارسه الأهل في الحياة الزوجية للأبناء؛ لا بد أن يكون احترام مقامهما وسنّهما هو المنطلق الأساسي للتعامل معهما، اتفقي مع زوجك على احترام آراء الأهل واستشارتهم للاستفادة من تجاربهم وخبرتهم في الحياة، فإذا كانت آراءهم سليمة وموافقة للشرع والعقل فيمكن الأخذ بها وإلا ارفضوها بطريقة لا تسبب فجوة فيما بينكما بالحكمة والتغافل».

٢- حل الخلافات الزوجية في الكواليس، إن استدعاء الأهل لحل الخلافات بين الزوجين أو حتى الفضفضة لهم حول مساوئ الطرف الآخر والنزاعات الزوجية يفتح الباب على مصراعيه لتدخلات لا تنتهي، لذلك على الزوجين أن يحلوا مشاكلهما في الكواليس بعيداً عن الجميع، وإذا تعسر الحل قد يكون من الحكمة طلب استشارة زوجية مختصة بدلاً من اللجوء إلى الأهل أو الأقارب الذين تدخلهم سلبي وليس إيجابي، خاصّةً لمن يتوجس أو يخشى تدخل الأهل في زواجه، أو دوران قصص بيته على الألسن وفي مجالس الجيران

والجارات! (١١٨)

٣- رسم الحدود الواضحة للأسرة الصغيرة، إن أفضل طريقة لإيقاف تدخلات الأهل هي الحوار بين الزوجين بشأن دور الأهل في حياتهم والاتفاق على الأمور المسموح وغير المسموح للأهل للتدخل فيها ووضع الحدود للزيارات والمكالمات، مع مبدأ التقدير والاحترام للأهل باستشاراتهم في أمور لا تمس بخصوصية الزوجين لطمأنتهم أنه مازال لهم مكانة في حياة الأبناء وأنه لا يمكن الاستغناء عنهم. (١١٩)

٤- قد تكون المشكلة في حساسية الزوجة المرتفعة لخصوصيتها -أو حساسية الزوج- ما يجعل كل ما يقوم به الأهل يبدو تدخلاً فظاً وإن لم يكن كذلك، فينبغي على الحساس أن يسعى لمعالجة المبالغة في حساسيته. (١٢٠)

فبعض النساء ترفض أن يتدخل أهل الزوج رفضاً قاطعاً في بعض الأمور الثانوية كتدخلهم في لباسها أو لباس الأولاد وفي أكلهم وفي تحركاتهم وتزعج من ذلك وتنفعل، إن هذه الزوجة التي تبالغ في ذلك سوف يأتيها التدخل من قبل الأهل بشكل أقوى لأن سيحصل هناك عناد من قبل الأهل تجاهها، لذلك ينبغي أن تمنحهم مساحة للتدخل وإبداء رأيهم، وبعدها أبدي رأيك... واختاري ما تريه الأهل، فإذا كان رأيك هو الأصلح فاغلقي الموضوع أمام الأهل بطريقة ذكية كأن تقولين: (إن شاء الله سأفعل) وانتهى الأمر.

٥- مراعاة الأعراف الاجتماعية قدر الإمكان: حيث ينبغي على الزوجين مراعاة الأعراف السائدة اجتماعياً وعدم الخروج عليها علناً، حتى لو كانت غير منطقية بشرط أن لا تكون معارضة لأحكام الشريعة، فعلى سبيل المثال تَعْتَبِر بعض البيئات أو كثيرٌ منها أن قيام الزوج ببعض أعباء الخدمة المنزلية عيباً قادحاً في رجولته وشخصيته، وعلامةً على سيطرة الزوجة عليه وتحكمها به. مع أن الشرع والمنطق لا يمنعان من هذا الأمر بل يحثان عليه، فأمر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعِظْمَتِهِ كَانَ يَخْدُمُ الزَّهْرَاءَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَيُنْقِي لَهَا الْعَدَسَ. (١٢١)

لكن مع ذلك ينبغي على الزوج أن يوعي أهله ويثقفهم بالثقافة الإسلامية، ويخبرهم بأن بعض العادات والأعراف باطلة؛ لأنها تتعارض مع الشرع. وأما إذا كان أهله من النوع الذي لا يقبل النصيحة، فيمكنه أن يخفي أمام أهله هذا الأمر ولا يجهر بخدمة بيته أمامهم مراعاةً للعرف السائد عندهم، وكذلك على الزوجة أن تراعي هذا الأمر فلا تتحدّث -أمام أهل زوجها- بمعاونة زوجها لها وتتفاخر بذلك. ورحم الله من قال: لا تفعل ما يسبق إلى الناس إنكاره ولو كان عندك اعتذاره. (١٢٢)

٦- هناك معلومة مهمة ينبغي أن تعرفها الزوجة وهي أن المرأة في الغالب تحب أن تستشير وتستفيد من الآخرين ولا ترى في ذلك عيب أو نقص بينما الرجل يرى ذلك نقصاً في شخصيته، ولهذا نلاحظ أغلب الرجال يرفضون الاستشارة الزوجية لسببين، إما أنه يرى أنها تنقص من قدره لأنه لم يستطع علاج المشكلة أو لأنه لا يريد أي شيء من حياته الخاصة يخرج للآخرين لأنها تهدد سمعته، لذا ينبغي إقناعه بأن الاستشارة لا تنقص من قدر الإنسان (١٢٣)، فالله حثنا عليها قائلاً: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾. (١٢٤)، ولنا في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة حينما كان يستشير بعض أصحابه، والعقل يحكم بحسن الرجوع إلى أصحاب الاختصاص كالمستشارين.

الخلاصة: إن التدخل الإيجابي للأهل نعمة، وأن التدخل السلبي نقمة، فلذا وجب على الأهل الحذر من عقاب الله، ونقول لهم:

✦ للتدخل له حدود فلا تتجاوزوها ... يذكر أحد المستشارين بأن أحد الآباء اعترض وقال أليس من حقنا الاطمئنان على حياة ابنتنا مع زوجها؟ فقال له: نعم من حقك، ولكننا نفرق بين التدخل وبين الاطمئنان، فالاطمئنان يعني السؤال، والتدخل يعني اتخاذ موقف والكلام مع الطرف الآخر وتوجيهه أو تحذيره وهذا ما لا نريده إلا في حالات خاصة يكون التدخل فيها إيجابياً.

✦ أيها الأهل إذا ما وجدتم أن خلافاً موجوداً في حياة ابنكم أو ابنتكم فلتكن

نظرتكم إلى هذا الخلل نظرة عادلة وموضوعية ولتستمعوا إلى الطرفين، ولتكونوا كالإطفائي الذي يبادر إلى إطفاء الحريق هنا وهناك؛ كي لا تنتشر فيحرق إرجاء البيت، حاولوا أن تتحلوا بالموضوعية وأن تكونوا عادلين.

❖ كونوا على حياد واقتصروا بالتدخل على الأمور المفصلية الحساسة، وليعلم أهل الزوج أن ابنهم أصبح رجلاً يمتلك أن يقرر عن نفسه ويمتلك أن يقول لا ونعم، اتركوه يجرب ويخطئ ويتعلم من خطئه، ولكن لا تتدخلوا معه إلا وقت الحاجة في الأمور المفصلية كما قلنا.

❖ ونقول لأهل الزوجة: ابنتكم سعادتها مع زوجها وعودتها إليكم لن يُحل مشكلة، بل سيضيف مشكلة إلى مشكلتها فلتحافظوا على العلاقة الزوجية واتركوا ابنتكم تحل مشاكلها، ولا تتدخلوا إلا في الحالة القصوى التي تستدعي التدخل في الأمور المفصلية أيضاً. (١٢٥)

❖ وأخيراً نقول للأهل وبالأخص إلى والدي الزوجين، اعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٢٦)، فأى كلمة وأي حركة نقوم بها فنحن محاسبون عليها، ولا تنسوا أن أعمالنا هذه سيطّلع عليها أيضاً الرسول وآل الرسول، ومنهم صاحب الذكرى الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهم ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٧) وفي مصادرنا العديد من الروايات التي تثبت اطلاعه على علم الغيب بإذن الله، نذكر منها ما رواه القطب الراوندي بأن جماعة من أهل أصفهان قالوا: «كان بأصفهان رجل يقال له عبد الرحمن، وكان شيعياً. ف قيل له: ما السبب الذي أوجب عليك القول بإمامة عليّ النقيّ دون غيره من أهل الزمان؟

فقال: شاهدت ما أوجب عليّ ذلك. وذلك أنني كنت رجلاً فقيراً وكان لي لسان وجرأة، فأخرجني أهل أصفهان سنة من السنين مع قوم آخرين فجئنا إلى باب المتوكل متظلمين.

وكنّا بباب المتوكل يوماً إذ خرج الأمر بإحضار عليّ بن محمد الرضا عليه السلام. فقلت لبعض من حضر: من هذا الرجل الذي قد أمر بإحضاره؟
ف قيل: هذا رجل علويّ تقول الرافضة بإمامته. ثم قيل: ونقدّر أنّ المتوكل يحضره للقتل.

فقلت: لا أبرح من هاهنا حتى أنظر إلى هذا الرجل أيّ رجل هو.
فأقبل راكباً على فرسيّ وقد قام الناس صفين يمنا الطريق ويسرتها ينظرون إليه... فلما رأيته وقفت فأبصرته، فوقع حبه في قلبي، فجعلت أدعو له في نفسي بأن يدفع الله عنه شرّ المتوكل.

فأقبل يسير بين الناس وهو ينظر إلى عرف دابّته لا يلتفت يمناً ولا يسرةً، وأنا أكرّر في نفسي الدعاء له .. فلما صار بإزائي أقبل بوجهه عليّ وقال: قد استجاب الله دعائك، وطوّل عمرك، وكثّر مالك وولدك. قال: فارتعدت من هيبتة، ووقعت بين أصحابي .. فسألوني: ما شأنك؟

قلت: خير .. ولم أخبرهم بذلك... فانصرفنا بعد ذلك إلى أصفهان، ففتح الله عليّ وجوهاً من المال حتى أنّي اليوم أغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم سوى مالي خارج داري!. ورزقت عشرةً من الأولاد، وقد بلغت الآن من عمري نيّفاً وسبعين سنةً، وأنا أقول بإمامة هذا الرجل الذي علم ما في قلبي، واستجاب الله دعاءه فيّ وليّ»^(١٢٨)

يا سيدي يا مولاي يا أبا الحسن يا عليّ بن محمّد، أيّها الهادي النقيّ يا بن رسول الله يا حجة الله على خلقه يا سيّدنا ومولانا، نحن خدامكم، ونحن لدينا حوائج نرجو أن تقضوها لنا، فأنتم دعائكم مستجاب، وأنتم أفضل وسيلة لنا عند الله.. فبحق هذا اليوم العظيم الذي ولدت فيه إنّنا توجّهنا واستشفّعنا وتوسّلنا بك إلى الله، وقدّمناك بين يدي حاجتنا، يا وحيهاً عند الله إشفع لنا عند الله.

أبوذيات في مولد الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ (١٢٩)

فرحنا والفرح واجب
وعلى كل البشر بهم
يلائم مولد الهادي
علينا
علينا
علينا

تلوم ابكيفك وانا اشعليه

يا شيعة نعلن الفرحة
إلى اللي عالبحر كلهم
ونفخر بالسعد عالي
تعالوا
تعالوا
تعالوا

جمعنا مولد الهادي سويه

هوسات بالمناسبة (١٣٠)

علي الهادي املنه ويا فخرنه

هلا بميلادك التّم فرحنه
فِرْح هاليوم وتفاخر شعبنه
هالمولد نور وافراح

علي مولاي جيتك حابر بُهمي
حبيبي من ازورك يرتعش جسمي
لان حبك يسير و يجري وي دمي
يا لهادي بُجاهك تكفيني



٣ رَجَبُ

شهادة الإمام علي الهادي عليه السلام

عِظَةُ اللَّهِ الرَّجْوِيَّةُ

المناسبة

شهادة الإمام علي الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة: للشيخ حسن فرج العوامي

رزوْكَ اليومَ قد أذاب فؤادي	يا تقيَّ العبادِ يا ابنَ الجوادِ
بالتهاپِ وزفرةٍ واتقاد	ودعت مقلتي تصبُّ دموعا
ليس يُقضى وماله من نَفاد	إنَّ همًّا أذاب قلبي وجدا
مالهنَّ انتهأ بل في ازديا	كيف يقضي وفادحاتُ الليالي
قد تركتِ جفني حليفَ السُّهاد	حسبُك اللهُ يا صروفَ الليالي
للذي ناله عليُّ الهادي	وتركتني قلبي يشبُّ ضراما
أحرموه الجوار للأجداد	أخرجوه من أرض طيبة كُرها
ونالوه بالأذى والعناد	بعد ذا أنزلوه خانَ الصعاليكِ
بدون إطفاءِ نوره الوقاد	صيّروه في السجن كُرها يريد
أفتديه بالأهل والأولاد	جرّعوه سما فلهفي عليه
بعده الدينُ فاقدًا للعماد	فقضى نحبّه عليُّ فأضحى
وله المجد لابسٌ للسواد	وله الكون كاسفُ اللون حزنا
أهٍ وا والدي وا سِنادي ^(١٣١)	وله العسكريُّ أصبح يدعو

(أبوذية)

هله عدهم خبر مسموم ماته

صحت ابصوت يا بالحسن ماته

اولا يبيگه طرح اعله الوطيه

ابوالعسكري انشيعة انريدماته

(أبوذية)

او عليه امن البواچي اگلوب يارن

على الهادي عزه هليوم يارن

وتشيل اجنازته لبن الزكيه

الشيعة اعيونها عالنعش يارن

(أبوذية)

اونشرت للحزن أسود علمها

صاح الناعي والشيعة علمها

او تيتم شرع دين
الله او نبيه (١٣٢)

علي الهادي غضه معدن علمها

المحاضرة الثالثة

الخُمس... فريضة إلهية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾. (١٣٣)

الخمس في اللغة: أخذ واحد من خمسة، وخمستُ القوم: أخذت خمس أموالهم^(١٣٤)، أما معناه الاصطلاحي الفقهي فالخُمس، بمعنى دفع ما يفضل عن مصاريف الإنسان السنوية المعبّر عنها شرعاً بـ«المؤنة»، والأموال الأخرى مثل المعدن والكنز بشروط مذكورة في كتب الفقه.^(١٣٥) ولمعرفة الأحكام الشرعية المختصة بالخمس بأسلوب مبسط ننصح بقراءة كتاب (الفتاوى الميسرة)، وفق فتاوى سماحة السيد السيستاني (دام ظله)، تأليف: عبد الهادي محمد تقي الحكيم، وتختارون (حوارية الخمس)، ويمكنكم تحميله من المتصفح الإلكتروني.

إنّ الخمس من المواضيع المهمة في الفقه الإسلامي خصوصاً الفقه الإمامي. يقول كل الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله) عن الخمس: وهو في أصله من الفرائض المؤكّدة المنصوص عليها في القرآن الكريم، وقد ورد الاهتمام بشأنه في كثير من الروايات المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، وفي بعضها اللعن على من يمتنع عن أدائه، وعلى من يأكله بغير استحقاق.^(١٣٦)

وعندما نأتي للواقع نأسف لما نجد (الكثير من المؤمنين ممن يدعون حيمهم للأئمة ويبدون أشواقهم للقاء إمام زمانهم (عج) في زمن الغيبة والحال أنهم

معرضون عن أهم الواجبات الشرعية التي بينها الإمام الحجة في حديث من أحاديثه الشريفة والنادرة، وهي مسألة الخمس. فقد ورد في توقيع من تواقيعه الشريفة: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ عَلَى مَنْ أَكَلَ مِنْ مَالِنَا دِرْهَمًا حَرَامًا».^(١٣٧)، فكيف يكون حال من يتمنى لقاء الإمام (عج) ثم يحظى باللقاء وهو مقصر في واجب من الواجبات، ألا يعاتبه الإمام (عج) معاتبة شديدة، حتى يتمنى لو أنه لم يتم اللقاء بينهما!؟

ومن الغريب أن الذين يعانون من الوسواس في الطهارة والنجاسة، لا يعانون من هذا الوسواس في مسألة الخمس ودفع الحقوق الشرعية. فلم نرَ أن أحداً من المؤمنين قال لشيخ: لقد خمست أموالى ولكنني قلق ألا أكون قد خمستها بالصورة الصحيحة فحبذا لو خمستها لي مرة أخرى، كما يعيد وضوءه وصلاته. بل الشيطان يريد من المؤمن أن يعاني من الوسواس في الطهارة والنجاسة ولا يشعر بهذه الحالة تجاه الحقوق الشرعية وإعطاء حق الله ورسوله.^(١٣٨)

وبعض الناس يظنون: أنهم إذا أرادوا الذهاب إلى الحج وجب عليهم أن يخمسوا مع العلم أن الخمس واجب كالصلاة والصيام. ولأهمية هذا الموضوع ارتأينا أن نطرحه عليكم في المباحث الآتية:

المبحث الأول: تفسير الآية الكريمة

هذه الآية هي الوحيدة في القرآن الدالة على وجوب الخمس بشكل واضح وصريح، وموردها وفق نزولها هو غنائم الحرب، إلا أن المورد لا يخصص الوارد كما هو المعروف والثابت عند علمائنا، وإلا لتعطلت الكثير من الآيات والأحكام، روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض»^(١٣٩) ومن هنا فإن كلمة «غنتم» الواردة في الآية تدل على كل ما يكسبه الإنسان ويستفيده من تجارة أو حرب أو عمل أو غير

ذلك كما هو مقرر في الفقه في باب الخمس.

وتدل الآية أيضاً بنصّها الصريح على أنّ الخمس لا بدّ من تقسيمه على الموارد الستّة التي ذكرتها الآية الكريمة وهي:

أولاً: سهم الله عزّ وجل.

ثانياً: سهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

ثالثاً: سهم قرابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والمراد به الإمام المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ بإجماع الفقهاء.

وهذه الأسهم الثلاثة هي التي يُطلق عليها اسم «سهم الإمام» عَلَيْهِ السَّلَامُ في زماننا.

رابعاً: سهم اليتامى من نسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من ابنته فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

خامساً: سهم المساكين من نسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من ابنته فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

سادساً: سهم أبناء السبيل من نسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من ابنته فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ

وهذه الأسهم الثلاثة الأخيرة هي التي يُطلق عليها اسم «سهم السادة» في زماننا.

وقد وردت رواياتٌ عديدة تفسّر كيفية هذا التقسيم للأصناف الستّة، نختار منها الرواية التالية الواردة عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير آية الخمس ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ...﴾ قال: «إنّ خمس الله للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،

وخمس الرسول للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخمس ذوي القربى لقراءة الرسول الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، واليتامى هم يتامى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والمساكين منهم، وأبناء السبيل منهم فلا يخرج منهم إلى غيرهم». (١٤٠). (١٤١)

وأما سبب إن خمس الله للرسول وبدوره إلى ذوي القربى المتمثل بإمام الزمان، (فليس من المعقول أن يكون لله التصرف المباشر في ملكه الاعتباري بأن يأخذ الخمس ويصرفه في أموره الخاصة، ولهذا لا بد من دفع هذا الخمس إلى خليفة الله تعالى القائم مقامه في تدبير أموره على وجه الأرض، وهو خليفة الله في الأرض، فيأخذ سهم الله ليصرفه في سبيل الله.

وأما سبب كون سهم اليتامى والمساكين وأبناء السبيل هو للسادة لأن الله حرم الصدقة على من هم من نسل هاشم من جهة الأب كما ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْنَا الصَّدَقَةَ أَنْزَلَ لَنَا الْخَمْسَ، فَالْصَّدَقَةُ عَلَيْنَا حَرَامٌ، وَالْخَمْسُ لَنَا فَرِيضَةٌ، وَالْكَرَامَةُ لَنَا حَلَالٌ». (١٤٢) وأما سهم الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو المتعارف صرفه على كل ما يقوي أركان الإسلام وازدياد المؤمنين وتثبيتهم على دينهم وعلى بناء المشاريع والصرف على المحتاجين من السادة من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل. (١٤٣)

المبحث الثاني: مشروعية الخمس

سنطرح في هذا المبحث سؤاليين يتبادران في أذهان بعضنا، وهما:

السؤال الأول: ما هي الأدلة الشرعية على وجوب الخمس، ولماذا أهل السنة لا يعترفون بالخمسة بل فقط بالزكاة، ولماذا لا يُخرج الشيعة الزكاة؟

الجواب: من المواضيع المُخْتَلَف فيها بين الشيعة والسنة هو إخراج الخمس من أرباح المكاسب، وكل ما حصلوا عليه من أموال طيلة سنتهم، وذلك لورود أدلة شرعية تثبت وجوب الخمس من القرآن والسنة.

فمن القرآن صرّح الله تعالى بذلك قائلاً: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. (١٤٤)

ومن السنة وردت عشرات الروايات منها ما روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أمركم بأربع: الإيمان بالله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدّوا لله خمس ما غنمتم». (١٤٥)

فالشيعية - امتثالاً لأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يخرجون خمس أرباح مكاسبهم وما حصلوا عليه من أموال طيلة سنتهم، لأنهم يفسّرون معنى الغنيمة بكل ما يكسبه الإنسان من أرباح بصفة عامّة. أمّا أهل السنة فقد أجمعوا على تخصيص الخمس بغنائم الحرب فقط، وفسّروا قوله تعالى: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ...) يعني ما حصّلتكم عليه في الحرب. وما ذهب إليه أهل السنة من تخصيص الخمس بغنائم الحرب غير صحيح، وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: إن هذا القول مخالف لإجماع أهل اللغة في معنى كلمة (الغنيمة)، فانهم يصرحون باشمالها على كل ما ظفر به من الفوائد والأرباح والمكاسب وغنائم الحرب. (١٤٦)

وقد صرّح القرطبي في تفسيره (٨: ٤) بأن الآية تشمل - كما تقتضيه اللغة - مطلق الفوائد والأرباح وأنها غير مختصة بغنائم دار الحرب وذكرها لغنائم دار الحرب إنما كان من جهة بيان أحد المصاديق (١٤٧). يقول العلامة مرتضى العسكري: ولو كانت الآية تقصد وجوب أداء الخمس مما غنموا في الحرب خاصة، لكان ينبغي أن يقول عز اسمه: (واعلموا أن ما غنمتم في الحرب)، أو (أن ما غنمتم من العدى)، وليس يقول (أن ما غنمتم من شيء). (١٤٨)

ثانياً: ورد في بعض الأحاديث في المصادر السنية في تخميس موارد ليست من غنائم الحرب، فجاء أنه (في الركاز (١٤٩) الخمس) (١٥٠)، مما يؤيد عدم انحصار قانون الخمس في غنائم الحرب فحسب.

ثالثاً : هناك من يرى من أعلام السنة وجوب الخمس في غير غنائم الحرب من الكنز وغيره، فمثلاً ينسب البخاري إلى الحسن وجوب الخمس في العنبر واللؤلؤ^(١٥١)، ونقل بعضهم وجوب الخمس في المعدن عن عدة، منهم أبي حنيفة والزهري وأصحاب الرأي.^(١٥٢)

رابعاً : إنّ بعض الأعلام من أهل السنة كابن حزم يعتمد على نفس الآية المذكورة في استدلاله لوجوب الخمس في الكنز^(١٥٣)، وهذا إنما يدل على التزامه بإطلاق الآية، أي أنه يعتقد بأن آية الغنيمة لا تختص بغنائم الحرب، بل وتعم كافة الاكتسابات والفوائد.^(١٥٤)

خامساً : ورود العديد من الأخبار المستفيضة عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بوجوب الخمس.^(١٥٥)

ونستغرب ممن ينكر الخمس (لماذا لا ينظرون إلى أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ باعتبارهم علماء الأمة ونرجع إليهم في الاختلافات كما نرجع إلى لسان العرب وتاج العروس والمنجد وغيرها من كتب اللغة؟ لماذا لا يعددهم الخصم في مستوى هؤلاء على أقل التقادير؟، لقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حديث لا بد أن نجعله نصب أعيننا، وهو قوله: «حَدِيثِي حَدِيثُ أَبِي وَحَدِيثُ أَبِي حَدِيثُ جَدِّي وَحَدِيثُ جَدِّي حَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ وَحَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». ^(١٥٦)، ومع حذف هذه الوسائط الأمانة تصبح النتيجة؛ حديثي قول الله عز وجل. فلماذا لا نرجع إلى كلماتهم الشريفة لفهم كتاب الله عز وجل؟ وكما يقال: أهل البيت أدري بما في البيت.^(١٥٧)

ولكن الحقيقة أن سبب من ضيق دائرة نطاق اللفظ هو ليحصرها على مورد واحد من موارد الغنيمة كانت دوافعه سياسية معروفة. فأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومن تبعهم كانوا يشكلون قوة خطر دائم على النظام، وعلماء البلاط لا يفتنون إلا بما يضمن مصالح النظام ودفع أي احتمال خطر يحيط بهم الآن

أو مستقبلاً.

ولغرض إضعاف القوة الهاشمية الناشطة آنذاك ولغرض فرض حصار اقتصادي يوجب شل حركة الهاشميين أولوا الغنيمة إلى كل ما يكسبه المقاتل في الحرب وألغوا جميع معانها الأخرى، وبذلك عطّلوا عاملاً قوياً ومهماً في تنشيط الهاشميين وتفعيل تحركاتهم. هذا هو سبب حصر اللفظ على معنى واحد لا يستقيم. (١٥٨)

وأما قولكم: لماذا لا يخرج الشيعة الزكاة؟

فردّ عليه: من قال إن الشيعة لا يؤتون الزكاة؟، هذا الكلام لا أساس له، فلقد أجمع فقهاء الشيعة على أن الزكاة فريضة ومن الأركان التي بني عليها الإسلام، ووجوبها من ضروريات الدين، ومعلوم أن الزكاة واجبة في النقدين، والأنعام (الغنم. البقر. الإبل)، والغلات الأربع (الحنطة. الشعير. التمر. الزبيب)

والمقصود بالنقدين (النقود المسكوكة من الذهب والفضة) ودنانير ذهبية ودراهم فضية) المتداولة في التعاملات كالبيع والشراء. ولكن ألغي التعامل بالمسكوكات (النقود) الذهبية والفضية (الدراهم والدنانير) واستعوض عنها بعملات نقدية ورقية، وحتى المعدنية منها ليست من الذهب والفضة، ولقد عدّ كثير من الفقهاء أن حكم هذه الأخيرة ليس كحكم المسكوكات الذهبية والفضية، فلا زكاة فيها، فإذا فاض عنها شيء في آخر السنة، وجب إخراج خمسها، لكونها غنيمة. ويضيف الشيعة إلى ذلك أرباح التجارات، وما زاد عن مؤنة السنة، من قبيل الفائض من مدخرات الأرز والطحين والتمر الخ..

ومن هنا أصبح الخمس طاغياً على زكاة المال في العُرف الشيعي، لاسيما مع انحسار رعي الأنعام الثلاثة (الإبل والبقر والغنم) وزراعة الغلات الأربعة (القمح والشعير والتمر والزبيب) في الحياة المدنية المعاصرة، والتي تعد الموارد الأخرى التي تجب فيها زكاة المال. علماً بأن من يخمس فإنما يؤدي نوعاً من أنواع الزكاة بالمعنى العام. (١٥٩)

سؤال رقم (٢): يوجد في القرآن الكريم العشرات من الآيات حول الزكاة، لكن للخمس آية واحدة فقط، فلماذا يحرص الشيعة على الخمس دون الزكاة؟!

الجواب: قولكم: (إن الشيعة يحرصون على الخمس دون الزكاة) فهو مردود ولقد اجبنا عليه قبل قليل. ولكن نودّ أن نلفت انتباهكم إلى عدة أمور ليتضح من خلالها المطلوب:

أولاً: من قال إنّ كثرة الآيات في مورد لها دخالة في أهمية الحكم، بحيث إنّ من ورد فيه آيات كثيرة يكون بمستوى من الأهمية دون غيره؟ ولنبين المطلوب بصورة أجلى: نقول:

نحن نرى أن هنالك كلمات وأسماء ذكرت أكثر من اسم رسول الله صلّى الله عليه وآله « محمد ». فاسم سيّدنا موسى على رسولنا وآله وعليه السّلام والصلوات ذكر في القرآن العزيز ١٣١ مرّة، والملائكة ٤١ مرّة، والإنسان ٦٤ مرّة، وبني إسرائيل ٣٧ مرة الخ، ولم يعتقد ولم يقل أحد بأهميّة وشأن أصحاب الأسماء المذكورة مقابل شأن ومرتبة أشرف الخلق « محمد » صلوات الله عليه وآله. فكثرة وتكرار اسم ما لا يدل على الأهميّة.

ثانياً: الزكاة بحسب ما تعطيه اللغة هي أعمّ من الزكاة المصطلحة في عرف المتشرعة ومعناها عند الإطلاق أو عند مقابلتها بالصلوة إنفاق المال لوجه الله سبحانه وتعالى، وحينئذ فإنّ جلّ الآيات التي ورد فيها ذكر الزكاة لم يرد بها الزكاة المصطلحة بل مطلق ما ينفق في سبيل الله، ويدلّ عليه ما ورد من الآيات في حقّ الأنبياء السابقين قبل تشريع الزكاة في ديننا الحنيف كقوله تعالى في إبراهيم واسحاق ويعقوب: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ﴾ (١٦٠)، وقوله في إسماعيل: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ (١٦١)، وقوله حكاية عن موسى في المهد: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (١٦٢)

ومن المعلوم أن ليس في شرائعهم الزكاة المالية بالمعنى الذي اصطلح عليه في

الإسلام. وكذا قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(١٦٣)، وقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾^(١٦٤)، وقوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(١٦٥)، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾^(١٦٦)، وغير ذلك من الآيات المكية وخاصة السور النازلة في أوائل البعثة كسورة حم السجدة وغيرها ولم تكن شرّعت الزكاة المصطلحة بعد، فليت شعري كيف يحقّ لأحد أن يفسرها في الزكاة المصطلحة وهي لم تشرّع بعد؟!

ثالثاً: إنّ مصادر التشريع الإسلامي غير منحصرة بالقرآن الكريم، بل إنّ أكثر الأحكام مأخوذة من السنة النبوية الشاملة عند مذهب أهل البيت لسنة الأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد صحح وتواتر النقل عنهم في وجوب الخمس في المكاسب والأرباح على تفصيل بيّنه الفقهاء في بحوثهم ورسائلهم، بل إنّ في صحاح أهل السنة ما يدلّ على وجوب الخمس في الغنائم بمعنى المكاسب والأرباح أيضاً.^(١٦٧)

المبحث الثالث: أهمية الخمس

إنّ للخمس أهمية كبيرة في حياة الفرد الدنيوية والأخروية، وسنشير إليها في النقاط الآتية:

أولاً: لامتحان إيمان الإنسان: إنّ الله فرض الخمس من أجل امتحان إيمان الإنسان، هل حبه لله تعالى ولرسوله وآله أكبر من حبه للمال والمقامات الدنيوية؟، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١٦٨)، فلو كان حبنا لله ولرسوله صادقاً لأخرجنا الخمس، فقد روي عن الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال عندما قرأ عليه آية الخمس: (ما كان لله فهو لرسوله، وما كان لرسوله فهو لنا، ثم

قال : والله لقد يسر الله على المؤمنين أرزاقهم بخمسة دراهم جعلوا لرهبهم واحداً وأكلوا أربعة احلاء، ثم قال هذا من حديثنا صعب مستصعب لا يعمل به ولا يصبر عليه إلا ممتحن قلبه للإيمان).^(١٦٩) ويبدو أن إعطاء الخمس من مظاهر هذا الامتحان الإلهي، فمن أعطى الخمس بطيب نفس وابتهاج وسرور، فإن ذلك من علامات الإيمان ولا يصبر عليه إلا ممتحن قلبه للإيمان.^(١٧٠)

ثانياً: يترتب على الخمس آثار دنيوية عديدة، نذكر منها الآتي:

١- الخمس سبب في تقوية الدين، ونصرة لأهل البيت عليهم السلام، وكفارة للذنوب، وسبب في شمول دعاء الإمام عليه السلام، فقد روي عن محمد بن زيد الطبري قال : كتب رجل من تجار فارس من بعض موالي أبي الحسن الرضا عليه السلام يسأله الأذن في الخمس ، فكتب إليه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الله واسع كريم ، ضمن على العمل الثواب ، وعلى الضيق الهم ، لا يحل مال إلا من وجه أحله الله ، إن الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالاتنا وعلى أموالنا ^(١٧١) ، وما نبذله ونشتري من أعراضنا ممن نخاف سطوته ، فلا تزووه عنا ، ولا تحرموا أنفسكم دعاءنا ما قدرتم عليه فإن إخراجهم مفتاح رزقكم ، وتمحيص ذنوبكم ، وما تمهدون لأنفسكم ليوم فاقتكم ، والمسلم من يفي لله بما عهد إليه ، وليس المسلم من أجاب باللسان وخالف بالقلب ، والسلام ».^(١٧٢)

٢- الخمس يدفع البلاء: عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «الصدقة تمنع سبعين نوعاً من أنواع البلاء»^(١٧٣) ، فإن من مصاديق الصدقة هو الخمس؛ لأن الصدقات تنقسم إلى قسمين: صدقة واجبة، وصدقة مستحبة، فأما الواجبة فهي الزكاة، والخمس، وزكاة الفطرة.^(١٧٤)

٣- الخمس يزيد العمر: عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «تصدقوا، وداووا مرضاكم بالصدقة، فإن الصدقة تدفع عن الأعراض والأمراض، وهي زيادة في أعماركم وحسناتكم»^(١٧٥)

٤- الخمس يدفع ميتة السوء: عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «البرّ والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان سبعين ميتة سوء»^(١٧٦)

٥- الخمس يحقق التكافل الاجتماعي لأن فيه مواساة الفقراء وسد حاجات البؤساء والمحتاجين، ويجمع القلوب المشتتة على الإيمان. روي عن الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «وجعل للفقراء . قرابة الرسول . نصف الخمس فأغناهم به عن صدقات الناس...»^(١٧٧)

٦- الخمس سبب في تزكية نفس المؤمن وتطهير روحه من الأدناس، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ ﴾^(١٧٨).

فمن الأمور التي تجعل حبّ المال أداة مهلكة بيد صاحبها إذا لم يُضبط بما يُريده الشرع المبين والعقل الرصين هو أن حب المال يؤدي إلى الأمور الآتية:

❖ البخل مع زيادة الحرص، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾^(١٧٩)

❖ حبّ الاستزادة والطمع والحرص الشديد على الكنز والادّخار، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً »^(١٨٠)

❖ الطغيان: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَعَى * أَنْ رَأَهُ اسْتَعْفَى ﴾^(١٨١). ^(١٨٢) لذا من يُخرج الخمس سوف يطهر نفسه من هذه الرذائل المهلكة.

٧- الخمس سبب في زيادة الأموال، لا كما يعتقد أغلب الناس بأنها سبب في نقصانها، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١٨٣)، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إذا أردت أن يثري الله مالك فزكه»^(١٨٤).

لقد ذكرنا أن المعنى الأعم للزكاة يتضمن الخمس. وروي عن أمير المؤمنين

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا أملكتم، فتاجروا الله بالصدقة»^(١٨٥)، فالخمس من الصدقة الواجبة. وأيضاً إن إخراج الزكاة والخمس هو سبب في نزول البركة على أمواله.

نعم، قد لا يجد المؤمن فائضاً في راتبه إلا أنه يجد البركة في حياته من ذرية طيبة وزوجة موافقة وراحة نفسية، ولك أن تتخيل الدعوات التي تصله من الفقراء الذين تصلهم هذه الحقوق، وكم هو البلاء الذي سيرفع عنه بالسرور الذي يدخله على العلوي والعلوية؟ فيأتي يوم القيامة الآلاف من ذرية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقولون له: يا رسول الله، لو لا أموال هذا المؤمن لما وجدنا. هل ترى تتخطاه شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك اليوم؟^(١٨٦)

٨- الخمس سبب في صحة بعض العبادات: إن عدم التخمس قد يؤثر أيضاً على صحة بعض العبادات، ومنها الحج والعمرة والصلاة، فالشخص الذي يصلي بثوب تعلق فيه الخمس كأن يكون قد اشتراه بأموال حال عليها الحول أي دارت عليها السنة، أو الثوب الذي اشتراه لم يرتديه إلا بعد حلول الحول عليه فإذا لم يخرج خمس قيمته يعتبر مغصوباً لأنه تعلق بجزء منه حقوق المستحقين، ومعلوم لا تصح الصلاة في المغصوب.^(١٨٧)

٩- الخمس سبب في قبول الأعمال، ومنها الصلاة، فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا صلاة لمن لا زكاة له، ولا زكاة لمن لا ورع له».^(١٨٨)، وذكرنا أن المعنى الأعم للزكاة يشمل الخمس.

١٠- ترك الخمس سبب في نزول اللعنة، أي الطرد من رحمة الله، فمن كتاب لإمامنا المهدي المنتظر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «بسم الله الرحمن الرحيم: لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على كل من أكل من مالنا درهماً حراماً».^(١٨٩)

ثالثاً: يترتب على الخمس آثار أخروية عديدة، نذكر منها الآتي:

١- الخمس يبرّد القبر: عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إنّ الصدقة

لتطفئ عن أهلها حرّ القبور» (١٩٠)

٢- الخمس يظلّ المخمس يوم القيامة: عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أرض القيامة نار ما خلا ظلّ المؤمن، فإنّ صدقته تظله» (١٩١)

٣- الخمس ضمان الجنة: فقد جاء شخص إلى الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ يخرج خمس أمواله فقال له الإمام: «ضمنت لك علي وعلى أبي الجنة» (١٩٢)

٤- الخمس يدفع العقاب: لقد صرّحت الروايات الماثورة عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بنزول العقاب من اللعن والويل والثبور على من يمتنع من أدائه وعلى من يأكله بغير استحقاق. فمن كتاب لإمامنا المهدي المنتظر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ومن أكل من مالنا شيئاً فإنما يأكل في بطنه ناراً». (١٩٣)

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأما المتلبسون بأموالنا فمن استحلّ منها شيئاً فأكله فإنما يأكل النيران». (١٩٤)

وقد جاء في (تفسير القمي) في الآية الشريفة عندما يسأل أهل النار ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ فمن أجوبتهم يقولون: ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمُسْكِينِ﴾ (١٩٥) قال: «حقوق آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الخمس لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهم آل محمد صلوات الله عليهم. وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ (١٩٦)، أي لا ترعون، وهم الذين غصبوا آل محمد حقهم وأكلوا أموال أيتامهم وفقرائهم وأبناء سبيلهم». (١٩٧)

المبحث الرابع: اعتراضات وردود

سنطرح اعتراضات بعض الناس الذين يمتنعون عن إخراج الخمس، وهي كالاتي:

الاعتراض الأول: إنّ الأموال ملكي ولقد جمعتهما بكدي وعرق جبينني، ولذا يحق لي أن لا أخرج منها الخمس!!

ونردّ عليه بالنقطتين الآتيتين:

أولاً: من الذي منحك الحول والقوة؟ والصحة والعافية؟ وممّن التوفيق؟، أليست كلها من الله تعالى؟ أليس الرزاق هو الله، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(١٩٨)، إن الله قادر على أن يسلب منك العافية والقوة والعقل فتعجز عن العمل، وقادر أن يسلب منك التوفيق فلا تجد عملاً.. ولكن الله منحك كل ذلك ورزقك، وطلب منك أن تخرج ما زاد عن مؤونة سنتك من كل خمسة أسهم سهمًا واحدًا للمستحقين، أي منحك النسبة الكبرى..

ثانياً: إن المال الذي يكتسبه الإنسان ليس ملكاً حقيقياً له وإنّما هو عارية ووديعة وملك اعتباري، فالمالك الحقيقي لكل المخلوقات هو الله تعالى، فهو **مَالِكُ الْمُلْكِ**، وله **مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ**. فلو دققنا في النصوص نجد التصريح بذلك، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾^(١٩٩)، فلم تقل الآية تركتم ما «ملكناكم»، بل عبّرت بـ «خوّلناكم»، ومعلوم أنّ تخويل الشيء أعمّ من تمليكك، فقد أخوّلك التصرف بشيء لي دون أن أمّلكك إيّاه.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «المال مال الله عزّ وجلّ، جعله ودائع عند خلقه، وأمرهم أن يأكلوا منه قصداً، ويشربوا منه قصداً، ويلبسوا منه قصداً، وينكحوا منه قصداً، ويركبوا منه قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، فمن تعدّى ذلك كان ما أكله حراماً، وما شرب منه حراماً وما لبسه منه حراماً، وما نكحه منه حراماً، وما ركبته منه حراماً». (٢٠٠)

فقوله عليه السلام: «المال مال الله» فإنّما أضاف الملكية الحقيقية إلى ذاته المقدّسة ولم يضيفها إلى الإنسان، وقوله عليه السلام: «جعله ودائع عند خلقه» فلم يقل عليه السلام ملكه الله لخلقته...

هذا المال المودع لدينا من قبل الله عز وجل كلفنا أن نوجهه حيث وجهه بأن نخرج منه الحقوق الشرعية، ومنها أن نخمس ما زاد عن مؤنة سنتنا، ولا يحق لنا أن نكنز حصة الخمس ونتصرف بها لأنها ليست ملكنا، بل هي أمانة وجب دفعها لمستحقيها، كما عن مولانا الصادق عليه السلام: «إنما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله ولم يعطكموها لتكنزوها» (٢٠١). ولتقريب الفكرة نضرب المثال الآتي: لنفرض أن لديك أرضاً واسعة وماءً وبدورا وأسمدة، ثم طلب شخص منك أن يعمل مزارعا في أرضك، وأنت قبلت أن يستخدم أرضك وماءك وبدورك وأسمدتك بشرط أن يعطيك خمس ما يجنيه من المزروعات وأنت أوكلته بتوزيعها نيابة عنك على الفقراء، فهل لو امتنع المزارع من إخراج الخمس يعد خائناً أم لا؟

الجواب: نعم؛ لأن المزارع بدون الأرض والبدور وغيرها لا يستطيع أن يكسب شيئاً، فالفضل يرجع للمالك... فكيف وأن الله هو مالك لا فقط للأرض والبدور والماء، بل هو مالك للمزارع أيضاً وهو الذي أمده بالقوة ليقوم بذلك العمل!!

روي أن الله تعالى قال: «المال مالي، والفقراء عيالي، والأغنياء وكلائي، فمن بخل بمالي على عيالي أدخله النار ولا أبالي» (٢٠٢).

لذا فالإنسان إذا اعتقد أن مالكة الله تعالى وأنه مجرد عبد ممتحن به، فإنه سوف لا يمنع حق الله تعالى فيه، بل يبذله بطيب نفس، فهل يبخل الإنسان بملك غيره؟

الاعتراض الثاني: لماذا وجب عليّ أن أعطي الفقراء من أموالي، لماذا لا يعطيهم الله؟

الجواب: لقد ذكر الله تعالى هذا الاعتراض في سورة يس بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٠٤).

وَيُرَدُّ عَلَيْهِ بِأَنَّ اللَّهَ شَاءَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَجْعَلَ الْكُونَ قَائِمًا عَلَى أَسَاسِ الْإِبْتِلَاءِ،
 قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٢٠٥).

ومن الابتلاء أن يختبر عباده بالصبر والشكر، فالله وسَّع الرزق على بعضهم وطلب منهم شكر النعمة بإخراج الحقوق الشرعية وصرفها على الفقراء، بينما ضيَّق الله الرزق على بعضهم وطلب منهم الصبر. فلو أطاع الأغنياء الله تعالى بإخراج الحقوق الشرعية لما بقي فقير، ولذا فكل فقير شرعي محتاج، يعدّ مظلوماً من قبل الغني الممتنع عن إخراج الحقوق الشرعية من خمس وزكاة، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّمَا وَضَعْتَ الزَّكَاةَ اخْتِبَارًا لِلْأَغْنِيَاءِ وَمَعُونَةً لِلْفُقَرَاءِ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ أَدَوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ مَا بَقِيَ مُسَلِّمٌ فَقِيرًا مُحْتَاجًا، وَلَا اسْتَغْنَى بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، وَإِنَّ النَّاسَ مَا افْتَقَرُوا، وَلَا احْتَاجُوا، وَلَا جَاعُوا، وَلَا عَرَوْا إِلَّا بِذُنُوبِ الْأَغْنِيَاءِ» (٢٠٦).

روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا وَزَرَ أَكْبَرَ مِنْ وَزْرِ غَنِيِّ مُحْتَاجٍ» (٢٠٧).

**الاعتراض الثالث: أنا أعطي وأساعد الفقراء دائماً، فلا حاجة لإخراج
 الخمس والزكاة؟**

الرد: إن العبادة الحقيقية لله تعالى تعني أن أطيعه من حيث هو يريد، لا من حيث أنا، ومزاجي، وشيطاني، وأهوائي تريد؛ لأنني لو اتبعت هواي سأكون عابدة للهوى لا لله، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (٢٠٨) وسيكون حالنا حال إبليس الذي رغم عبادته لله في سبعة آلاف سنة (٢٠٩)، إلا أن الله لعنه وطرده من رحمته لأنه امتنع عن طاعته حينما أمره بالسجود لآدم.

ومع الأسف بعض الناس يقتدون بإبليس فيعبدون الله بأمزجتهم، ولذا ترونهم يطيعون الله في بعض المستحبات كالتصدق على الفقراء بالصدقة المستحبة، ولكنهم يمتنعون عن أداء بعض الواجبات كإخراج الخمس. ومعلوم أن ترك الواجب نحاسب ونعاقب عليه بينما المستحب لا يترتب على تركه العقاب.

فمهما يقوم الإنسان من أعمال مستحبة كأن يتصدق وينفق على الأف الفقراء، فهي لن تسقط عنه الحساب والعقاب على ترك الواجب...

ولذا ننصح المؤمنين أن تكون نيتهم في دفع الأموال للفقراء هو من أجل إخراج الخمس، غاية الأمر أن عليه أن يحسب المقدار الواجب عليه ويدفعه للمستحقين. فإذا أدى الواجب وأحب أن يتصدق بالصدقة المستحبة فهو خير له.

الاعتراض الرابع: أنا لا أخرج الخمس لأن نسبته كبيرة؟

ونرد عليه بالنقاط الآتية:

١. لا يحق لنا الاعتراض على أحكام الله تعالى، فنحن مملوكون للمالك الذي لو طلب منا أن ندفع كل ما نملك فلن نؤدي شكر نعمة من نعمه التي لا تعد ولا تحصى، كنعمة العقل والبصر والسمع وغيرها.

٢. إن الله لا يرى أن ما ندفعه كثيراً، لأن لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، ونحن لا ندفع من مؤونة يومنا، بل ما فاض عن مؤونة سنتنا، روي عن مولانا الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال لي هارون: أتقولون أن الخمس لكم؟ قلت: نعم. قال: إنّه لكثير. قال: قلت إنّ الذي أعطانا عِلْمَ أنه لنا غير كثير» (٢١٠)

٣. إذا قسنا النسبة التي يفرضها الإسلام علينا مع ما تفرضه بعض دول العالم من ضريبة الدخل الشخصي الشهرية نجدها لا شيء، حينما نأخذ بنظر الاعتبار الحيثيات الآتية:

✦ إن معدل الضرائب في أغلب الدول نسبتها أعلى من ٢٠٪، وقد تصل في بعض الدول إلى ٥٦٪ من أصل الراتب الشهري، بينما نسبة الخمس في الإسلام ٢٠٪.

✦ إن الضرائب تُفرض على العاملين شهرياً، بمعنى كل شهر يُسحب من

راتب العامل هذه النسبة العالية، بينما الخمس يُفرض مرة واحدة في السنة.

❖ إن الضرائب تُسحب من أصل الراتب، بينما الإسلام فَرَضَ الخمس على ما زاد على مؤونة سنته، أي بعد أن يصرف أمواله على النفقة والعلاج والسفر، وعلى احتياجاته واحتياجات عائلته والآخرين من دون اسراف، فإذا فاض من ماله مبلغاً قليلاً كان أو كثيراً وجب أن يُخَمَّس، وإذا لم يبقَ له فائض وزائد عن مؤونة سنته فلا خمس عليه... بالله عليكم، هل يوجد قانون في العالم أرحم من هذا القانون الإلهي؟!

ورغم ذلك نجد الناس تدفع الضرائب العالية وأغلبها لا تعترض، ولكن لما تصل النوبة إلى إخراج الخمس السنوي تجد بعضهم يعترض على هذا المبلغ القليل ويمتنع من دفعه رغم أنه قانون إلهي أمر بدفعه للفقراء والمساكين واليتامى.

الاعتراض الخامس: أنا لا أخرج الخمس لأن العلماء يصرفونه على مصالحهم الشخصية!!

ونردّ عليه بالنقطتين الآتيتين:

١- يجب علينا أن نتقي الله ولا نصدق كل ما نسمعه من الآخرين الذين فهم المنافق والفساق والجاهل، وإلا سنكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢١١)

فأن للمؤمن حرمة وبالأخص عالم الدين، (و إن عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط، أنه نائب للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الإمام والراد على الإمام راد على الله تعالى^(٢١٢))، فقد روي عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث... إلى أن قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... ينظران من كان منكم قد روى

حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا- أي مرجع التقليد- فليرضوا به حكماً فأني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد، والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله». (٢١٣)

لذا يجب على من عليه الحق في إخراج الحقوق الشرعية إعطاؤه للعالم الأوثق في نفسه في الأمانة والمعرفة، وحسن التصرف، وبعد النظر، والأقدر على إيصال الحق لمستحقه، وصرفه في مصرفه (٢١٤)، وعادة هذه المواصفات تتوفر في مرجع التقليد العادل، وإلا إذا لم يكن عادلاً لا يجوز له تقليده.

فمراجع التقليد العدول هم نواب الإمام عليه السلام، وهم لا يصرفون الخمس على مصالحهم الشخصية لأنها أمانة، بل يصرفونها فقط في موارد رضا الإمام عليه السلام، لذا وظيفتهم فيما يتعلق بالخمس دفعها للسادة الفقراء غير المتمكنين من مزاوله عمل يسد حاجتهم، ودفعها في ضروريات المؤمنين وخدمة شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وسلم

نعم، لا ننكر أن هناك حالات غير مقبولة صدرت من بعض الوكلاء - وهم قلة-، ولكن هذا لا يجوز لنا أن نعمم الأمر على المرجع وعلى بقية الوكلاء المتقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾. (٢١٥)، ولذا ينصح مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظله) المكلفين بما يلي:

(.. على إخواننا المؤمنين وفقههم الله تعالى لمراضيه التقيّد بمراجعة من يُعرف بالفضل والدقة والاحتياط من الوكلاء والمجازين في المنطقة). (٢١٦)

٢. إذا كان المكلف متأثر بهذه الشبهة فلا عذر له يوم القيامة لأنه قد أجاز بعض الفقهاء ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظله) بأن يدفع المالك بنفسه (سهم السادة) إلى مستحقه بأن تُصرف هذه الأموال في الأمور الضرورية كالعلاج والطعام وتفريج الكرب وإغاثة الملهوفين، مع استجماع

الشروط المذكورة في الرسائل العملية. ^(٢١٧) دون الرجوع إلى المرجع أو وكيله، وإن كان الأحوط استحباباً الدفع إلى الحاكم الشرعي.

وأما ما يتعلق بسهم الإمام فقد (أذن سماحة السيد (دام ظلّه) في العراق لمن عليه الحقّ بصرف سهم الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ من الخمس إلى مستحقّيه من المؤمنين المعوزين في حوائجهم الملحة يداً بيد). ^(٢١٨)

وأما من يسكن خارج العراق فيجوز له دفع سهم الإمام بنفسه بعد أخذ الإذن من المرجع أو وكيله.

ونختم المحاضرة بتساؤل قد يرد على بعضكم وهو: **أنا كلما اتحمّس وأنوي أن أحمّس، بعد لحظات أبدأ بالتسويق وأتردد إلى أن أنسى الأمر، فيماذا تنصحونني؟**

الجواب: ننصحك باتباع النقاط الآتية:

١. تذكّري دائماً أهمية الخمس والآثار الدنيوية والأخروية المترتبة عليه.

٢. تخيلي أن أحداً ما غصب منك مالك الذي فرضه الله لك، كأن يكون أخوك الكبير قد غصب منك حصتك في الإرث من مال أبيك بحجة أنه أولى به منك، رغم أنك فقيرة وبحاجة ماسة للمال، فما هو شعورك تجاه أخيك؟، بالتأكيد ستعديه ظالماً... وهذا الأمر ينطبق عليك فيما لو امتنعت عن دفع الخمس لمستحقّيه.

٣. في الأعم الأغلب تتأثر الناس حينما تسمع نصيحة من مؤمن، أو محاضرة تُبيّن هذه الحقائق، فينوي أن يخمس أمواله، ولكن بعضهم يتردد في ذلك بسبب تأثير شياطين الأنس والجن لأن **الشَّيْطَانُ يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ**. ^(٢١٩)

جاء في كتاب الأنوار للجزائري بأنه كان في إحدى سني القحط أحد الوعّاظ في المسجد يقول على المنبر: إذا أراد أحد أن يتصدّق فإن سبعين شيطاناً

يتمسكون بيده ويمنعونه من ذلك.

سمع أحد المؤمنين هذا الكلام فقال لأصدقائه متعجباً: لا توجد في التصدق كل هذه الصعوبة، فأنا أملك مقدراً من الحنطة وسوف آتي به إلى المسجد وأعطيه إلى الفقراء. وقام من مكانه.

وعندما وصل إلى البيت وعلمت زوجته بنيته بدأت تلومه على ذلك: بأنك لا تهتم بزوجتك وأولادك في سنة القحط هذه؟ لعل القحط استمر زمناً طويلاً فسوف نموت من الجوع في ذلك الوقت وسوف يكون كذا وكذا، فإنها أخذت توسوس له إلى درجة أن ذلك المؤمن رجع إلى المسجد بأيد خالية.

فسأله أصدقاؤه: ماذا حدث؟، رأيت كيف أن سبعين شيطاناً قد أمسكوا بيدك ومنعوك؟ فأجاب: إني لم أر الشياطين، ولكني رأيت أم الشياطين وقد منعتني من ذلك.

وعلى كل حال فالإنسان عندما يريد أن يقاوم الشياطين فسوف ترون أن الشيطان يتكلم عن المصلحة الشخصية على لسان زوجته أو الصديق المخنث، ويمنعه.^(٢٢٠)

ولذا ننصحك أن لا تستمع لـكل من ينهاك عن طاعة الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، بل تحدي وساوس الشيطان، وقولي له: (رغما عنك سأنتصر عليك واقصم ظهرك بطاعة ربي) وقومي مباشرة بإخراج الخمس في الحال ولا تتردد، فأخراج الخمس أول مرة قد ترين فيه صعوبة لأنك بصدد تطهير نفسك وإخراج حب المال من قلبك، وهذا يحتاج إلى جهاد، ولكن بمجرد أن تخمسي أموالك مرة ومرتين ستجدين أن الأمر صار سهلاً يسيراً.

وإذا كنت تخمسين لأول مرة، (فعليك - والحال هذه - أن تجردي ممتلكاتك وتراجعى الحاكم الشرعي أو وكيله لتصفية حسابك ومصالحتك في المقدار المشكوك فيه وتقسيط ما لا يتيسر له دفعه مرة واحدة).^(٢٢١)

إن تسليم الحقوق الشرعية للوكلاء أمر معمول به في زمن الأئمة الأطهار عليهم السلام ومنهم الإمام الهادي عليه السلام، حيث (بدأ جهوده بإعداد الشيعة نفسياً وعقائدياً لترسيخ فكرة الغيبة والتعامل معها التعامل الصحيح كواقع من خلال تأسيس لنظام الوكلاء ليكونوا واسطة بينه وبين الشيعة، حيث أخذ الإمام الهادي يعود شيعته على الاحتجاب والارتباط بهم من خلال وكلائه ونوابه، لكي لا يفاجؤوا بوضع مستقبلي لم يألفوه وهو غياب الإمام عليه السلام فيشكل ذلك صدمة لهم يتحيزون في التعامل الصحيح معها، حيث قام عليه السلام بالتخطيط المستقبلي لفترة الغيبة منذ توليه الإمامة من خلال اختيار مجموعة من ثقة أصحابه بمن عرفوا بالوثاقة والعلم والزهد والتقوى والورع فأخذ يربطهم ويعتني بتربيتهم وتعليمهم ليكونوا القدوة الصالحة والواسطة بينه وبين شيعته.

وكان من وكلاء الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام آنذاك عثمان بن سعيد العمري الذي صار بعد ذلك سفيراً للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، وكانت تُجَبَى أموال الخمس وغيرها بطرق ووسائل في غاية السرية، حيث كان يتظاهر بتجارة السمن ويجمع الأموال من الوكلاء ويأتي بها إلى الإمام عليه السلام؛ لأن الحكومات الظالمة كانت تمنع ذلك حيث (يحسبونه مقدّمة لحدوث انقلاب عليهم، فيعاقبون عليها عقاباً يصل إلى حدّ القتل أو التشريد أو مصادرة الأموال وتتبع الشيعة والمراقبة والمحاسبة والإخافة والتنكيل وهذا ما لا يرضاه الأئمة سلام الله عليهم)^(٢٢٢)

ولذا كان الإمام الهادي عليه السلام حريصاً على سلامة شيعته ويحذرهم كي لا يتعرضوا للخطر. نقل الدرازي في كتابه وفاة الإمام علي الهادي عليه السلام، عن أحمد بن داود بن محمد بن عبد الله الطلحي القمي قال: حملنا ما لا من خمس ونذر من عين وورق ودنانير وحلي وجواهر وثياب من (قم) وما يليها فخرجنا نريد أبا الحسن عليه السلام، فلما صرنا إلى دسكرة الحكم تلقانا رجل راكب على جمل ونحن في قافلة عظيمة فقصدنا ونحن سائرون في جملة

الناس وهو يعارضنا بجمله فقال: يا أحمد بن داود ويا محمد بن إسحاق معي رسالة إليكما فقلنا ممن؟ فقال: من سيدكما أبي الحسن الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ، يقول لكما إني راحل إلى الله تعالى في هذه الليلة فأقيما مكانكما حتى يأتيكما أمر من أبي محمد الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، فخشعت قلوبنا وبكت عيوننا وأخفينا ذلك ولم نظهره ونزلنا دسكرة الملك واستأجرنا منزلاً وأحرزنا ما كان معنا فيه وأصبحنا والخبر شائع بوفاة إمامنا عَلَيْهِ السَّلَامُ فلما تعالى النهار رأينا قوما من شيعة علي أشد قلقاً مما نحن فيه فلما جن الليل جلسنا بلا ضوء ولا سراج حزنا على الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ، نبكي ونشكو إلى الله فقده.

قال القمي: وإذا نحن بيد داخله علينا من الباب فأضأت بنا كما يضيء المصباح وقائل يقول: يا أحمد يا محمد هذا التوقيع فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسن المستكين لرب العالمين إلى شيعته المساكين أما بعد فالحمد لله على ما نزل بنا منه ونشكره إليكم على جميل الصبر إليه وهو حسبنا في أنفسنا وفيكم ونعم الوكيل. (٢٢٣)

قال الراوي: ولما انتقل الإمام علي الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلى روح الله ورضوانه وقد سمه (المعتمد) في رمان وقيل في ماء فلما فاضت روحه المقدسة علا الصياح في داره وقامت الواعية في الهاشميين يلطمون الخدود ويخدشون الوجوه وينادون وا ضيعته، وا وحدته، من لليتامي والمساكين، من للفقراء والمنقطعين. (٢٢٤)

نازح الدار لم يجد من مفادي

مات في سر من رأى مستظاما

وله ذاب قلب صم الجماد

فبكته السماء والأرض حزنا

ماتم الحزن فوق سبع شداد

وأقامت له الملائك طرا

والنبيون في الجنان عليه
لبسوا للعزاة ثياب حداد
وعليه البتولُ ناحت بدمع
يجري كالسيل من صميم الفؤاد
مات خيرُ الأنام أزكى البرايا
خيرُ داع إلى الإله وهادي

لكن أيها المحب كما علمت لقد قام الأعيان والوزراء وجمع من بني العباس بالإضافة إلى جمع من بني هاشم وسائر الشيعة من سامراء يتقدمهم الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ، هؤلاء جميعاً قاموا بتجهيز الإمام الهادي على أكمل وجه حتى دفنوه في داره.

وكما ذكرت الروايات أن الإمام الهادي صَلَّى عليه مرتين مرة من قبل الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأخرى من قبل الواثق والي العهد العباسي ولكن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، صَلَّى عليه مرتين: مرة من قبل الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومرة من قبل السيوف والنبال والرماح كما يقول الشاعر:

(مجردات)

صلت عليه اسيوف اميه
او داست الخيل ابن الزچيه
والأشد واعظم كل رزيه
سكنه تصيح الحگ عليه لا
ويه بين راعي الحميه
والي عندي او لا تجيه^(٢٢٥)



٨ رَجَب

مولد عبد الله الرضيع ابن الإمام الحسين عليه السلام

أَسْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَكُمْ

المناسبة

مولد عبد الله الرضيع ابن الإمام الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

القصيدة للشاعر الحيص بيص

هَنَا رَجَبَ الشُّهُورِ وَمَا يَلِيهِ
 بَقَاؤُكَ أَنْتَ يَا رَجَبَ الرَّجَالِ
 لَهُ الْبَرَكَاتُ لَكِنْ كُلِّ عَامٍ
 وَأَنْتَ مُبَارِكٌ فِي كُلِّ حَالٍ
 إِذَا ضَمِنَ التَّنَسُّكُ فِيهِ أَجْرًا
 فَمَدَحُ عَلاكَ يَخْفَلُ بِالنَّوْلِِ
 فَضَلْتَ الصَّارِمَ الْهِنْدِيَّ فَتُكَا
 وَفُقَّتِ الطَّوْدَ عَنَجَ الْإِحْتِمَالِ
 فَحَلْمُكَ لَيْسَ يُدْرِكُ عَن شَفِيعِ
 وَبَأْسُكَ لَا يُجَرِّبُ بِالنِّزَالِ
 يُفْلُ وَعَيْدُكَ الْمَرْهُوبَ مَقْلٌ
 وَيَكْرُمُ وَعَدُّ خَيْرٍ عَن مِطَالِ
 تَظَلُّ سَوَابِقُ الْعَلْيَاءِ حَسْرَى
 إِذَا شَدَّ الْوَزِيرُ إِلَى الْمَعَالِي
 حَمِيدُ الذُّكْرِ تَسْفِرُ مِنْ عُلَاهُ
 إِذَا ذُكِرَتْ دِيَاجِيرُ اللَّيَالِي
 يُبِيحُ الدَّثَرَ لَا يَرْنُو إِلَيْهِ
 وَيَنْظُرُ لِلرَّعِيَّةِ فِي عَقَالِ

المحاضرة الرابعة

التربية العقائدية للأطفال

عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «وَأَمَّا حَقٌّ وَلَدِكَ، فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْكَ، وَمُضَافَ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَأَنْتَ مَسْؤُولٌ عَمَّا وُلِّيْتَهُ مِنْ حَسَنِ الْأَدَبِ وَالِدِلَالَةِ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢٢٦)

قد لا يهتم الكثير من الناس بشأن التربية الدينية لأبنائهم بالقدر الذي يولونه للتربية البدنية أو الصحية أو النفسية أو الاجتماعية أو الثقافية، مع أنّ انتماء الإنسان للإسلام يحتم عليه أن يوائم ويوفق بين سلوكه الشخصي وتعاليم هذا الدين، وأن يهيئ ابنه ويعدّه لتقبّل الدين، أو على الأقل يطلعه على عقائده ومبادئه ورؤيته للعالم.

وصحيح أن الولد قبل البلوغ مرفوع عنه القلم إلا أن ذلك لا يعفي ذويه من المسؤولية والعمل على تهذيبه وتحسينه وتزويده بمختلف المعارف وعلى رأسها المعارف الدينية، بل إنّ الإسلام يحمّل المرء مسؤولية شرعية في حفظ نفسه وعياله من الانحراف والابتعاد عن دين الله سبحانه وخطّ الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٢٢٧)، ولذا فإنّ التربية الدينية كغيرها من أنحاء التربية يفترض أن تواكب الطفل منذ سني عمره الأولى التي يأخذ فيها بالتمييز والتعرّف على الأشياء، ويبدأ بالسؤال عن أسباب وما ورائيات الأحداث والأمور ذات البعد الديني أو التي لها تفسير ديني، من قبيل السؤال عن الله الخالق أو الموت وما بعده.^(٢٢٨)

المبحث الأول: أهمية التربية الإيمانية في حياة الطفل

هذا المبحث مخصص للرد على المقولة الآتية: لا داعي لتربية الأولاد في مرحلة الطفولة تربية إسلامية، لأن إدراكه ليس كإدراك الكبير .. وأيضاً أن تربيته على الدين منذ طفولته انتهاك لحرية.. بل يجب أن نجعلهم يكبرون ويختارون الدين بأنفسهم.. فهذه من حقوق الحرية.

الجواب: مع الأسف نسمع من بعض المربين أمثال هذا الكلام ... بل بعض المسؤولين يسعى لرفع مادة التربية الإسلامية من المناهج الدراسية، ونرد عليهم بالجوابين الآتين:

الجواب النقضي: قولكم: إن من يعلم ويربي أولاده منذ مرحلة الطفولة على الدين هو انتهاك لحريةهم، فهذا يعني أنكم أيضاً تنتهكون حرمتهم لما تجبرونهم على تعاطي الأدوية وضرب الإبر الضرورية لشفائهم رغم رفض الطفل لها.

وتنتهكون حرمتهم لما تحرصون على تعليمهم وتربيتهم على حفظ أنفسهم من التعرض للأذى والتحرش وعدم تعاطي المخدرات والسموم وغيرها من الأضرار، وتنتهكون حرمتهم لما تحثونهم على طلب العلم والتوفيق في الدراسة رغم عدم رغبتهم بذلك.

فلماذا لا تتركون للطفل الحرية في فعل ما يشاء-مما ذكرناه-، ولما يكبر هو بنفسه سيقدر فيما إذا أراد فعل ذلك أم لا، مثلما تطالبون بعدم تربيته تربية إسلامية منذ طفولته، لماذا الكيل بمكيالين!!!

إذا قلت: إننا نعلمهم هذه الأمور لأننا نريد مصالحتهم، فالأطفال إدراكهم ليس كإدراك الكبير. نقول: إن الإسلام أيضاً يأمر المربين بتربية الطفل تربية إسلامية لأنه يريد مصالحته، وإلا لا يعقل أن يمتنع عن تربيته على أمل أن ينزل الوحي على ولده ليربيه!!

الجواب الحلّي: ونرد عليه بالنقاط الآتية:

١. إن مرحلة الطفولة المتأخرة -وهي السبع سنوات الثانية من عمره- لها خصائص تميزه عن مرحلة الطفولة المبكرة، منها التمييز والبلوغ، بمعنى إن مستواه الإدراكي مؤهل لتربيته تربية إسلامية، وإلا لو لم يكن مؤهلاً لعجز عن تلقي العلوم الأكاديمية التي تُفرض عليه في المناهج الدراسية. وأيضاً تتميز هذه المرحلة عن بقية المراحل بأنها مرحلة تتقبل التأديب أكثر من غيرها، روي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبعا، والزمه نفسك سبع سنين. (٢٢٩)

وسبب ذلك لأن فطرة الطفل في مرحلة الطفولة لا تزال سليمة ونقية، روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «قال موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا ربّ، أيّ الأعمال أفضل عندك؟ فقال عزّ وجلّ: حبّ الأطفال، فإنّي فطرتهم على توحيد، فإن أمّتهم أدخلتهم برحمتي الجنّة» (٢٣٠)، وسبب النقاء لأنهم غير مكلفين ولذا فقلوبهم غير ملوثة، وبنفس الوقت فارغة تتقبل ما يُلقى إليها من إرشادات ونصائح؛ فهو في هذه المرحلة كالإسفنج تمتص كل ما يصب فيها، لذا وجب استثمار الفرصة بأن يملئ بالعلوم الطاهرة النقية المأخوذة من محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وإلا سوف يستغلها المنحرفون ويملوها بالعقائد والأفكار الفاسدة، روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة (٢٣١). (٢٣٢)

وأيضاً الطفل في هذه المرحلة له استعداد وقابلية كبيرة ليأخذ دور (العبد) في الائتثار بأوامر الولي والانتها عن نواهيه أكثر من المراحل الأخرى، فقد روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الولدُ سيدُ سبعِ سنين، وعبدُ سبعِ سنين، ووزيرُ سبعِ سنين» (٢٣٣).

بينما لو أهملنا هذه المرحلة ولم نربه تربية إسلامية فسوف يدخل في مرحلة المراهقة، فتقل رغبته في تقبل ما يملئ عليه لكونه سيشرع برغبة في

الاستقلال، ويشتد عوده، فيصعب إصلاحه كالمرحلة السابقة؛ لأن الولد في مرحلة الطفولة يكون كساق الشتلة الصغيرة الأخضر الطري الذي يسهل تقويمه بأن يربط بعمود مستقيم، بينما إذا لم يقوّم ساق الشتلة وبقيت مائلة، فلما تكبر سيقوى ساقها ويتصلب، وحينما تحاول تقويمه سوف ينكسر.

٢. إنّ للدين دوراً أساسياً وليس هامشياً في تنظيم الحياة الإنسانية في شتّى أبعادها التربوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأنّ الله أرسل الرسل وأنزل معهم الكتب لغرض هداية الإنسان وسوقه نحو الكمال، فالعملية التربوية هي في صلب اهتمامات الدين وعلى رأس أولوياته ومقاصده، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيما روي عنه: «إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٢٣٤)

إن الدين يشكّل طاقة روحية تربوية وأخلاقية تدفع الإنسان إلى الصلاح؛ لأن الشريعة تأمره بالصدق وأداء الأمانة وحسن الخلق، والشجاعة والحمية والحلم والعفو والعدل والقناعة والكرم وطلب العلم، وتدفعه إلى فعل الخيرات من بر الوالدين، وصلة الرحم، وقضاء حوائج الناس ومساعدتهم وإلى العمل والكسب الحلال، وتنهيه عن الظلم والجهل والتكبر والغرور وسوء الظن والغضب والطمع والبخل، وتجنّب الشرور وتعصمه من الشذوذ والانحراف وتمنحه التعقل والتصبر وتنمي قدراته وطاقاته العقلية والجسدية.

٣. إن الدين المحمدي الأصيل هو من يصنع الإنسان، ويرفعه عن مستوى الحيوان، لأنه مسؤول عن بناء الشخصية الإنسانية وتهذيبها وترويضها من كلّ النزعات الشريرة؟... وإلا بينكم وبين الله ما قيمة أن يكون الولد-ذكراً كان أو أنثى- مهندساً أو بروفيسور ولكنه لا يحمل أخلاقاً وديناً يردعه عن ارتكاب المحرمات كسرقة الآخرين وقتلهم وظلمهم؟!

لذا لا ينبغي أن يتردّد علماء التربية والمهتمين بها في الاستفادة من المفاهيم الدينية في هذا المجال بالنظر إلى دورها الكبير وقدرتها على التغيير.

ومما يعزّز صحة الاعتقاد المتقدّم هو التجربة الإنسانية والواقع العملي، فإننا لو أجرينا مقارنة دقيقة بين الآثار والنتائج السلبية للمناهج التربوية التي أبعثت الدين وقيمه عن العملية التربوية، سواء في المدرسة أو الأسرة، وبين النتائج السلبية للمناهج التي تعتمد التربية الدينية، لوجدنا أنّ الكفّة الأولى هي الراجحة، فهذه هي الوقائع والأرقام تتحدّث بأنّ مستوى الجريمة والانحراف الخلقي في المدارس الغربية التي ترفض اعتماد التربية الدينية مرتفع جداً بالقياس إلى المدارس التي تعتمدها، كما هو الحال في المدرسة الإسلامية، ولو أنّنا أخذنا العالم الإسلامي مثلاً وراجعنا إحصاءات الجريمة فيه على مدار السنة لوجدنا أنّ نسبة الجريمة تنخفض إلى أدنى مستوياتها في شهر رمضان المبارك، لما للصوم من تأثير معنوي وروحي على نفوس المسلمين، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن بالإمكان إصلاح المناهج التربوية الدينية من بعض الشوائب التي علقت بها فسوف ترتفع أسهم الداعين إلى اعتماد التربية الدينية في العملية التربوية. (٢٣٥)

٤- (إن التربية الإيمانية تشبع حسّ فضول الاستفهام والمعرفة عند الطفل، عن الأسئلة الكونيّة والحياتيّة التي لها صبغة ما ورائيّة، خصوصاً في مرحلة السبع الثانية من حياته، عندما يسأل عن الخالق وشكله ومكانه...، أو ما يبدو شراً في العالم، كالموت والأمراض والزلازل والفيضانات...)

٥- تعزّز الصحّة النفسيّة بما تمنحه من شعور بالأمان والطمأنينة وسكون النفس، فيزول عنه الاضطراب والقلق من المستقبل، لأنّ الدين الحقّ يعطي للحياة تفسيراً ذا هدف ومغزى ومعنى، فلا يؤدّي ذلك إلى تولّد النزعة العدميّة والشعور بالضياع في نفس الطفل.

يُنقل عن كارل يونج -مؤسّس علم النفس التحليليّ- أنّه يقول: «إنّ انعدام الشعور الدينيّ يسبّب كثيراً من مشاعر القلق والخوف من المستقبل، والشعور بعدم الأمان والنزوع نحو النزعات الماديّة البحتة، كما يؤدّي إلى فقدان الشعور بمعنى هذه الحياة ومغزاها، ويؤدّي ذلك إلى الشعور بالضياع» (٢٣٦)

٦- تكسبه القوّة في الحياة، والشجاعة والثقة بالنفس، نتيجة شعوره بالمعيّة الإلهيّة، وهذا ما نلمسه في حياة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. فيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذلك الطفل الذي كان في التاسعة من عمره، حين ألقاه إخوته في غيابت الجُبِّ، والتقطه بعض السيّارة وأُخرج عَلَيْهِ السَّلَامُ من البئر، قال لهم قائل: استوصوا بهذا الغريب خيراً، فقال لهم يوسف: «من كان مع الله فليس عليه غربة»^(٢٣٧).
(٢٣٨)

المبحث الثاني: كيف نربي أولانا تربية عقائدية؟

إن التربية الإيمانية تشمل التربية العقائدية، والتربية العبادية، والتربية الأخلاقية، وسنقف في هذه المحاضرة على التربية العقائدية.

ففيما يرتبط بالجانب العقائدي، (فثمة مسؤولية كبيرة لمقاة على عاتق الأبوين بالدرجة الأولى، تتمثل بتعليم الولد العقائد الصحيحة وإبعاده وتحذيره من العقائد المنحرفة. وينبغي أن يتم ذلك بأسلوب يتسم بالحكمة، ويراعي مدركات الطفل وطاقته العقلية والذهنية. وأن أهم المعارف الدينية التي علينا إقناع الطفل بها وتوجيهه نحوها هي (معرفة الله ومحبته)، و(الإيمان بيوم الحساب)، و(محبة النبي محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، و(ربطه بالقرآن)^(٢٣٩)، وتحذيره من العقائد المنحرفة)^(٢٤٠) بإبعاد الطفل عن البيئة التي تشتمل على عقائد باطلة أو منحرفة، وتنبهه إليها وتحذيره منها، خصوصاً في مجتمع متعدّد الأديان، أو تكثّر فيه الشبهات.

إن الرواية -محل البحث- تصرّح بأن من حقوق الولد على المرّبي أن يربيه تربية إسلامية، ومنها أن يعرفه ربه، لقول الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «وأما حقّ ولدك، فأنت تعلم أنّه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنك مسؤول عمّا وُلّيته من حسن الأدب والدلالة على ربّه عزّ وجلّ»^(٢٤١). فقولته عَلَيْهِ السَّلَامُ (والدلالة على ربّه عزّ وجلّ)، فالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ

رَكْز -من بين المعارف العقدية-على الدلالة على ربه، باعتبار معرفة الله هي المحور الرئيسي الذي تدور حوله بقية أصول الدين.

رب تسأؤل يرد: كيف أربي ولدي تربية عقائدية، وأعرفه ربه؟

الجواب: إن تربية الأطفال تربية عقائدية تعتمد على طرح أصول وأساليب عدّة، نذكر منها الآتي:

١- أسلوب التلقين اللفظي: وهو عبارة عن تعويد الطفل أن يكرّر بعض الجمل العقائدية على المستوى اللفظي، حتّى لو لم يدرك مضامينها ومدلولاتها، مثل تكرار قول: لا إله إلا الله، أو محمّد رسول الله أو عليّ وليّ الله...، حتى ترسخ هذه المقولة أو تلك في نفس الطفل ويحفظها عن ظهر قلب، فإنّ تلقين الطفل وتعويده تكرار قول لا إله إلا الله وحفظه، له دور مؤثّر في تفتح الحسّ الإيمانيّ بالله تعالى.

وهذا الأسلوب واضح الاعتماد في الرواية المروية عن عبد الله بن فضالة، عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السّلام، قال: سمعته يقول: «إذا بلغ الغلام ثلاث سنين، يقال له: قل: لا إله إلا الله سبع مرّات. ثم يُترك حتّى يتمّ له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوماً، فيقال له: قل: محمّد رسول الله سبع مرّات. ويُترك حتّى يتمّ له أربع سنين، ثم يقال له: قل سبع مرّات: صلّى الله على محمّد وآله...» (٢٤٢)

وعن النبيّ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «إذا أفصح أولادكم، فعلمّوهم لا إله إلا الله...» (٢٤٣)

وعن النبيّ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم، قال: «من ربّي صغيراً حتّى يقول: لا إله إلا الله، لم يحاسبه الله» (٢٤٤)

وفي هذا السياق، يأتي أسلوب تعويد الطفل المميّز وتدريبه على قراءة آيات القرآن والأحاديث والأدعية التي تشتمل على مضامين عقائدية تربط الطفل

بقوة عظمى في هذا الكون وحفظها، كما في دعاء الجوشن الكبير المروي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَنْ فِي السَّمَاءِ عَظَمَتْهُ، يَا مَنْ فِي الْأَرْضِ آيَاتُهُ، يَا مَنْ فِي كُلِّ شَيْءٍ دَلَالَتُهُ، يَا مَنْ فِي الْبِحَارِ عَجَائِبُهُ، يَا مَنْ فِي الْجِبَالِ خَزَائِنُهُ، يَا مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، يَا مَنْ إِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، يَا مَنْ أَظْهَرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ لُطْفَهُ، يَا مَنْ أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، يَا مَنْ تَصَرَّفَ فِي الْخَلَائِقِ قُدْرَتُهُ»^(٢٤٥)

٢- أسلوب تنمية الشعور بقانون السببية العام: حيث يهتدي الحيوان بغريزته التي أودعها الله تعالى فيه إلى وجود ارتباط بين الأشياء، فيهرب من النار لشعوره بأنها محرقة، ويلتفت إلى الصوت إذا صدر من مكان ما، لشعوره بوجود ذي الصوت في ذلك المكان... إلخ، فميكانيكا ذهن الحيوان تعمل في ضوء قانون السببية، وإن لم يدرك ذلك بصورة واعية، وهكذا هو حال الطفل. وهذا دليل واضح على فطرية الشعور بقانون السببية العام، وعلى المرابي أن يعمل على تنمية هذا الإحساس الغريزي في نفس الطفل، وتحويله شيئاً فشيئاً إلى شعور واعٍ بالعلم الحسولي. فإذا رأينا خطأً سيئاً نعرف أن الكاتب ليس محترفاً، وإذا نظرنا إلى شكل هندسي معماري منظم نعرف أن الذي قام بهذا العمل مهندس باع... إلخ، فيعرف حينها الطفل أن خصوصيات الأثر تدلّ على خصوصيات المؤثر.

والقصّة المشهورة للأعرابي الذي سُئِلَ عن الدليل على وجود الصانع، اعتمدت على عنصر الإيمان القبلي بقانون السببية العام، إذ قال: البعرة تدلّ على البعير، وأثار الأقدام تدلّ على المسير، أقسام ذات أبراج، وأرض ذات فجاج^(٢٤٦)، لا تدلّ على وجود اللطيف الخبير؟!^(٢٤٧)

وننصح المرابين بذكر بعض القصص التي تثبت وجود الله وبأن لهذا الكون لا بد من خالق عالم قدير حكيم، ويمكنكم مراجعة القصص التي تم ذكرها في محاضرة (إثبات وجود الله) في الجزء الثاني من كتاب (زاد المبلغات).^(٢٤٨)

وأيضا تم طرح عدة تمارين تربوية بأساليب متنوعة ترغّب الطفل على محبة

الله في مرحلة الطفولة، يمكنكم متابعتها في الجزء الأول من كتاب (لمسات تربوية) (٢٤٩)

المبحث الثالث: كيف نجيب عن أسئلة الأطفال حول الله؟

تعد تربية الأطفال من أهم المسؤوليات وأكثر الوظائف حساسية بالنسبة إلى المربي بشكل عام، والأب والأم بشكل خاص، فتعليم المفاهيم الدينية وتعريف الأطفال بالمسائل المعنوية هي من أصعب الأعمال وأمتعها في آن واحد. وإن جهل الوالدين أو غفلتهما عنها قد يتسبب بمشكلات خلال عبور الأطفال هذه المرحلة الحساسة.

ولكثيرة الأسئلة التي تردنا من قبل المربين عن كيفية الإجابة عن أسئلة الأطفال حول الله تعالى، نبعث إليكم باقة من الأسئلة المتنوعة والتي سنجعلها على شكل حوار ما بين أحد الوالدين وطفله، ونرجو من المربي أن يتمعن فيها ويفهمها أولاً، ثم يتحاور بها مع طفله، فأن أغلب المربين أما يجهلون الرد على الأسئلة، أو لا يعرفون كيف يوصلون المعلومة إليهم في هذا العمر... وإذا لم يطرح الطفل أسئلة عن الله، فليحاول المربي أن يحفزه على طرحها بطريقة مشوقة، ومن ثم الإجابة عليها، وهي كالاتي:

الطفل: أبي من هو الله؟

المربي: ولدي العزيز، عندما تذهب إلى المدرسة تجد فيها مديراً يقوم بإدارتها... وعندما تأتي إلى البستان تجد البستاني يهتم بشؤونه ويسقي أشجاره ويجني ثماره... إذا ذهبت إلى الجيش، تجد قائداً يطيعه كل الجنود والضباط...

وإذا أردت أن أعرف لك الله بسهولة أقول: الله تعالى هو الخالق، وهو المدير، وهو المسؤول، وهو الرئيس، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (٢٥٠)، فكل ما نراه من الموجودات هو خلق الله تعالى، وكل ما يجري من حوادث في الدنيا صغيرة و كبيرة تحت إدارته و نظره،

و حتى نعرف الله بشكل جيد علينا أن نقرأ القرآن و نتأمل في هذا العالم الكبير والجميل الذي خلقه...

الطفل: أمي أين هو الله؟ هل هو في السماء؟

المربي: ولدي الحبيب، في عمر الطفولة عندما كنا ننظر إلى السماء ليلا، كنا نظن أن الله تعالى موجود إلى جانب النجوم... كنا نظن أن له بيتا كبيرا في السماء، وينظر إلينا منه ويراقبنا... لكن فهمت بعد ذلك أنه ليس كذلك.

الله في كل مكان قرب النجوم، في أعماق البحار، على قمم الجبال، بين الأودية، في الغابات، في المدن والقرى، في المساجد، والمدارس، حتى إنه حاضر معك في قلبك الطاهر النقي أيضا.

الله مثل الهواء الذين نتنفسه في كل مكان، نقرأ في القرآن: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٢٥١)

الطفل: هل تعني هذه الآية: أن لله وجهاً؟

المربي: عزيزي ليس لله وجه، بل نرى آيات حضوره في كل مكان، عندما تفتح الأزهار ويولد الأطفال، وعندما تثمر شجرة الفاكهة، ويغرد البلبل من الفرح، وعندما تشرق الشمس، وتشع النجوم، ويبث القمر النور، ويدعو المريض ربه فيشفيه، ويسأل المحتاج ربه فيعطيه... الله أبدا ودائما رفيق حسن، وصاحب خير، وفي كل مكان معنا وإلى جانبنا. عندما كنا في بطون أمهاتنا، كان الله حاضرا معنا، ولا يزال معنا في أي مكان كنا.

الطفل: أمي إذا كنا لا نرى الله بالعين فكيف نعرف أنه موجود؟

المربي: سأروي لك يا عزيزي هذه القصة: كان أحمد يمر مع والده بالقرب من جدول ماء وقد أسدلت أشجار الصفصاف ظلالها، وراح البط يسبح على سطح الماء، وأشعة الشمس تتسلل بين أغصان الأشجار، سأل أحمد والده:

من صنع كل هذه الأشياء؟ فأجابه: كلها من خلق الله. قال أحمد: فلماذا لا نرى الله؟ أين هو؟، عندها أشار الأب إلى بناء جميل خلف الأشجار وقال لابنه: إننا عندما ننظر إلى هذا البناء نفهم أن شخصاً بناه برغم أننا لا نراه، وهكذا فإننا لا نرى الله لكننا عندما ننظر إلى الشمس والأشجار والطيور نفهم أن هناك من خلقها. إن الله هو خالقنا جميعاً نحن لا نرى لكننا نعلم أنه موجود.

الطفل: أمي ما هو شكل الله؟ هل يشبه الله أحداً؟

أحسننت السؤال، يتخيل بعض الأشخاص أن الله مثل طائر يطير حول النجوم، ويتخيل بعضهم أنه كالشمس في ذلك المكان من الدنيا، وبعض الناس يتخيلون أن الله يشبه رجلاً طاعناً في السن له لحية بيضاء يسكن في بيت كبير في السماء.

لكن يجب أن تعلم أن الله ليس كمثل أي من هذه الأشياء... وأن هذه التخيلات كلها خاطئة، فهو عز وجل أكبر من أن يشبه أي من موجودات العالم، قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٢٥٢)، فهو ليس مرئياً لنشبهه بالأمور التي نراه بأعيننا، نحن نحسب أن الأشياء يشبه بعضها بعضاً.

مثلاً نقول المصباح الكهربائي كالشمس، أما الله تعالى فهو لا يشبه أي أحد، وهو خالق هذا العالم كله، الله الذي نعرفه هو الرب الرحيم، الكريم، المعطي، العالم القوي، ولا يشبه أي واحد من الأشياء التي نراها، جاء في سورة التوحيد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٢٥٣).

الطفل: أمي هل لله شعر وحواجب مثلنا؟

المربي: ولدي العزيز، كم لديك من الصفاء والطهر، وكم أنت ذكي عندما تفكر بهذه الأسئلة، لنبحث معا عن جواب سؤالك:

هل للنجوم التي في السماء شعر وحواجب؟، هل للقلم الذي نكتب به شعر

وحواجب؟، هل التفاحة التي نأكلها الآن شعر وحواجب؟

الطفل: لا يا أمي، ليس لها شعر ولا حواجب.

أحيانا نرسم بعض الأشياء كالشمس أو القمر مثلا ونضع لها لسانا وأنفا وشعرا وحواجب، ولكن هذا العمل هو في الرسم وحسب، وليس له واقع... ولأن نظرنا دائما يقع على الناس فنرى قامة الإنسان ووجهه على الدوام، فنظن أن كل شيء يشبهه، فنشبه مصابيح السيارة بعيني الإنسان، والحديد الذي يعلو المصابيح بالحاجب وهكذا... يتصور بعض الناس أن الله يشبهنا وله شعر وحواجب، ولكن هذه التصورات ليست صحيحة نقرأ في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. (٢٥٤)

فلا يمكننا تخيل أنه شبيه بإنسان ما، وله شعر وحواجب... فالله أساسا لا يحتاج إلى الشعر والحواجب. فالشعر هو زينة للإنسان وحامٍ لجلد الرأس... والحاجب أيضاً هو زينة لوجه الإنسان وحامٍ للعيون من انسياب عرق الجبهة إليها...

الله أكبر من أن نتخيل له شكلا في أذهاننا وأن نضع له شعراً وحواجب.

الطفل: هل ينام الله مثلنا يا أمي؟

المربي: نحن الناس ننام يوميا عشر ساعات تقريبا، من الطبيعي أن الأطفال ينامون أكثر والكبار أقل. إذا لم ننم أو كان نومنا قليلا فسنتعب ونمرض.

فلكي تكون حياتنا سليمة وصحية فعلينا أن ننام يوميا بالمقدار الكافي، لكن لا ينبغي الاعتقاد بأن الله ينام مثلنا، فالأمر ليس كذلك. جاء في القرآن الكريم: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (٢٥٥)، وأيضاً أن الكثير من مخلوقات الله لا تنام ولا تحتاج إلى النوم، على سبيل المثال الكرة الأرضية تدور حول نفسها مرة كل ٤٢ ساعة، وتدور حول الشمس مرة كل سنة، لكنها لا تنام ولا تكل أو تتعب، فهي تدور بهذا الشكل منذ آلاف السنين ولم تتوقف لحظة واحدة حتى ترتاح.

الشمس أيضاً تشع بالنور على الأرض منذ آلاف السنين، ولم تُوقف عملها ولو لحظة واحدة ولا تنام. الأنهار الكبيرة كذلك الأمر تجري منذ مئات السنين، ولم تتوقف لحظة واحدة، كذلك ينابيع الماء الغزيرة.

الله الذي خلق الأنهار والينابيع والشمس والأرض هو أكبر منها جميعاً وأقوى، فإذا كانت هذه الموجودات التي هي مخلوقات الله لا تحتاج إلى النوم، فاعلم يقيناً أن الله العظيم والغني لا يحتاج إلى النوم ولا ينام أيضاً.

إن هذه الأمور وحركة الموجودات هي دليل على أن الله لا ينام، وإذا نام لحظة واحدة فإن هذا العالم يزول.

الطفل: إذا كان الله لا يحتاج إلى النوم، فهل يحتاج مثلنا إلى الطعام؟

المربي: أحسنت سؤال ذكي وجميل، الله غني، هو خلق النوم، والنوم من مخلوقاته العجيبة التي أوجدها في هذا العالم، ومثلما خلق النوم، خلق الطعام والشراب وغيرها. والله لا يحتاج إلى أي شيء من مخلوقاته، لا إلى الطعام ولا النوم ولا النار ولا الإنسان ولا الماء ولا الهواء.

الطفل: ولكن ألا يجوع الله مثلنا؟، ألا يحب الطعام؟

عزيزي، إذا سألت طائر الحمام وقلت له: (هل تحب الحلوى؟)، فسيقول لك: (لا شكراً، أنا أريد حبات القمح)، ولو سألت الشجرة: (هل تحبين الحلوى، فستقول لك: لا أنا أحب الماء)، ولو سألت الشمس: (هل تحبين الحلوى، فستقول لك: لا)

في الأساس الله لا يحتاج إلى الطعام حتى يحب الحلوى، فهو خالق هذه الدنيا وكل المأكولات والفواكه التي نراها، فالأطعمة خلقها الله للناس وللموجودات الحيّة ولم يخلقها لنفسه، فقد خلق التفاح والإجاص والموز والزبيب والحليب واللحم والرمان والفسق والبندق واللوز وكل المأكولات لناكلها نحن ونتلذذ بها.

أصلاً الله لا يجوع حتى يأكل الحلوى أو أي طعام آخر، هو ليس مثلنا حتى يحتاج إلى الغذاء، الله كبير وغني، نقرأ في سورة الأنعام: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾. (٢٥٦)

كل الموجودات محتاجة إليه، ومحتاجة إلى نعمه. أما هو فغير محتاج إلى أحد ولا إلى أي شيء. الله يُحِبُّكَ لأنك تساعد الناس، لا لأنك تأكل وحسب، الله يُحِبُّكَ لأنك مؤمن، الله يُحِبُّكَ لأنك أنت تحبه أيضاً، الله يُحِبُّكَ وإذا أطعته يدخلك الجنة، ويعطيك في الجنة فواكه وطعاماً لذيذاً أطيب من أي طعام. صحيح ينبغي أن تتذكر أن لا تسرف في أكل الحلوى حتى لا تتسوس أسنانك وتسبب لك الوجع.

الطفل: هل يمكنني التحدث مع الله يا أبي؟

المربي: عزيزي، هل تعلم لماذا صنع الإنسان الهاتف؟، نحن الناس عندما نبتعد بعضنا عن بعض لا يمكن لبعضنا سماع أصوات بعضنا الآخر، فمثلاً عندما تسافر من منطقة إلى منطقة، أو عندما تذهب من هذا الشارع إلى شارع آخر بعيد، لا يمكن أن تسمع أصدقاءك إذا أرادوا التحدث معك.. لذا ابتكر الناس الهاتف ليتمكنوا من التكلم فيما بينهم، إذا ابتعدوا وتفرقوا... كل بيت له رقم هاتف خاص به، حيث يمكنك التحدث مع أهله لو اتصلت برقم هاتفهم.

لكن الله سبحانه وتعالى ليس بعيداً عنا أبداً حتى نحتاج إلى التكلم معه عبر الهاتف.. الله موجود في كل مكان وأينما كنت... حتى عندما تقفل باب غرفتك، الله حاضر معك ويسمع صوتك... حتى إن تحدثت بصوت خفي أو همست همساً فالله يسمعك أيضاً... يقول الله تعالى عن لسان النبي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾. (٢٥٧)

ولا تحتاج إلى النداء والصراخ... الله يسمعك بدقة متناهية، يمكنك التكلم

مع الله في أي وقت وأينما كنت عندما تذهب إلى النوم، عندما تستيقظ صباحاً، عندما تكون في المدرسة أو في البيت، عندما تكون أمام المنزل تلعب مع أصدقائك ..

والنتيجة أنك تستطيع الحديث مع الله أينما كنت ومتى شئت، قل له: (إلهي أحبك كثيراً، إلهي اجعلني محبوباً لك، إلهي أطلب منك أن تحفظني وترعاني، يا ربي الرحيم كن عوني دائماً، يا ربي يا محبوب الأطفال الخيرين والمؤدبين اجعلني سعيداً في الدنيا والآخرة)

الطفل: أمي هل يزيد عمر الله، ويصبح عجوزاً في يوم من الأيام؟

المربي: ابني الحبيب، الله ليس كالبشر الذين يولدون من أم، ويمرون بمراحل عمرية مختلفة من الطفولة إلى الكهولة فالشيخوخة... فلا ينبغي أن نقيس الله بنا، فهو غيرنا ... نحن نأكل وهو لا يجوع حتى يأكل، نحن نتعب وهو لا يتعب، نحن نمرض وهو لا يمرض، نحن نبكي وهو ليس كذلك، نحن نعطش وهو ليس كذلك، نحن نموت وهو حي باق لا يموت، نحن نشيخ وهو لا يصبح شيخاً.

الطفل: أبي هل رأى أحد الله، لنقول إنه جميل؟

المربي: بني عندما ترى وردة ذات ألوان جميلة تقول: (هذه وردة جميلة)، عندما تسمع شعراً عذبا تقول: (هذا شعر جميل)، عندما يقدم لك صديقك هدية تقول: (ما أجمل هذا العمل الذي قام به)، بالتأكيد تسمع كثيراً قول (الصبر جميل)، (والعطف جميل)، لذلك فعندما نقول لشيء: (إنه جميل)، حتماً ليس من الضروري أن نراه بأعيننا، ليس الجمال للأزهار والنجوم والجبال والأنهار والأشجار وحسب، بل العطف أيضاً جميل، محبة الآخرين جميلة، الصبر جميل، والإيمان بالله جميل، جمال الله هو رحمته نفسها، وبقية الصفات الأخرى له.. أليس الإبداع في خلق السماء جميلاً؟، أليست قدرة الله في جعل الأرض تدور حول الشمس جميلة؟، أليس عفو الله عن

العباد المؤمنين التائبين جميلاً؟، أليس إطعامه لكل الموجودات الحية الصغيرة والكبيرة في هذا العالم جميلاً؟،

ولدي الحبيب، الله جميل لأنه أرحم من الجميع، الله جميل لأنه مبدع ومصنوع أكثر من أي شخص آخر، الله جميل لأنه أقدر من الجميع، الله جميل لأنه أعلم من الجميع، الله جميل لأنه يصفح عنا ويعفو بأسرع ما يكون، الله جميل لأنه قدر لنا أن ندعوه في أي وقت أردنا ذلك، الله جميل لأنه سمح لنا بمعرفة محبته لنا.

حبيبي بني، لا شك في أن الله القادر الرحيم والعطوف الغفور العالم المبدع، جميل.

الطفل: أبي هل يملك الله بيتا يسكن فيه؟

المربي: ولدي الحبيب، نحن البشر نحتاج إلى مأوى وبيت لحياة أفضل، فالبيت يقينا الحر والبرد والمطر، وكذلك نحتمي به من الحشرات المزعجة ومن خطر الحيوانات المفترسة، وللبيت فوائد أخرى نحفظ فيه أموالنا وطعامنا وممتلكاتنا، فالبيت له أهمية كبيرة بالنسبة إلينا للنوم والأكل والاستراحة وغيرها.

كما أن لكل حيوان من الحيوانات بيتا خاصا به، فبيوت الحيوانات مختلفة من حيث الشكل. لنر هل يحتاج الله إلى بيت أم لا؟

جواب هذا السؤال واضح جداً، الله لا يحتاج إلى بيت؛ لأنه لا يتأذى من أي شيء... لا من البرد، ولا الحر، ولا الرياح، ولا الأمطار. وكذلك لا يناله أي ضرر من الحيوانات، ولا يحتاج إلى طعام ليأكله في البيت، وهو لا ينام حتى يحتاج إلى مكان يتمدد فيه، ولا يحتاج إلى سرير أو لباس أو طعام أو أثاث ليحفظها داخل بيت.

ولدي الحبيب، الله خلق الأرض والسماوات، وهو لا يحتاج في الدنيا التي خلقها إلى بيت لنفسه. الله أكبر من أن يحتاج إلى بيت.

الطفل: إذن لماذا نقول إن المسجد هو بيت الله؟

المربي: عزيزي، المسجد هو المكان الذي يحب الله أن تعبد فيه، فعندما نقول: (إن المسجد بيت الله)، فليس معناه أنه يبني ليلاً في المسجد، ويحتمي فيه من البرد والثلج!! من الطبيعي أن كل مكان نذكر الله فيه ونعبده ونصلي فيه جيد ومقبول. لكن العبادة والصلاة في المسجد أفضل وأكثر ثواباً من أي مكان آخر.

الطفل: أبي إلى أين ذهب جدّي عندما توفي؟

المربي: ولدي الحبيب، الموت هو الانتقال من عالم إلى آخر، فجدك مات لأن حياته في هذا العالم قد انتهت. وهو الآن في عالم آخر يجد فيه والده ووالدته وأصدقاءه الذين سبقوه.

الطفل: إذا أخطأت فهل سيسامحني الله يا أمي؟

المربي: ابني الحبيب، الله تعالى دعانا في القرآن الكريم إلى التوبة ووعدنا بالمسامحة. كما أكد أئمتنا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. إن الله أكثر رحمة من أن لا يغفر للتائبين. ليس علينا إلا الندم والعودة عن أخطائنا وسيمحو ذنوبنا بسرعة.. إن الله أكثر حناناً ومحبة من أي أحد نعرفه، الله يحبنا أن نكون صالحين لأن الخطأ يُشعر الناس بالذنب ويزيدهم توتراً وانزعاجاً، مما يؤثر في تصرفاتهم وفي علاقتهم بالناس حتى المقربين منهم.

أخبرني هل حصل معك أن أخطأت؟ كأن كذبت مثلاً، أو تكلمت كلاماً بذيئاً، أو مزّقت دفتر أختك الصغرى؟، ماذا كان شعورك؟ هل توترت وصرت تدعو الله كي لا يعرف أحد بما فعلته؟، هل تذكر كيف كان قلبك ينبض وكيف كانت معدتك تتألم، وكم كنت متوتراً ومنزعجاً؟

إن الله لا يحب أن نمر بهذه الحالة لأنها مزعجة وتشعرنا بالحزن. لذلك أوصانا الأنبياء والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أن نُسْرِعَ بالتوبة، بأن نعترف بخطئنا، ونُقرر وعدم العودة إلى الخطأ. فما أن نقول: (سامحني يا إلهي)، حتى يُسامحنا لأنه يحبنا ويحب أن نعيش سعداء دون توتر وخوف من أن تنفضح أخطاؤنا.

الطفل: ماذا علينا أن نفعل حتى نشكر الله؟

المربي: هذا السؤال مهم جدا، عندما نريد شُكر أي شخص، ماذا نفعل؟

لكي أشكر الرفيق الذي أعارني قلما، أقول له: (شكرا لك لأنك أعرتني قلمك)، نقول لأستاذنا بعد الدرس: (سلمت يداك، شكرا لك)، ونقدّم له هدية في عيد المعلم. ولكي نشكر الأم التي تتعب كثيرا في أعمال المنزل، نقوم بمساعدتها ونشتري لها في عيد الأم باقةً من الزهور أو لباسا أو كتابا. يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢٥٨)، لقد أعطانا الله اليدين، الرجلين، العينين، اللسان، الأذنين، العقل، وأعطانا الله حاسة الذوق، والشم، والسمع، والبصر واللمس. خلق لنا الطعام والفواكه لنأكل عند الجوع ونشبع، خلق لنا الشمس لتنير ديانا، وخلق القمر والنجوم لينيرا سماءنا المظلمة في الليل، وخلق لنا المطر والماء ليروي عطشنا. ليس بمقدورنا أن نشكر الله على كل هذه النعم.

على أي حال يجب أن نشكره على قدر استطاعتنا، وهو القائل في القرآن الكريم **وَاشْكُرُوا لِي**.^(٢٥٩)

الطفل: ولكن يا أبي كيف لنا أن نشكره على كل هذه النعم؟

المربي: بني، إن أفضل طريقة لشكر الله والثناء عليه هي بالاستفادة الصحيحة من نعمه، وهذه الاستفادة تكون من خلال العمل بما أمرنا به، أي أن نطيعه ولا نعصيه. فلو قدمت العون للآخرين بيديك، أو سقيت الزهور، أو ساعدت أمك، أو لاعبت أخاك الصغير، أو درست دروسك جيدا... إلخ

ولو بذلت القدرة التي أعطاك الله إياها يومياً في أعمال الخير تكون عند ذلك قد أدت شكر الله بشكل صحيح، أما إذا -لا سمح الله- دفعت أحداً بيدك فأوقعته، أو ركلت أحداً برجليك، أو كذبت بلسانك، واغتبت الناس، وأنفقت وقتك في الأعمال القبيحة، فلا تكون قد شكرت الله.

إن قول (الحمد لله) أمر جيد، ولكن أفضل طريقة لشكر الله هو القيام بالأعمال التي أمر بها، فإذا أحسنت الاستفادة من نعم الله عليك، وشكرته على الدوام فسيكون الله إلى جانبك دائماً، يقول تعالى في القرآن: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (٢٦٠).

ولدي الحبيب، كلما وفقت للقيام بعمل جيد قل: (أشكرك يا رب على نعمك التي أنعمت عليّ).

الطفل: ترى هل سيموت الله يوماً؟

المربي: عزيزي، دقق معي، عندما لا نسقي شتلة الورد، تذببل شيئاً فشيئاً، ومع سقوط أوراقها تموت... عندما تذوب الشمعة تنطفئ وتموت... وعندما تصاب الحمامة بطلقة نار من صياد وتُجرح، تنزف حتى تموت... وعندما يبتلى الإنسان بمرض عضال ولا تنفع معه علاجات الأطباء، يموت بعد مدة...

عند التأمل بهذه الأمثلة نفهم جيداً أن سبب الموت والانقضاء هو الذبول والجرح والت هشيم والمرض. أما بالنسبة إلى الله فلا معنى لكل هذه الآفات في حقه حتى نقول: إنه سيموت أيضاً!!

الله ليس كشتلة الورد ليحتاج إلى الماء فيموت من دونه... وهو ليس كالشمع لينقص وجوده شيئاً فشيئاً وعند ذوبانه ينتهي... وليس مثل الحمامة ليتعرض للجرح ويموت

وفي النتيجة، الله ليس كالإنسان ليموت أيضاً بسبب المرض، الله موجود وغير محتاج إلى شيء، الله قوي، قائم، ولا يبلى ولا ينقص. لذلك فهو كائن لن

يموت أو يبلى.

يقول القرآن عن الله: ﴿الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾. (٢٦١)

الله سبحانه أقوى من أن يصيبه أي من حوادث الزمان، وأقوى من أن يتغلب عليه الموت، وهذا العالم الذي نعيش فيه قام بقدره الله الذي لا يموت.

الطفل: أبي ما حجم الله، وكم هو كبير وعظيم؟

المربي: عزيزي، هل الله بحجم الجبل؟

الطفل: لا حتماً فالله أكبر من الجبل.

المربي: هل الله بحجم الشمس؟

الطفل: لا، فالله أكبر من الشم.

المربي: هل الله بحجم الكواكب والمجرات؟

الطفل: حتماً لا، فالله أكبر من ذلك.

إذن فالله أكبر من كل ما نتخيله، الله كبير وعظيم، فقد خلق كل هذه الجبال الكبيرة بمنتهى السهولة، الله كبير وعظيم حيث جعل الأرض تدور حول الشمس بسرعة فائقة، الله كبير وعظيم إلى حد أنه يرزق ويُطعم كل الحيوانات التي تعيش على الكرة الأرضية، الله كبير نرى آيات عظمته في كل نواحي الدنيا ولكن لا يمكن تحديد مقدار عظمته، كل شيء نتصوره كبيراً فالله أكبر منه.

الطفل: أمي لماذا لا يعطينا الله بعض حاجاتنا؟

المربي: أحسنت يا ولدي، سؤالك قد يبدو صعباً لكنه سهل.. حثنا الله

الرحيم في القرآن على الدعاء وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. (٢٦٢)

إذا لم يُرد الله مساعدتنا، لا يطلب منا أن ندعوه، لكن هل فكرت مرة بأنه لو أُجيبَت كل دعواتنا -نحن الناس- ماذا سيحدث؟

مثلاً: المزارع يدعو أن تُمطر السماء، والمسافر يدعو أن لا تُمطر، والبائع يدعو أن ترتفع أسعار البضاعة ليبيع ويستفيد أكثر، أما الآخرون فيدعون أن تنخفض الأسعار كي لا يدفع أكثر.... أنظري فإن أجاب الله كل دعواتنا فسيختل نظام الحياة... إضافة إلى أن الكثير من أدعيتنا قد تكون في غير صالحنا، لهذا فإنه تعالى لا يستجيب لها. الله يحبنا ويعلم أن حاجتنا في بعض الأحيان ليست لمصلحتنا فلا يقضيها لنا ...

الأطفال يطلبون من الله أن يُصبح لديهم عشرات الهدايا والجوائز والكثير من الحلوى، لكن الله يعلم أن الكثير من الحلوى تضر بهم وتصيب أسنانهم بالتسوُّس.

الطفل: إذا لم يستجب الله لكل طلباتنا، فهل هو حقا يحبنا؟

المربي: الجواب عن ذلك سهل جدا وواضح يا بني، فللمحبة علامات، فكل من يُحبنا تظهر محبته بنحو من الأنحاء، فالمعلم يُظهر محبته لنا عندما يرشدنا ويعلمنا، والأبوان يظهران محبتهم لنا عندما يهتمان بنا من خلال حُسن المعاملة والرعاية وشراء اللباس والطعام وغير ذلك.... من يُحبنا يظهر ذلك لنا.

والآن انظر كيف يُبين الله محبته لنا، لقد أعطاك الله عينين جميلتين، وأعطاك يدين قويتين، ولكي تستطيع المشي خلق لك قدمين قويتين، وأهداك أذنين للسمع وليصبح وجهك جميلا منحك حاجبين، وأعطاك أسنانا لمضغ الطعام، وعندما كنت في أحشاء أمك كان الله يردك لحظة بلحظة... والآن لا نستطيع عدّ نعم الله عليك، ولكن أظن أنك ستعلم جيدا من خلال هذه النعم التي ذكرتها مقدار محبته لك... ألا تكفي هذه الإشارة لتعلم أن الله يحبك؟

نعم الله يحبك ولكن عليك أن تحبه أنت أيضا وتطيعه. (٢٦٣)

المعرفة الثانية التي يجب علينا التركيز عليها بعد معرفة الله تعالى، هي معرفة النبي وآل النبي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ^(٢٦٤)، حيث روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم: « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن »^(٢٦٥) ومن الأمور التي تزرع محبة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في قلوب الموالين هو الفرح لفرحهم والحزن لحزنهم، ومن تلك المناسبات التي أدخلت السرور والفرحة على وجه سبط رسول الله الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته الطيبين الطاهرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، هو أن الله تعالى رزقه في مثل هذا اليوم-التاسع من شهر رجب عام (٦٠هـ) في المدينة المنورة-ولداً سماه بعبد الله الرضيع عَلَيْهِ السَّلَامُ، أمّه: الرّباب بنت امرئ القيس بن عديّ-الشاعر المعروف-

الذي يعد أصغر جنديّ وناصرٍ للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في كربلاء، وأعظم وأكبر وليّ من أولياء الله وباب من أبواب الحوائج إلى الله سبحانه وتعالى، وأعظم مظلومٍ في التاريخ.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً

هوسات لمولد الطفل عبدالله الرضيع عَلَيْهِ السَّلَامُ

لعبدالله الرضيع انريد هلهوله

وشمعات الفرحة هليله علّكوله

صواني ملبس وحنه للمولود سووله

ولحسين السبط هليوم هنوله

وهنوها

وهنوها / امه وعماته



بنور ابن الحسين الدنيه مسروره

يوم اولادته ضوت المعموره

خجل حتى الگمر يوم البزغ نوره

اوراد الفرخ للولد منثوره

وطشوها

طشوها / وردات المولد



محلاته الجميل يناغي ابمهده

وجناته شمس بالنور متورده

وعطر ثغره عطر احلى من الورد

احلى من العسل واحلى من شهده

وعطوره

وعطوره / احلى من الورد



قصيدة شعبية للشاعرة أم حسين العسكري ناصريه:

عبد الله انولد والشيعة فرحانه

وين الفرحت بهاليوم ويانه

عبد الله انولد والمهد غناله

ياطير السعد هاليوم هناله
 وجناته كمر بالمهد يتلاله
 وابنوره ضوه هل بيت واركانه
 خلونه نبارك كلنه ابو السجاد
 كل شعبان ميلاد الفرخ ينعاد
 هنو عمته والكافل الورراد
 فرحان الكفيل وثبت برهانه
 برهانه ثبت من هوس الجيدوم
 ناده ياهله بعبد الله هذا اليوم
 فرحان ويصيح الفرخ كون يدوم
 فرحنه واليحبنه يفرح ويانه
 فرحنه واليحبنه يفرح الليله
 هنو ام الحسن وحسين والعيله
 فرحان الحنين بكل مداليه
 عنوان الفرخ شعبان عنوانه
 يابعد الكلب عبد الله يسباحه
 عنوان الفرخ شعبان بافراحه
 كون الشيعه ندعي دوم مرتاحه
 وابجاهك يعجل فرج مولانه



١٠ رَجَب

مولد الإمام محمد الجواد عليه السلام

أَسْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَكُمْ

المناسبة

ميلاد الإمام محمد بن علي الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة للشاعر مرتضى الشراي العاملي

أيضِغُ هذا اليومَ في الأيامِ ؟

حاشا ففيه ولادةٌ لإمامِ

أيامٍ طلَّتْهم على الدنيا وهم

خيرُ الـورى هي أحسنُ الأيامِ

هم سادةُ الدنيا وأيامٌ لهم

هي سادةُ الأيامِ في الأعوامِ

فولادةُ الأطهارِ ليست عندنا

محض احتفالٍ بل نـجاةُ أنامِ

فترانا نفرحُ كالـغريقِ إذا رأى

سفنَ النـجاةِ تمدهُ بزمامِ

وُلِدَ الجوادُ كأنَّ نجماً ساطعاً

خرقَ الظلامَ فلم يعدْ بظلامِ

الـكونِ يزهو والملائكُ تحتفي

بـولادةِ العلمِ التقى السامي

هذا الجوادُ وقد أهْلَ هلاله

بالـخيرِ والإحسانِ والإنعامِ

البازلُ المعطاءُ خيراً مغدقاً

للناس إن بعدوا ولالأرحامِ
 آتاه ربُّه حكمةً كنبِيه
 يحيى الحصور العابد القوَّامِ
 إنّ النبوةَ والإمامةَ ليستا
 بالسنِّ لكنْ منحةَ العلامِ
 فاللهُ يعلمُ حيثُ يجعلُ فضلهُ
 لا شأنَ للأعمار والأجسامِ
 بزّ الخصومَ بتسعةٍ حتّى انزوى
 في ألسنِ الحساد زيف كلامِ
 منّ مثلهم في العلمِ والتقوى وفي
 كشفِ الأمورِ حلالها وحرامِ
 من مثلهم في الحلمِ والعدلِ الذي
 بلغ الذرى والصفحَ والإقدامِ
 هم للبريةِ رحمةٌ وهبت وهم
 للمسلمينَ أبّ ولالإسلامِ
 وصلاةُ ربي والسلامُ عليهمُ
 بنهارِ أيامي وفي الإعتامِ
 وعلى الجوادِ البرِ مولودِ الرضا
 أزكى السلامِ سرى مع الأنسامِ

المحاضرة الخامسة

الحب ما بين الجنسين، (عيد الحب)

روي عن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

(مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) (٢٦٦)

مباحث الرواية الكريمة

المبحث الأول: حكم التشبه بالكافرين

في حياتنا الاجتماعية جملة من العادات والتقاليد والطقوس، بعض منها ورثناه من آبائنا وأجدادنا، بما يمثل حالة مستمدة من الموروث الديني أو الاجتماعي الأصيل الذي يعيشه المجتمع، وبعضها الآخر -والذي نريد الوقوف عليه- هو ما تسرب إلينا من بلاد غريبة علينا، سواءً من ناحية التدين، أو من ناحية العادات والتقاليد الاجتماعية.

فصرنا نرى -مع الأسف- أن هذا الجيل أخذ يتشبه بالفاسقين في فسقهم، وبالكافرين في انحرافهم، الذين عبّر عنهم القرآن في سورة الفاتحة بالمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، عن طريق تقليدهم الأعمى (من دون أن يسأل نفسه ولو مجرد سؤال بأن ما يفعله هل هو صحيح وفق الموازين الدينية التي يؤمن بها أو العادات الاجتماعية والقيم الأخلاقية التي تربي عليها، فهو في الحقيقة ينسلخ من مجتمعه وقيمه وأخلاقه ودينه من حيث لا يشعر، ويتدرج نحو الهاوية بدعاوى وتسويلات شيطانية تارة، أو تمويل أناس مضلين يريدون لهذا الدين ولعنتقيه الضلال والانحلال والضعف تارة أخرى). (٢٦٧)

إن هذا التقليد محرّم شرعاً لأنه يعدّ أمارة عن الانسلاخ في الدين وعدم احترامه وإهانتته، كالمرأة التي تتشبه بالمنحرفات في التبجح والسفور وارتداء الثياب المثيرة الضيقة غير المستورة، وفي تركيب الأظافر والرموش ونفخ الشفاه، وفي سماع الأغاني، وعقد علاقات غير شرعية، وبعض أولادنا قلدهم في التخنيث والشذوذ، وفي لبس السلاسل في المعاصم والأعناق، وفي قصّات الشعر، وحمل رموزهم كارتداء قلادة فيها رمز الصليب، وارتداء لباس الشهرة كالبنطال الممزق، وفي قصّات الشعر، وفي مأكلمهم ومشربهم المحرم ... بل الأمر لم يتوقف على ذلك، بل تجاوزه ليقلدوهم في عاداتهم وأعيادهم المنحرفة كعيد الهال ووين (neewollaH)، وعيد الحب المقترن بالفساد والترويج للضلال

أقول: ماذا جرى لنا؟، هل نسينا أنفسنا؟ مَنْ نحن!!

نحن مسلمون، أي أن كل فرد منا يحمل الهوية الإسلامية، الذي يفترض عليه أن يفتخر بها ... هذه الهوية لا يوجد لها مثيل في الكون ... فالله تعالى قال في كتابه الكريم -وهو المعجزة الخالدة-: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (٢٦٨)، أي أنتم خير أمة ما دتمم محافظين على هويتكم الإسلامية ومتبعين القادة الذين نصّبهم الله تعالى أسوة وقدوة للبشر، الذين لا مثيل لهم بكل الكون منذ أن خلق آدم والى قيام الساعة، وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والواجب علينا أن نتمسك بهذه الهوية الإسلامية للموت، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٢٦٩) فهل يعقل أن استبدل هويتي الإسلامية بهوية كافرة ضائعة؟، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ۖ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٧٠).

هل يعقل أن نترك حجج الله الطاهرين ونطاردهم خلف منحرفين وكفرة؟

قد يقول أحدكم: أعوذ بالله أنا حينما أقلدهم لا أقصد أن أترك الإسلام ولا ترك محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ!!

ولكن لزم أن نعرف أن الله سبحانه وتعالى والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (الذين يمثلون الحق) هم في جانب، وأعداءهم الذين يخالفون أوامرهم (الذين يمثلون الباطل) هم في الجانب المقابل..... فالإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في يوم عاشوراء كان في جانب والأعداء لعنهم الله في جانب آخر... فلو كنت في ذلك الزمن، أي جانب ستختار؟

ستقول: أختار الوقوف مع جانب الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ولكن الذي يكون مع الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وجب عليه أن يتبعه ولا يتبع أعداءه، ولكننا نرى أن سلوك بعض المسلمين يثبت عكس ما يقولونه ويدعوناه من الوقوف إلى جانب الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لتقليدهم واتباعهم للفاسقين والكفرة في سلوكهم المنحرف عن تعاليم الدين والشريعة.

ونحن في زماننا هذا إما أن نكون مع إمام زماننا الإمام المهدي (عج) أو مع أعدائه. وأن الذي يحدد مصيرنا هو موقعنا... في أي جانب نقف؟

روي أنه سأل عبدالله بن رباح القاضي، أعمى عن عمائه، فقال: كنت حضرت كربلاء وما قاتلت؛ فتمت فرأيت شخصاً هائلاً؛ قال لي: أجب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فقلت: لا أطيق! فجرني إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فوجدته حزيناً وفي يده حربة، وبسط قدّامه نطع، وملك قبله قائم في يده سيف من النار يضرب أعناق القوم وتقع النار فيهم فتحرقهم ثم يحيون ويقتلهم أيضاً هكذا. فقلت: السلام عليك يا رسول الله، والله، ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت سهماً. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ألست كثررت السواد؟! فسلمني وأخذ من طست فيه دم فكحلني من ذلك الدم، فاحترقت عيناى، فلما انتهت كنت أعمى.» (٢٧١)

نفهم من الرواية بأنه ليس العاصي الذي سيُحاسب على معصيته هو المرتكب للمعصية فقط، بل يشمل المُعين له، والراضي به، فهؤلاء ثلاثتهم شركاء في المعصية... فهذا الرجل رغم أنه لم يشارك في قتل الحسين ع، بل إن مجرد رضاه بحضوره بجهة العدو صار منهم؛ لأن وجوده كثر سوادهم (أي كثر عددهم) فنال ما ناله من عقاب، لذا نقرأ في زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَعَنَ اللَّهُ أُمَّةً سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ» أي أن اللعن ليس مختصاً بمن ظلم محمد وآله بل حتى الراضي به... أقول: فكيف بالذي قلد أعداء آل محمد في سلوكهم المنحرف الفاحش؟

وأنتم بالتأكيد تعرفون ما هو مصير أعداء الله ورسوله وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يوم القيامة.

رب تساؤل يرد: بأن الذين نتبعهم ونقلدهم ليسوا أعداء آل محمد؛ لأنهم لا يعادونهم ولا يعادون المسلمين ولا يحاربونهم!!

نقول: أولاً: لا يقتصر لفظ العدو على كل من يحمل السلاح علانية ويشن الحرب علينا، بل هناك أعداء وظيفتهم الخداع والتمويه والوسوسة كالشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢٧٢) وكالمنافقين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأْتِهِمْ خُشْبٌ مُمْسِنَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۖ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۖ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢٧٣)، والله تعالى أمرنا أن لا نتولى الأعداء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (٢٧٤).

ثانياً: من ناحية شرعية، إن حرمة التشبه بالكافر لا تقتصر على الكافر الناصبي الذي يُظهر العداة للإسلام، بل حتى الكافر غير الناصبي الذي لا يظهر العداة للإسلام والمسلمين، فلا تجوز موالاته أبداً، أي لا يجوز اتباعه وتقليده فيما يجرمه الله تعالى، لأن الموالاتة لا تكون إلا لله ولمحمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والتبري من أعدائهم، (ولا ريب أن موالاتة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مع

التبري من أعدائهم -أي: الموالة الحقيقية الدائرة بين النفي والإثبات ك(لا إله إلا الله) - عامل مهم، وهو من أهم الواجبات الدينية، كما أنه من الأركان المهمة للإيمان^(٢٧٥)، بل هو عمدة ما في الباب للدخول إلى الجنة^(٢٧٦).

قد يتبادر في أذهان بعضكم عن معنى التولي، ونجيب عن ذلك:

إن التولي في الاصطلاح الشيعي يعني محبة الأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والانقياد لهم وولائتهم^(٢٧٧)، أي هو المحبة الظاهر أثرها في مقام العمل، والانقياد لهم واتباعهم وتقليدهم في أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم. فالتولي هو ارتباط بمنهج محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بمعنى أن التولي ليس مجرد ادعاء للمحبة وإنما هو ارتباط عملي من خلال السير في منهج الرسالة السماوية.

بينما التبري فهو في قبال التولي، أي يجب التبري من أعداء أهل بيت العصمة، ويحرم توليهم واتباعهم وتقليدهم.

قد يسأل أحدنا: إذا كان الكافر محسنا معي، ولم يصدر منه سلوك يدل على معاداته لي، فهل يجب عليّ أن أبغضه أم تجوز محبته؟

يجيب عن ذلك مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظله):

إذا لم يكن يُظهر المعاداة للإسلام والمسلمين بقول أو فعل، فلا بأس بالقيام بما يقتضيه الودّ والمحبة من البر والإحسان إليه، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢٧٨).^(٢٧٩)

ولكن نؤكد أن جواز محبتهم لا تعني جواز موالاتهم، بل شرعا يحرم موالة الكافرين سواءً على المستوى العقائدي كإنكارهم لله، أو على المستوى الأخلاقي كإعدام العفة والغيرة والحمية، أو على المستوى السلوكي كممارسة العلاقات غير الشرعية والتخنيث وعقوق الوالدين، وسماع الأغاني، وشرب الخمر،

أو على مستوى العادات كالأحتفال بعاداتهم المنحرفة كعيد الهال ووين (Halloween) وعيد الحب وغيرها ما دام مقترنا بشيء من الفساد أو كان ترويجا للضلال كما هو الحاصل. بل نحن المسلمون لنا عقائدنا الإسلامية وأخلاقنا وسلوكنا وعاداتنا التي بلغت القمّة في الكمال، قال تعالى في سورة الكافرون^(٢٨٠): ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

وهناك العديد من الآيات التي حرّمت تولي الكافر، ونذكر منها هاتين الآيتين:

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢٨١)، أي لا يجوز أن تتخذوا الكافرين قدوة وأسوة وتتبعوهم فيما خالف الله وتركون محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٢٨٢)، أي أن الذي يتولى ويتبع ويقلد الكافر سيكون منهم، أي سوف تكون عاقبته مثل عاقبتهم، وسيحشر معهم يوم القيامة ويدخل نار جهنم...أعازنا الله وإياكم منها...فنحن لا طاقة لنا على تحمل نار عود الثقاب، فكيف بنار جهنم التي هي أعظم شأنًا من براكين الدنيا!!

حقيقة نحن نستغرب ممن يبيع الجنة بالنار من أجل رغبته في تقليد الفاسقين والكفار، قال أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ لِنَفْسِكُمْ أَثْمَانًا فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِالْجَنَّةِ»^(٢٨٣) ومعلوم أن من مصاديق حرمة تولي الكافر هو حرمة التشبه به، ولقد ذكر الفقهاء العديد من النصوص الشرعية، نذكر منها الآتي:

﴿رَوَى عَنِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)﴾^(٢٨٤)

❖ وروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَلْبَسُوا لِبَاسَ أَعْدَائِي، وَلَا تَطْعَمُوا طَعَامَ أَعْدَائِي، وَلَا تَسْلُكُوا مَسَالِكَ أَعْدَائِي فَتَكُونُوا أَعْدَائِي كَمَا هُمْ أَعْدَائِي»^(٢٨٥) ومن أجل هذه الأدلة الشرعية وغيرها التي تثبت حرمة التشبه بالكفار، أجاب الفقهاء على العديد من الأسئلة بالحرمة إذا كان مضمونها التشبه بالكفار، نذكر منها السؤالين الآتيين:

السؤال (١): ما هو الحكم الشرعي في ظاهرة لبس السلاسل في المعاصم والأعناق بالنسبة إلى بعض الشباب وقد تكون من الفضة أو الذهب؟

الجواب: لا يجوز ذلك إذا كان فيه تشبهاً بالكفار وكان التشبه مظهراً من مظاهر التخلي عن الدين والانسلاخ عن الهوية، أو كان الملبوس من الذهب.^(٢٨٦)

السؤال (٢): منذ مدة قام بعض الشباب بإحداث قصات عجيبة للشعر تشبهاً بدول الغرب فما هو قولكم؟

الجواب: لا ينبغي ذلك، نعم لا يجوز إذا كان التشبه مظهراً من مظاهر التخلي عن الدين والانسلاخ عن الهوية.^(٢٨٧)

السؤال المهم الذي لا بد من طرحه قبل الانتقال للمبحث الثاني هو:

ألا يمكن أن أوالي واتبع الاثنين؟، أي أوالي واتبع محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وبنفس الوقت اتبع الفسقة والكافرين؟

الجواب: (إن من أعظم مصائب الأمة الإسلامية اليوم أن الجميع يكنّ لأهل بيت العصمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ المحبة ويدّعي الولاء، إلا أن أكثر هؤلاء لا يتبرّؤون من أعدائهم ولا يقفون في مواجهتهم)^(٢٨٨)

بدليل اتباعهم وتقليدهم لمن يخالف تعاليم الشريعة بدلاً من التبري منهم.

لزم أن نعرف أن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأعداءهم على طرفي نقيض فالاقتراب

من أحدهما ابتعاد عن الآخر وبالعكس، فهما يختلفان في العقيدة وفي بعض السلوك والأخلاق والقيم والمبادئ.

مثال ذلك: الإسلام يحرص على المحافظة والاعتزاز بالهوية الجنسية، بينما هم يشجعون على تخنيث الرجال واسترجال النساء، الإسلام يحرص بأن تكون العلاقة شرعية بين الذكر والأنثى، بينما هم يشجعون على الزنا والشذوذ بل ويروجون إليه، الإسلام منح حقوقاً للمرأة عديدة تحفظ كرامتها وأن لا تكون العوبة يتمتعون بها ويرمونها، لذا فرض عليها الحجاب وشرع الزواج والمهر وفرض لها حقوقاً ولكن قوانينهم تشجع المرأة على التعري وتسمح للرجال باستدراجها وإفراغ شهوتهم متى ما ثارت، أي صارت كاللعبة، وغيرها كثير من الأحكام والقيم والمبادئ التي نختلف معهم.

وحينما نستقرئ النصوص الشرعية نجد العديد منها يؤكد بأن تولى أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يستقيم بدون التبري من أعدائهم، ونذكر منها النصوص الآتية:

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ﴾ (٢٨٩)

﴿ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُذِبَ مِنْ زَعَمِ أَنَّهُ مِنْ شِيعَتِنَا وَهُوَ مَتَمَسَّكَ بِعُرْوَةِ غَيْرِنَا» (٢٩٠)

بل تشير بعض الروايات إلى أنّ من يوالي أهل البيت ويتودّد لأعدائهم أشدُّ لعنة وسوءاً عليهم، وذلك لأنه يُسهم في تعمية قلوب الناس عن العلاقة الحقيقية بأهل بيت العصمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. (٢٩١)

﴿ رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ مِمَّنْ يَتَّخِذُ مَوَدَّتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لَمَنْ هُوَ أَشَدُّ لَعْنَةً عَلَيَّ شِيعَتِنَا مِنَ الدَّجَالِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ بِمَاذَا قَالَ: بِمَوَالَاةِ أَعْدَائِنَا وَمَعَادَاةِ أَوْلِيَانِنَا، إِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ اخْتَلَطَ الْحَقُّ

بالباطل، واشتبه الأمر فلم يعرف مؤمن من منافق» (٢٩٢)

❖ روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعلموا أنّ الله تبارك وتعالى يبغض من عباده المتلونّ، فلا تزولوا عن الحقّ، وولاية أهل الحقّ، فإنّ من استبدل بنا هلك، وفاتته الدنيا وخرج منها» (٢٩٣)

ومن العادات غير الإسلامية التي تمسك بها بعض المسلمين، والتي نريد الوقوف عليها هو (عيد الحب)، الذي انتشر بشكل كبير في البلدان الإسلامية وترتب عليه فساد كبير. وقبل الدخول فيه لا بدّ من توضيح موقف الشريعة الإسلامية من الحب ما بين الجنسين، والذي سنطرحه في المبحث الآتي، وبعده سنختم المحاضرة بمبحث عيد الحب.

المبحث الثاني: الحب ما بين الجنسين

سنتناول في هذا المبحث مطلبين، وقبل ذلك لنقف على معنى الحب.

الحُب: هو انجذاب القلب بصورة غير إرادية نحو المحبوب من الجنس الآخر لأسباب قد تختلف من شخص لآخر، وقد يرافق الحب أنواعاً من التمنيات والآمال والتصورات، كأن يتمنى الحبيب أن تصبح حبيبته شريكة حياته. (٢٩٤)

وأما المطلبان فهما:

المطلب الأول: موقف الشريعة الإسلامية من الحب ما بين الجنسين

سوف نتعرّض في هذا المطلب إلى مورد من موارد الالتباس التي يقع فيها الجدل بشأن عاطفة الحبّ، وهو قضية الحبّ بين الجنسين -الذكر والأنثى-، ممن لم تربطهما رابطة زواج شرعي، أما الحبّ بين الزوجين فهو مطلوب ويشكّل صمّام أمان لاستمرار الحياة الزوجية.

وكثيراً ما يقع التساؤل عن موقف الإسلام من هذا النوع من الحبّ، الذي يسبق عقد الزواج وقد ينتهي بالزواج، وقد يفشل ولا يتكلّل بالنجاح، فما هو

الموقف الإسلامي من هذا الحبّ هل يحرمه أم يبيحه؟

وفي الجواب على ذلك لا بدّ من التفصيل بين نوعين من الحبّ أو العشق:

١- حالة العشق التي تربط الرجل بالمرأة التي لا يحلّ له الارتباط بها، إما لكونها مُحصّنة ومتزوجة من غيره، أو لكونها من محارمه الذين يحرم الزواج بهنّ على كلّ حال كالخالّة والعمّة وبنّت الأخت أو الأخ.. وهذا النوع من العشق هو عشق محرّم، وعلى الإنسان أن يضع حدّاً له ولا يسترسل معه في إظهار المشاعر بالقول أو الإيماءة أو نحو ذلك، والتحريم هنا ينطلق من اعتبارات مفهومة ومنطقية تأخذ بعين الاعتبار مصلحة الإنسان النوعية، وتهدف إلى حماية الاستقرار العائلي والمجتمعي والأخلاقي.

٢- حالة الحبّ بين طرفين يكون الارتباط العقدي بينهما مباحاً في ظرف تحرّك هذه المشاعر، كما لو أحبّ الرجل امرأة غير متزوجة وتكون ممن يحلّ له الزواج منها أو بالعكس، وفي هذه الحالة ليس ثمة ما يمنع شرعاً من وجود هذه المشاعر. (٢٩٥)

إن الإسلام لا يخالف الحُب ولا يُحرّمه بصورة مطلقة، بل يُقدّسه ويحترمه ويُثيب عليه إن كان حُباً صادقاً متصفاً بالصفات الشرعية التي دعت الشريعة الإسلامية إليه، وذلك لأنّ الحُب في واقعه أمر غريزي و فطري و آية من آيات الله المهمة، جعله الله عزّ و جلّ بين الجنسين سبباً لاستمرار النسل البشري واستقراره و راحته و سدّ حاجته، و رفع النقص و الحرمان عن الجنسين بواسطة انشداد كل منهما إلى الآخر لكن بالطرق المشروعة و ضمن الأطر الشرعية، قال الله عزّ و جلّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٩٦)

عَنْ الإمام الصادق عليه السّلام أيضاً أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله : «قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ-أَي قَوْلِ الرَّجُلِ لَزَوْجَتِهِ- إِنِّي أَحْبُّكَ لَا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِهَا أَبَدًا» (٢٩٧)

فإذا كان الحب صادقاً منبثقاً من القلب وبأهداف سليمة وشرعية، بُغية

الوصول إلى زواج شرعي، فهذا النوع من الحب جائز لا إشكال فيه إن توقف عند هذا الحد، ما لم يتعد إلى النظر أو اللمس المحرّم، أو المحادثات المحرّمة.

ولعل الصحيح أن هذا النوع من الحب -البريء من الحرام- ليس له مصداق في الواقع الخارجي -قبل عقد الزواج- إلا نادراً، ذلك لأن أغلب ما يجري بين الجنسين في العصر الحاضر ليس من هذا القبيل، بل هو علاقة جنسية شبه متكاملة ملؤها الافتتان والإثارة والشهوة المحرمة التي تكون عاقبتها الانزلاق إلى مهاوي الرذيلة والفساد، ومن الواضح أن هذا النوع من الحب حرام يجب الابتعاد عنه.^(٢٩٨) وخلاصة القول: إنّ الحبّ إذا تحوّل إلى حالة غرائزية بعيداً عن العقد الشرعي الذي ينظّم العلاقة بين الجنسين، فإنّه يغدو مذموماً ومرفوضاً، فضلاً عما إذا امتد إلى ما هو أبعد من ذلك، فتحوّل إلى وصال حقيقي بين الطرفين، إنّ المحبّ في هذه الحالة يكون قد ابتذل الحبّ وعكّر صفوه وشابهه بغيره وخان إيمانه بالله تعالى، لأنّ المؤمن الصادق والموحد هو الذي يحبّ لله وليس على حساب الله تعالى^(٢٩٩) الذي لا يريد من تشريعه إلا مصلحة الفرد والمجتمع.

السيطرة على مشاعر الحب

ربما يقال: إنّ الحب والعشق غير اختياري للإنسان، بينما التكليف يتعلق بالأمور الإرادية التي للإنسان الخيار في أن يفعلها أو يتركها، فكيف نُكَلّف في بعض الأحيان أن نوقف الحب؟

مثال ذلك: امرأة تحب رجلاً، وتتواصل معه منذ مدة، ولكنها لا تستطيع الزواج منه، فكيف تخرج حبه من قلبها؟، تشعر أنه تكليف يفوق طاقة الإنسان؟

الجواب: إنّ ما ذكر صحيحٌ من حيث المبدأ، بيد أنّ امتدادات هذا الحبّ وتعبيراته التي تتجسّد في القول أو في الفعل هي بشكل أو بآخر تحت إرادة الإنسان واختياره، لأنّ هناك علاقة وثيقة بين (الأفكار)، و(المشاعر)،

و(السلوك)، ولتوضيح ذلك سنذكر بعض الخطوات التي تعينك على ذلك:

١. إن ما نفكر به يؤثر على كيفية شعورنا وفعلنا، فلذا إذا كانت المرأة تحب رجلاً لا يمكن الزواج منه لسبب ما، فوجب أن تفكر بطريقة تقلل وتوقف تلك المشاعر، بأن تجعل تفكيرها يركز على سلبياته، ولا تفكر في إيجابياته، وإذا قالت: (لا سلبيات فيه)، فاعلموا أن الحب قد أعمأها عن رؤية الحقيقة، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: (مَنْ عَشَقَ شَيْئاً أَعشى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بَعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتِ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتْ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلَّهَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلَمِنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا ...) (٣٠٠)

وإذا كان الزواج منه محرماً، كأن تكونين متزوجة، فاعلمي أن ما تفعليه أمراً محرماً يستلزم نيل غضب الله تعالى وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولا فائدة منه، والعاقلة هي من تتخيل أن الارتباط بذلك الرجل كمن تجلس بقرب شخص مصاب بمرض خطير معدٍ، فهل ستحب الارتباط به؟، العاقلة لا تقبل. ولكن إذا قبلت، فلتعلم أن الموت هو مجرد جسر سينقلها إلى قبرها الذي سيتحول إلى حفرة من حفر النيران المرتبطة بوادي برهوت -وهو نار البرزخ- الذي سيعذب فيه العصاة والزناة الآف السنين، هذا عدا عذاب الآخرة... وأيضاً ينبغي التفكير في الآثار الوخيمة المترتبة على إظهار الحب الذي قد يتسبب بتخريب العلاقة الزوجية للطرف الآخر وربما يترتب على ذلك ما لا تحمد عقباه... هذا التفكير المستمر سيقبل من العاطفة الجياشة.

٢. على الإنسان أن يعرف أن الله إذا ابتلاه بعشق غيره، فهو أمانة على تقصيره في حبه لله تعالى وعدم التزامه بأحكام الله، روي عن المفضل قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن العشق قال: قلوب خلت عن ذكر الله، فأذاقها الله حب غيره. (٣٠١)

ولذا فالعلاج يكون كالتالي:

١. قطع هذه العلاقة فوراً ودون تأخير. وضرورة التوكل على الله، وعلينا أن نتيقن أن الله لا يفعل إلا ما فيه مصلحتنا، ولنتذكر قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَجِبُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ - (٣٠:٢)

٢. العزم على إخراج حبِّ غير الله تعالى من القلب وإدخال حبِّه تعالى بتذكُّر نعمه الكثيرة التي أنعمها على الإنسان من الصحة والعافية، والشباب والسلامة وغير ذلك مما لا تعدُّ ولا تحصى.

٣. الإيحاء النفسي بالالتزام بحب الله تعالى ونبذ حبِّ غيره، التزاماً عملياً، كالارتباط بالصلاة وقراءة القرآن والأذكار والقيام بالأعمال الخيرية قرباً لله تعالى.

٤. التوسل بالله والنبي وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وطلب الاستغاثة من الله بأن يعينه على هذا الأمر، وأن يغنيها الله بزواج مؤمن صالح.

٥. إشغال وقت الفراغ بأمر نافع كالدراسة والعمل وممارسة الهوايات وبعض المهارات التي تزيد من الثقة بالنفس، وتقوية الشخصية، والتركيز على تحقيق الأهداف.

٦. التواصل مع مستشارة تربوية مؤمنة، أو صديقة مؤمنة حكيمة وفيّة.

المطلب الثاني: الحب ما بين الجنسين، أسئلة وردود

وسنطرح ما يتبادر في أذهان الفتيات والشابات من أسئلة حول هذا الموضوع وهي كالآتي:

السؤال الأول: ما هو حكم التواصل عبر الإنترنت مع الجنس الآخر؟

الجواب: يقول الفقهاء، ومنهم سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه):

لا يجوز للمرأة التواصل مع الرجل بالمراسلة الكتبية أو الصوتية فيما لا يجوز بالمشافهة بلا فرق، خوفاً من الوقوع في الحرام ولو بالانجرار إليه شيئاً فشيئاً. (٣٠٣)

إن التواصل في هذه الموارد كثيراً ما يؤدي إلى الخروج عن حدود المتانة واللياقة التي يجب مراعاتها في الكلام بين الأجنبي والأجنبية، ويؤدي إلى إثارة غرائز الطرفين ويستتبع ما بعدها من المحرمات مما لم يكن يتوقعها الطرفان منذ البداية، وذلك مما يقف عليه الواقف على العلاقات الاجتماعية من هذا القبيل مع خوف الوقوع في الحرام ولو بالانجرار إليه شيئاً فشيئاً.

وهذا ما نراه في أغلب الحالات... حيث يبدأ الرجل بـ(السلام).. ثم (التعارف)... ثم (أني معجب بك وبكتابتك)، بينما هو معجب بأنوثتها ويريد اصطياها، ثم يصارحها بحبه وهيامه، وهي تصدّقه، إلى أن يوقعها في شباك الرذيلة، بالتقاط الصور ومقاطع الفيديو لها سرّاً بدون علمها، وبعد مدة ليست طويلة يكشر عن أنيابه بأن يستفزها، فأما أن تنفذ طلباته القبيحة أو يقوم بفضحها بنشر صورها للأهل أو عبر الإنترنت... وفي الأغلب طلباته بأن تدفع له الأموال بشكل مستمر، أو تلبّي رغباته الجنسية متى ما أراد مقابل أن يستر عليها... وترد أمثال هذه الحالات إلى مراكز الشرطة وإلى المستشارين بالمئات والآف..

لذا لزم على المرأة أن لا تسمح لنفسها أن تكون لعبة يتسلى بها الفسقة، بل لزم أن تصون نفسها.

يقول مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظلّه) (٣٠٤): ولا ينبغي لها التصرف على وجه يثير رغبة زوجها أو أبيها بل قد يحرم ذلك في جملة من الموارد كما لو كان التصرف من قبل الزوجة مريباً عقلاً بحيث يعدّ منافياً لما يلزمها

رعايته تجاه زوجها أو كان التصرف من البنت مما يوجب أذية الأب شفقة عليها، وكذلك الحال في الابن بالنسبة إلى أبيه، وإذا توقّف رفع الإشكال على إطلاع الزوج أو الوالد على مضمون المراسلات تعيّن ذلك إذا لم يترتب محذور آخر. وعلى العموم فإنّ للزوج والوالد وظيفة في شأن الزوجة والولد. قال الله تعالى في سورة التحريم، الآية ٦: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. فعلى الزوجة والأولاد أن يكونوا عوناً لهما في القيام بهذه الوظيفة على ما أمر الله تعالى به، ولهما في حال عدم الاستجابة لذلك القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مورده حسب الضوابط الشرعية والله العاصم.

السؤال الثاني: إذا اطمأن شخص بأنه لا يقع في المعصية، فهل يجب عليه الحدّ من ارتباطه بالجنس المخالف؟

الجواب: إذا اطمأن الشخص بأنه لا يقع في المعصية، فهذا لا يعني الانفتاح في العلاقات مع الجنس الآخر، فلا ضمان لبقاء هذا الحب ضمن حدوده الشرعية، حيث أن طبيعة العلاقة بين الجنسين مؤهلة للتطور فلا ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يفتحوا باب هذا النوع من الحب. بل ينبغي الاقتصار على موارد الحاجة التي لا بدّ منها، إذ إنّ الإنسان لا يضمن عواقب الأمور، وهو على الأقلّ لا يضمن مشاعر الطرف الآخر.

وقد رسم الله- سبحانه وتعالى- الطريق المشروع في إقامة علاقات بين الجنسين، وأكّد على تجنّب حالات التواصل التي قد يُستشعر منها ولو بنسبة ضئيلة الوقوع في المحذور. لذا يفتي سماحة السيد السيستاني (دام ظله) بحرمة التواصل بين الجنسين خوفاً من الوقوع في الحرام ولو بالانجرار إليه شيئاً فشيئاً - كما هو حاصل في الواقع - (٣٠٥).

السؤال الثالث: إذا تجاوزت العلاقة بين الشاب والفتاة الحدود، وأصبحت تشكل خطراً عليهما، ما السبيل إلى قطع هذه العلاقة؟

الجواب: لعل الصراحة هي الأسلوب الأنجح في إنهاء هذه العلاقة، ويكون ذلك بذكر المخاطر المترتبة عليها^(٣٠٦)، فمثلاً إذا أخبرك بأن قصده شريف ويريد الزواج منك فأخبريه بأنك لن تستمري معه ولن تبادلبيه المشاعر المثيرة إلا بعد عقد الزواج، وغيري رقم هاتفك وعنوانك الإلكتروني إذا كان يزعجك ولا ينتهي، فإذا كان صادقاً وتمت الاستجابة لذلك وطرق الباب كان بها، وبالتالي تكون قد حلت المسألة بشكل موثوق فيه، ولكن إذا كان يطرق الشباك فهو سارق ويريد التلاعب بك فتوخي الحذر ابنتي فانك ستبقيين عزيزة مكرّمة، ما دمت لم تسمحي لأي رجل أن يدنس طهارتك، وإلا إذا انقادت لشهوتك فسوف تنالين الخزي والخذلان والذلة والمهانة لأن الرجل لما يريد أن يتزوج، فلا يتزوج إلا من المرأة المحصنة التي تنجح في الامتحان بأن لا تغويها إغراءات الرجال، وأما التي تفشل في الامتحان فسوف يتسلون بها. فحذاري يا ابنتي أن تكوني منهم.

السؤال الرابع: كنت أشعر بنقص عاطفيّ من أسرتي تجاهي، فأقمت علاقة عاطفيّة مع شاب، والآن أحاول أن أتخلّص من هذه المعضلة، أرجوكم أرشدوني إلى كيفية الخلاص منها؟

الجواب سنخاطب به صاحبة السؤال أولاً، ومن ثم الأهل.

أولاً: ابنتي العزيزة: إنّ النقص العاطفيّ لا يعوّض من طريق علاقة عابرة وغير شرعيّة بشاب، فأنت كمن يستجير من الرمضاء بالنار، فإذا ما انتكست هذه العلاقة فإنّها تكون بمنزلة مصيبة تحلّ على الفتاة، وإذا ما تصاعدت هذه العلاقة فإنّها لا شكّ ستجرّ عليها الوبال أيضاً، وهي في كلّ الأحوال معصية.^(٣٠٧)

وتجنبنا للتكرار ننصح الفتاة بمراجعة النقاط التي ذكرناها في سؤال (هل يمكن السيطرة على مشاعر الحب؟) في المطلب الأول.

ثانياً: أيها المربون الأفاضل: إن أولادكم إذا فقدوا الحب والعاطفة منكم، وكنتم مشغولون عنهم، أو كنتم قساة في تعاملكم معهم، فاعلموا أن ردة فعل بعضهم تتجه إلى ما يشبع عاطفتهم والبحث عن يمن يحبهم، فلذا الفتى يأخذ بالبحث عن حبيبته، والفتاة تبدأ بالبحث عن حبيب لتسد النقص...وبما أن الوقاية خير من العلاج لذا ينبغي التأكد من عدم تقصيركم في منحها الحب والعاطفة، وأيضا ينبغي الوقوف على الأسباب الأخرى ومنها شعورها بالقلق والتوتر بسبب المشاكل الزوجية أو التعامل معها بغضب وقسوة، فلذا-من ناحية نفسية- تريد أن تنفّس عن نفسها بعقد علاقة مع رجل، أو قد تكون الفتاة بحاجة إلى الزواج ويوجد من يرغب في الزواج بها ولكن بعض الأهل يرفضون بحجة أنها ما زالت صغيرة، رغم أن عمرها تجاوز الخمسة عشر عاما. علما أن الشريعة الإسلامية تجيز للمرأة أن تزوج ويطأها زوجها إذا بلغت تسع سنوات قمرية.

ينبغي للأُم أن تكون قريبة من ابنتها كالصديقة الوفية، وتعرف ما تفكر فيه وتشعر به، فإذا عرفت أنها لا ترغب بالزواج فلا تجبرها على ذلك، وإذا عرفت أنها ترغب به، فلا تعيرها، وتنظر إليها نظرة تحقير وازدراء، فالشريعة تحث على الزواج المبكر، ولكن مع الأسف أغلب المجتمع تأثر بالإعلام المنحرف واعتبر أن المرأة لا يحق لها المطالبة بالزواج إلا بعد أن تكمل دراستها وتتجاوز العشرينات من عمرها، وتأخير زواج-من ترغب به-قد يترتب عليه وقوع الفتاة في الحرام، وسيتحمل الأهل نسخة من أثمها...

إن المربي العاقل المؤمن هو من يجعل الأولوية لتعاليم الله على غيرها، ولذا إذا تقدّم لأبنته زوج، وعلم بأن ابنته موافقة، يبدأ بدراسة الأمر ليبرى هل أن الشخصين مؤهلان للزواج أم هي مجرد نزوة عابرة؟، هل أنهما بقدر المسؤولية أم لا؟، هل أن الرجل مخادع أم نواياه سليمة؟، ما هو مستوى أخلاقه ودينه؟، هل طباعه تنسجم مع ابنته، وغيرها من الأسئلة التي ينبغي أن يوعّي فيها ابنته أيضا كي لا تندم.

السؤال الخامس: كيف يمكننا أن نحول دون إيجاد علاقات غير مشروعة بين الجنسين في المجتمع؟

الجواب: طرح الإسلام جملة من الحلول للحؤول دون حصول هذه المشكلة، نذكر منها باختصار ما يلي:

الأول: الزواج المبكر، فإنه يحقق للشابين الإشباع الجنسي بمقدار يساعد على تجنب إقامة علاقات غير مشروعة.

الثاني: التحلي بمكارم الأخلاق، كعامل يساعد على تجنب الاختلاط الذي يؤدي إلى إثارة الغرائز، والامتناع عن مشاهدة البرامج المصوّرة التي تثير الشهوات، ورعاية العفة والاحتشام.

الثالث: الالتزام بالمثل الأعلى وهو الله-تبارك وتعالى-، من خلال الاقتداء بالنبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسلم، وآله (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وإطاعتهم، والتشبه بهم، والتحلي بصفاتهم التي كلّها حسنة.

الرابع: إشغال النفس بأشياء أخرى مفيدة وتجنب الفراغ.

الخامس: التفكير الدائم بالموت وما بعده، وبيوم الحساب وما بعده. (٣٠٨)

المبحث الثالث: عيد الحب

ابتداءً لا بد من الوقوف على رأي الشريعة الإسلامية بما يتعلق بالاحتفال بالأعياد غير الإسلامية، والذي سنطرحه من خلال عرض الأسئلة الواردة على سماحة آية الله السيد علي السيستاني (دام ظلّه)، وهي كالآتي:

السؤال (١): هل يجوز المشاركة في مجالس الأعياد غير الإسلاميّة؟

الجواب: إذا خلت عن الفسوق وسائر أنواع الفساد ولم يكن في ذلك نشرٌ

للضلال فلا مانع. (٣٠٩)

السؤال (٢): هل يجوز أن نحتفل برأس السنة الميلادية؟

الجواب: لا مانع منه في حد ذاته، نعم إذا كان يقترب بشيء من الفساد أو ترويج الضلال لم يجز. (٣١٠)

السؤال (٣): ما حكم الاحتفال بعيد الحب؟

الجواب: إذا لم يكن فيه ترويج للفساد أو الضلال فلا مانع. (٣١١)

نفهم مما استعرضناه، أن الحكم بالجواز مشروط بعدم ارتكاب المنكرات والمحرمات وكل ما ينطبق عليه عنوان الفساد والفسوق، ولم يكن في ذلك نشر للضلال. وإلا إذا كان الاحتفال يتضمن شيء من ذلك فلا يجوز الاحتفال ويكون المٌحتفل أثم.

ورغم وضوح الموقف الشرعي من هذه الأعياد، إلا أن بعض المسلمين لما ينظرون للفتاوى، يأخذون منها ما يعجبهم ويتركون ما لا يعجبهم، أي يأخذون من الفتوى عبارة (يجوز)، ويغفلون عن عبارة (بشرط ألا تقترب بالمنكرات) ... هذا الصنف من الناس هم ليسوا عبيداً لله، بل عبيداً للدين، فهم كما وصفهم الإمام الحسين بن علي عليه السلام: «النَّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيَا، وَالدِّينُ لِعِقِّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُخِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَانُونَ» (٣١٢)

صدقت يا أبا عبد الله... فهناك بعض من يدعي الموالاة لكم والحزن لحزنكم والفرح لفرحكم... ولكنهم كاذبون، بدليل حينما تمر الذكرى السنوية لبعض الأعياد النصرانية أو الوثنية وغيرها، ومنها عيد الحب، تراه يحتفل بها رغم اقترانها بالمنكرات كعقد علاقات غير شرعية مع آخرين، ومن التهادي المحرم، والغزل والتصافح والملاسة، والنظر المحرم ... إلخ، وفي بعض الأعياد -كعيد رأس السنة الميلادية- يقترب مع الاحتفال، الغناء والرقص وشرب المنكر وكأنه وثني أو نصراني.

يا ترى هل رأينا يوماً أن الكافرين قلدونا في أعيادنا كعيد الفطر والأضحى؟، هل رأينا أنهم قلدونا في أحزاننا كحزننا في يوم عاشوراء؟، حتى نحصر لهذه الدرجة على إحياء أعيادهم لربما أكثر من حرصنا على إحياء أعيادنا؟

إلى أي درجة من الانحطاط الأخلاقي وصلنا؟، ... ثقوا أن الغرب والكفار

لن يفتخروا بنا، بل يضحكوا علينا؛ لأن هذا سيعطي انطباعاً بأن المحتفلين فارغون من الداخل، وليست لديهم ثقة بأنفسهم ولا بدينهم؛ لأنهم كما وصفهم الإمام علي عليه السلام: «وَهَمَّجُ رَعَاغُ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ».^(٣١٣)

ولقد انتشر فيديو في مواقع التواصل الاجتماعي عن رجل -كان كافرا وصار مسلماً قبل سنوات- ينتقد الاحتفال الذي أقامه المسلمون في السعودية بعيد الهال ووين (Halloween) المقترن بالمنكرات من غناء ورقص واختلاط محرم، قال ما مضمونه: عندما يكون أناس مثلي أصبحوا مسلمين منذ ٣١ سنة، وتركنا خلفنا كل الأعياد الوثنية، -ومنه الاحتفال بعيد الهال ووين من أجل عبادة الله... ولكنني أتفاجأ حينما أرى بعض مسلمي السعودية يحتفلون به - إنه حقا شيء مقلق حينما نرى مسلمي اليوم يحتفلون بالأعياد الوثنية التي تركتها من أجل الإسلام، بينما هم يحيون الوثنية!!

سؤال لا بد من طرحه: هل يعرف المسلمون أصل عيد الحب الذي يقلدونه؟

ذكرت الموسوعة الكاثوليكية، أن القسيس (فالنتاين)، كان يعيش في أواخر القرن الثالث الميلادي، تحت حكم الإمبراطور الروماني (كلاوديس الثاني).

وقد قام الإمبراطور بسجن القسيس؛ لأنه خالف بعض أوامره، وفي السجن تعرّف على ابنة لأحد حراس السجن، ووقع في غرامها وعشقتها، وكانت تزوره ومعها وردة حمراء لإهدائها له.

فلما رأى منه الإمبراطور ما رأى أمر بإعدامه، فعلم بذلك القسيس، فأراد

أن يكون آخر عهده بعشيقته، حيث أرسل إليها بطاقة، مكتوباً عليها: «من المخلص فالنتاين» ثم أُعِدِم في الرابع عشر من فبراير سنة ٧٢٠م، ثم تطور الأمر بعد ذلك حيث قام القساوسة بتغيير العبارة إلى (باسم القسيس فالنتاين، أرسل لك هذه البطاقة).

فذكرت الموسوعة أيضاً: إنه في إحدى القرى الأوروبية، يجتمع شباب القرية في منتصف فبراير من كل عام، ويكتبون أسماء بنات القرية في أوراق، ويجعلونها في صندوق، ثم يسحب كل شاب من هذا الصندوق ورقة، والتي يخرج اسمها على ورقته، تكون عشيقته طوال السنة.

والظاهر من حادثة شباب القرية، أنهم فعلوا ذلك، تخليداً لذكرى القسيس فالنتاين، وعشيقته، وحباً للفاحشة والخنا. وكذلك يفعلون.

وهذا العيد عندهم لا علاقة له بالأم ولا بالأب ولا بالإخوة ولا الأبناء، بل حتى ولا علاقة له بالزوجة ولا حتى الخطيبة، بل مناسبة خاصة بالعلاقات غير الشرعية من الحب والغراميات والعشق المحرم.

فكيف سمح المسلمون بل حتى الشرفاء وإن لم يكن لهم دين أن يتسرب إلى عوائلهم أو أن يلقي رواجاً بينهم وهو من أقذر أعياد الكفار لاشتماله على مظاهر الفسق والفجور التي لا تلتئم مع ديننا الإسلامي وعرفنا الاجتماعي المحافظ. (٣١٤)

فإذا كان عيد الحب يدعو إلى الحب والمودة الخالصة فهذا هو ما يدعو إليه الإسلام، روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الدين هو الحب، والحب هو الدين». (٣١٥)

وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هل الدين إلا الحب؟! إن الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾» (٣١٦).

وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده لا يؤمن أحدكم

حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». (٣١٧)

فلماذا لا نُفَعِّلَ الحب في هذا اليوم فيما يرضي الله تعالى؟، كأن يخصص للتركيز على المحبة ما بين الزوجين، وأنه يوم المحبة والألفة والتسامح والعفو والرحمة والمغفرة، وبذلك يزداد الترابط في الأسرة الواحدة... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ إِنِّي أُحِبُّكَ لَا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِهَا أَبَدًا» (٣١٨) في حين أن الزوج الذي يُعَبِّرُ عن حبه لغير زوجته، أو الرجل الذي يُعَبِّرُ عن حبه لزوجته رجل آخر، سوف يؤدي هذا الانفلات إلى تدمير الأسر وفسادها، فضلاً عن فساد دينه وآخرته... وهكذا الحال مع العزّاب.

والذي ليس لديه زوجة فيمكنه أن يعبر عن حبه لأمه أو لأبيه أو لأخته أو لأحد محارمه، أو المرأة تعبر عن حبه لصديقتها الوفية، أو الرجل لصديقه الوفي بإحدى الطرق والوسائل المعقولة والمقبولة شرعاً وعرفاً كالتهادي بهدية، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تهادوا تحابّوا، تهادوا فإنها تذهب بالضغائن» (٣١٩)

سؤال: ما هي الآثار والأضرار المترتبة على المشاركة في عيد الحب؟

الجواب: تتجلى الآثار والأضرار الناشئة عن المشاركة في هذه المناسبة بأمرين؛ منها:

١. (إن ما يفعله الكفار في أعيادهم واحتفالاتهم، منه ما هو كفر، ومنه ما هو محرم، ومنه ما هو مباح، والتمييز بين هذا وذاك، قد يخفى على الكثير، وهذا مؤداه أن يتساهل عامة المسلمين بأمر صريحة في كفر، أو ما دونها من الموبقات.

٢. إنَّ مشاركة الكفار ومشابهم في مناسباتهم، تُورث نوعاً من مودتهم ومحبتهم وموالاتهم، وقد تقرّر أن موالات الكفار تنافي الإيمان، كما هو معلوم

بالضرورة من دين الإسلام، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴿٣٢٠﴾

٣. إنَّ الاحتفال بأعياد الكفار، تُوجب سرور الكفار بما هم عليه من الباطل، وذلك إذا رأوا المسلمين تابعين لهم في طريقتهم، وهذا ظاهر في قوة قلوبهم وانسراح صدورهم، وطمعهم في المسلمين ونهب خيراتهم واستذلالهم، وقد فعلوا.

٤. تعطيل أعياد المسلمين؛ فالنفس تأخذ حظها من اللعب واللهو في تلك الأعياد المحرّمة؛ فإذا ما جاء العيد الحقيقي للمسلمين، فَتَرْتُ النفوس عن الرغبة في عيد الله، وزال ما كان عنده له من المحبة والتعظيم.

٥. إن ذلك يوجب عزة الكافرين وذلة المؤمنين، وقد منع الإسلام من ذلك بل ومنع كل تشريع فيه ذلك، كما في منع تزويج الكافر من المسلمة، أو ولاية الأب أو الجد الكافر على الصغير، أو وراثته الابن الكافر من الابن، وهكذا غيرها من الأحكام التي يجدها المتبع في الكتب الفقهية.

٦. والأهم من ذلك كله هو أن مشاركة الكفار في أعيادهم واحتفالاتهم والتشبه بهم في ذلك، يُؤدي بالمسلمين المُتشبهين بهم والمشاركين لهم إلى اكتساب أخلاقهم المذمومة، بدليل الرواية -محل البحث- عن النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ) ^(٣٢١)، وأيضاً روي عن مولى المتقين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قل من تشبهه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم» ^(٣٢٢)، إذ أنَّ المشاركة في الظاهر تستدعي المشاركة في الباطن ولو بعد حين، إلى أن ينسلخوا عن الدين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ^(٣٢٣). ^(٣٢٤)

بينما لو تشبهنا بالصالحين وعلى رأسهم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فسوف نكون من شيعتهم ونحشر معهم، وهذا هو الفوز العظيم. لذا وجب علينا أن نتعرف على أئمتنا الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وعلى سيرتهم وصفاتهم ومعالي أخلاقهم لنتبعهم ونقلدهم في أفكارهم وأقوالهم وأفعالهم، ومنهم صاحب الذكرى إمامنا التاسع

الإمام محمد الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ ... حيث في مثل هذا اليوم العاشر من شهر رجب (كان الشيعة ينتظرون بفارغ الصبر ولادة الإمام الجواد من أبيه الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك لعلمهم بهذا الأمر، ولكن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قد مر على عمره الشريف أكثر من أربعين سنة ولكنه لم يرزق ولداً بعد، وعندما كان يسأل عن ذلك يجيب: «إن الله سوف يرزقني ولداً يكون الوارث لي والإمام من بعدي»^(٣٢٥)

وأخيراً ولد الإمام سنة (١٩٥ هـ). وقال الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عند ولادته: «قد ولد لي شبيه موسى بن عمران فالق البحار وشبيه عيسى بن مريم، قدست أم ولدته، قد خلقت طاهرة مطهرة ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: يقتل غصباً فيبكي له وعليه أهل السماء ويغضب الله على عدوه وظالمه فلا يلبث إلا يسيراً حتى يعجل الله به إلى عذابه»^(٣٢٦)

وولادة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أزالَت القلق من قلوب الشيعة حيث كان يحزنهم أن لا يكون للإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ خليفة.^(٣٢٧)

وأما حدث المولد العظيم وساعته وما جرى فيه من الكرامة فتحكيه السيدة الكريمة حكيمة بنت أبي الحسن موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قالت: (لما حضرت ولادة الخيزران أم أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ دعاني الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: «يا حكيمة احضري ولادتها»، وأدخلني وإياها والقابلة بيتاً ووضع لنا مصباحاً، وأغلق الباب علينا.

فلما أخذها الطلق طفئ المصباح، وكان بين يديها طست، فاغتمت بطفء المصباح، فبينما نحن كذلك إذ بدر أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في الطست، وإذا عليه شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نوره حتى أضاء البيت فأبصرناه فأخذته فوضعتة في حجري ونزعت عنه ذلك الغشاء. فجاء الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ وفتح الباب وقد فرغنا من أمره، فأخذه ووضعته في المهد، وقال لي: «يا حكيمة الزمي مهده»، قالت: فلما كان في اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء ثم نظر يمينه

ويساره ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله». فقامت ذعرة فزعة فأتيت أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقلت: سمعت من هذا الصبي عجباً. فقال: «وما ذلك؟»، فأخبرته الخبر. فقال: «يا حكيمة ما ترون من عجائبه أكثر». (٣٢٨)

فَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ مَاتَ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا

هوسات في مدح الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ

إجينه المولدك مولاي و بلهفه تعينه

يا باب المراد اليوم جينه كل أمانينه

قصدناك بأمل وأشواق وبميلادك تهانينه

محتاره الدنيه بأفكاره

يا باب المراد اليوم إجينه بكل حوائجنه

يا اللي ابمنهل أجدادك تربينه و تدرجنه

يا القبرك ملاذ الناس قبرك روضة الجنه

فرحانه الزهره ابميراده

أبيات أبودية في مدح الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ

الليله يفوح بعطوره وردنه

الجواد اليوم من بابه وردنه

ردنه نحیی میلاده و ردنه
 انهني والده و كل البرية
 جواد ابن الرضا لهواك هاوين
 و دربك يا إمامي وين هاوين
 و لولاك ابجهنم جان هاوين
 و لولاك العده تشمت عليه



١٣ رَجَبٍ

ولادة أمير المؤمنين عليه السلام

أَسْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَكُمْ

المناسبة

ولادة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة الكوثرية للشاعر السيد رضا الهندي

أَمْفَلَجْ تَغْرِكَ أُمَّ جَوْهَرٍ
 وَرَحِيقِ رُضَابِكَ أُمَّ سَكَّرِ
 قَدْ قَالَ لِتَغْرِكَ صَانِعُهُ
 إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ
 وَالْخَالَ بِخَدِّكَ أُمَّ مِسْكَ
 نَقَطْتَ بِهِ الْوَرْدَ الْأَحْمَرَ
 أُمَّ ذَاكَ الْخَالَ بِذَاكَ الْخَدِ
 فَتَيْتُ النَّدَّ عَلَى مَجْمَرِ
 عَجَباً مِنْ جَمْرَتِهِ تَذَكُّو
 وَبِهَا لَا يَحْتَرِقُ الْعَنْبَرُ
 سَوَّدْتُ صَحِيفَةَ أَعْمَالِي
 وَوَكَلْتُ الْأَمْرَ إِلَى حَيْدَرِ
 هُوَ كَهْفِي مِنْ نُوبِ الدُّنْيَا
 وَشَفِيعِي فِي يَوْمِ الْمَحْشَرِ
 قَدْ تَمَّتْ لِي بَوْلَايَتُهُ
 نَعَمْ جَمَّتْ عَنِّي أَنْ تُشَكَّرَ
 لِأَصِيبَ بِهَا الْحِظَّ الْأَوْفَى
 وَأَخْصَصَ بِالسَّهْمِ الْأَوْفَرَ

بالحفِظِ مِنَ النَّارِ الْكُبْرَى
 وَالْأَمْنِ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ
 هَلْ يَمْنَعُنِي وَهُوَ السَّاقِي
 أَنْ أَشْرَبَ مِنْ حَوْضِ الْكُوْتَرِ؟
 أَمْ يَطْرُدُنِي عَنْ مَائِدَةٍ
 وَضَعْتَ لِلْقَانِعِ وَالْمُعْتَزِ
 يَا مَنْ قَدْ أَنْكَرَ مِنْ آيَاتِ
 أَبِي حَسَنِ مَا لَا يُنْكَرُ
 إِنْ كُنْتَ لَجْهَكَ بِالْأَيَامِ
 جَدْتَ مَقَامَ أَبِي شُبَّرِ
 فَاسْأَلْ بَدْرًا وَاسْأَلْ أَحَدًا
 وَسَلِ الْأَحْزَابِ وَسَلِ حَيْبَرَ
 مَنْ دَبَّرَ فِيهَا الْأَمْرَ وَمَنْ
 أَرَادَ الْأَبْطَالَ وَمَنْ دَمَّرَ
 مَنْ هَدَى حُصُونَ الشُّرْكِ وَمَنْ
 شَادَ الْإِسْلَامَ وَمَنْ عَمَّرَ
 مَنْ قَدَّمَهُ طَهَ وَعَلَى
 أَهْلِ الْإِيمَانِ لَهُ أَمْرُ
 قَاسُوكَ أَبَا حَسَنِ بِسِوَاكَ
 وَهَلْ بِالطَّوْدِ يُقَاسُ الذَّرُّ؟
 أَنَّى سَاوُوكَ بِمَنْ نَاوُوكَ
 وَهَلْ سَاوُوَا نَعْلِي قَنْبَرُ؟
 مَنْ غَيْرِكَ مَنْ يُدْعَى لِلْحَرْبِ
 وَلِلْمَحْرَابِ وَلِلْمَنْبَرِ؟
 أَفْعَالُ الْخَيْرِ إِذَا انْتَشَرَتْ

فِي النَّاسِ فَأَنْتَ لَهَا مَصْدَرٌ
 وَإِذَا ذُكِرَ الْمَعْرُوفُ فَمَا
 لِسِوَاكَ بِهِ شَيْءٌ يُذَكَّرُ
 لَوْلَمْ تُؤَمَّرْ بِالصَّبْرِ وَكُظْمِ
 الْغَيْظِ وَلَيْتَكَ لَمْ تُؤَمَّرْ
 لَكِنْ أَعْرَاضَ الْعَاجِلِ مَا
 عَلَّقَتْ بِرِدَائِكَ يَا جَوْهَرَ
 أَنْتَ الْمُهْتَمُّ بِحِفْظِ الدِّينِ
 وَغَيْرِكَ بِالدُّنْيَا يَغْتَرُ
 أَفْعَالُكَ مَا كَانَتْ فِيهَا
 إِلَّا ذِكْرِي لِمَنْ أَدَّكَ
 حُجْبًا أَلْزَمْتَ بِهَا الْخُصَمَاءَ
 وَتَبْصِرَةً لِمَنْ اسْتَبْصَرَ
 آيَاتُ جَلَالِكَ لَا تُخْصَى
 وَصِفَاتُ كَمَالِكَ لَا تُحْصَرُ
 مَنْ طَوَّلَ فِيكَ مَدَائِحَهُ
 عَنْ أَدْنَى وَاجِبِهَا قَصَّرَ
 فَاقْبَلْ يَا كَعْبَةَ أَمَالِي
 مِنْ هَذِي مَدِيحِي مَا اسْتَيْسَرَ

المحاضرة السادسة

علي عليه السلام كعبة الأحرار

روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
مَثَلُ عَلِيٍّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ الْكَعْبَةِ. (٣٢٩)

المبحث الأول: الولادة الميمونة

ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في أشرف بقاع الأرض وهو بيت الله الحرام في الكعبة المقدسة. وأيضاً ولد في أشرف الأزمنة؛ لأن ولادته كانت لثلاث عشرة خلت من شهر رجب وهو من الأشهر الحرم، وفي ليلة الجمعة وهي خير ليالي الأسبوع، سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام، إكراماً له بذلك وإجلالاً لمحلّه في التعظيم. وكان عمر النبي صلى الله عليه واله عندئذٍ ثلاثين سنة، وذلك بعد تزوجه صلى الله عليه واله من خديجة بخمس سنين، وقبل المبعث بعشر سنين.

إن المحقق المتبع للنصوص الروائية التي تصرّح بولادة الإمام علي عليه السلام في الكعبة المشرفة، سيلمس أن هناك دلالات علمية لا بد من الوقوف عليها، ومن تلك الدلالات شهرة الواقعة، وأنها ليست من أخبار الأحاد.

حيث اشتهرت الولادة في الكعبة المشرفة شهرة تتجاوز كل الشكوك التي تثار غالباً حول موضوع من هذا القبيل. والمراد بالشهرة هنا، تواتر الرواية في كتب الفريقين على أقل التقادير. (٣٣٠)

قال الحاكم في المستدرک: «تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد (رض) ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة»، وصرّح العديد من العلماء والمؤرخين بأنّه لم يولد فيها أحد سواه، راجعوا مصادر الفريقين في

الهامش. (٣٣١)، ولكون محاضرتنا مختصة بولادة الإمام علي عليه السلام، فلا بد من الوقوف على نص الرواية، ونرجو منكم الالتفات إليها لأن لنا وقفة على فقراتها، ولقد اخترت لكم ما رواه لنا العلامة المجلسي في كتابه بحار الأنوار ما نصه:

روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام قال: كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قنبر جالسين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق عبد العزى بإزاء-مقابل- بيت الله الحرام إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملاً بأمير المؤمنين تسعة أشهر وكان يوم التمام قال فوقفت بإزاء البيت الحرام وقد أخذها الطلق فرمت بطرفها نحو السماء وقالت:

« أَي رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنَةٌ بِكَ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِكَ الرَّسُولُ وَبِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِكَ وَبِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ وَ إِنِّي مُصَدِّقَةٌ بِكَلَامِ جَدِّي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَإِنَّهُ بَنَى بَيْتَكَ الْعَتِيقَ فَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الْبَيْتِ وَمَنْ بَنَاهُ وَهَذَا الْمَوْلُودِ الَّذِي فِي أَحْشَائِي الَّذِي يُكَلِّمُنِي وَيُؤَنِّسُنِي بِحَدِيثِهِ وَأَنَا مُوقِنَةٌ أَنَّهُ إِحْدَى آيَاتِكَ وَدَلَائِلِكَ لَمَّا يَسَّرْتَ عَلَيَّ وَوَلَدْتَنِي »

قال العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قنبر: فلما تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء رأينا البيت قد انفتح من ظهره-أي انفتح الجدار من جهة الركن اليماني- ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا ثم عادت الفتحة والتزقت بإذن الله، فرمنا أن نفتح الباب لتصل إليها بعض نسائنا فلم يفتح الباب، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله تعالى وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام، قال وأهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك وتتحدث المخدرات في حُدورهن.

قال فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعليها السلام على يديها، ثم قالت: « معاشر الناس إن الله عز وجل اختارني من خلقه وفضلني على المختارات ممن كن قبلي وقد

اخْتَارَ اللَّهُ أَسِيَّةَ بِنْتَ مَزَاحِمٍ وَإِنَّمَا عَبَدَتِ اللَّهَ سِرًّا فِي مَوْضِعٍ لَا يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا اضْطِرَّارًا، وَإِنَّ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ اخْتَارَهَا اللَّهُ حَيْثُ يَسَّرَ عَلَيْهَا وَلَادَةَ عِيسَى فَهَزَّتِ الْجَذْعَ الْيَابِسَ مِنَ النَّخْلَةِ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى تَسَاقَطَ عَلَيْهَا رُطْبًا جَنِيًّا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَنِي وَفَضَّلَنِي عَلَيْهِمَا وَعَلَى كُلِّ مَنْ مَضَى قَبْلِي مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ لِأَنِّي وُلِدْتُ فِي بَيْتِهِ الْأَعْتِيقِ وَبَقِيْتُ فِيهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَكُلُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَأُرَاقِهَا ﴿أَرْزَاقِهَا﴾ فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَخْرُجَ وَوَلَدِي عَلَى يَدَيَّ هَتَفَ بِي هَاتِفٌ وَقَالَ:

« يَا فَاطِمَةُ سَمِّيهِ عَلِيًّا فَأَنَا الْعَلِيُّ الْأَعْلَى وَإِنِّي خَلَقْتُهُ مِنْ قُدْرَتِي وَعِزِّي جَلَالِي وَقِسْطِ عَدْلِي وَاشْتَقَقْتُ اسْمَهُ مِنْ اسْمِي وَأَدْبَنْتُهُ بِأَدْبِي وَفَوَّضْتُ إِلَيْهِ أَمْرِي وَوَقَفْتُهُ عَلَى غَامِضِ عِلْمِي وَوُلِدَ فِي بَيْتِي وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يُؤَدِّنُ فَوْقَ بَيْتِي وَيَكْسِرُ الْأَصْنَامَ وَيَرْمِيهَا عَلَى وَجْهِهَا وَيُعْظِمُنِي وَيَمَجِّدُنِي وَيَهْلِلُنِي وَهُوَ الْإِمَامُ بَعْدَ حَبِيبِي وَنَبِيِّ وَخَيْرَتِي مِنْ خَلْقِي مُحَمَّدٍ رَسُولِي وَوَصِيِّهِ، فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّهُ وَنَصَرَهُ وَالْوَيْلُ لِمَنْ عَصَاهُ وَخَذَلَهُ وَجَحَدَ حَقَّهُ».

قَالَ فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ سُورَ وَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثُمَّ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمَّا دَخَلَ اهْتَزَّ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، قَالَ ثُمَّ تَنَحَّجَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ أَفْلَحُوا بِكَ وَقَرَأَ تَمَامَ الْآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ: أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنْتَ وَاللَّهُ أَمِيرُهُمْ - أَي أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - تَمِيرُهُمْ مِنْ عُلُومِهِمْ فَيَمْتَارُونَ وَ أَنْتَ وَاللَّهُ دَلِيلُهُمْ وَبِكَ يَهْتَدُونَ. (٣٣٢)

ولقد ذكرنا أن مضمون هذه الرواية قد ذكر في عشرات مصادر أهل السنة فضلاً عن مصادر الشيعة، وبمراجعتها لا يبقى مجال لمن يشكك في ولادة علي بالكعبة ويقول: «لم يكن علياً عليه السلام هو الذي ولد بالكعبة وإنما هو شخص

يسمى حكيم بن حزام». إن أعداء الإمام علي فتشوا عن شيء يعيبون به علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يجدوه، فلجأوا إلى مصادرة بعض مناقب الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ونسبتها إلى غيره من أجل إطفاء نور الله، ونسوا أن الله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٣٣).

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (٣٣٤) وقد سُئل عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ماذا أقول في رجل أخفى أعداؤه فضائله حسداً، وأخفاها محبوه خوفاً، وظهر من بين ذين وذين ما ملأ الخافقين). (٣٣٥).

المبحث الثاني: وليد الكعبة، أسئلة وردود

سنجيب في هذا المبحث على أبرز الأسئلة التي قد تتبادر في أذهان بعضكم عند قراءة الروايات المختصة بولادة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي كالآتي:

سؤال رقم (١): إن الكرامات المذكورة في حق الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنها ما ورد ذكره في حديث ولادته من انشقاق جدار الكعبة، والبقاء ثلاثة أيام فيها، تأكل أمه من ثمار الجنة، ونطق الإمام عند ولادته، وغيرها لو كان صحيحاً لنطق به القرآن كما نطق عن معجزات نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ألا تعدون هذه النصوص من وضع الغلاة؟!

ونجيب عن ذلك بهاتين النقطتين:

١. لا يلزم من ظهور الكرامات والمعجزات على يد الأنبياء والأوصياء وجوب ذكرها وتوثيقها في القرآن الكريم، وإلا لزم ذكر مئات المعاجز للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ التي تظافر نقلها بين المسلمين عموماً، مع أن القرآن الكريم لم يذكر منها سوى الشيء اليسير جداً، منها الكرامات التي تزامنت مع ولادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كارتجاج إيوان كسرى حتى سقط منه أربع عشرة شرافة، وغوص بحيرة ساوة، وخمود نار فارس ولم تخمد قبل بألف سنة، واضطراب الأبحار والرهبان عند ولادته حتى رآه بعضهم وعرف خاتم النبوة

على جسمه الشريف. (٣٣٦)

٢. لو صح أن نطلق لفظ (الغلو) على كرامات أهل البيت عليهم السلام لصح أن نطلق لفظ الغلو في حق كرامات ومعاجز الأنبياء والرسل عليهم السلام لورود مثلها في القرآن، قال تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. (٣٣٧) فحكم الأمثال فيما يجوز ولا يجوز واحد.

نعم قد يقول أحدكم: أن هذه المعاجز ورد ذكرها في القرآن لذا فهي ليست بغلو!!

ويرد عليه: مثلما نص القرآن الكريم قد ثبت بالتواتر، كذلك ثبتت بعض الأحاديث والروايات بالتواتر كرواية ولادة الإمام علي عليه السَّلَام في الكعبة.

فالحديث المتواتر يعني الحديث الذي سلسلة رواته إلى المعصوم بحد من الكثرة في جميع الطبقات يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب في نسبة الحديث إلى المعصوم، وإنه يوجب العلم بصدوره عن المعصوم.

يقول الحر العاملي في كتاب وسائل الشيعة: (وقد ثبت مقابلة القرآن والحديث في زمن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بالتواتر، والوجدان شاهد صدق بحصول العلم بذلك). (٣٣٨)

وإذا كانت الكرامة ثابتة بحق غير الأنبياء كما حصل مع كرامات السيدة مريم عليها السلام، قال تعالى: [يَا مَرْيَمُ أَنْتِ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ] (٣٣٩) فلماذا لم تصل النبوة إلى ذكر كرامات الأئمة الأطهار عليهم السلام ينكرها بعضهم؟!

إن بيان هذه الحقائق لا يعد غلوا، وإنما الغلو هو: إعطاء المخلوق صفات الخالق من السيطرة والخلق والتدبير المستقلين، وللوقوف على التفاصيل ننصحكم بمراجعة المحاضرة السابعة المعنونة (التوسل بالسيدة الزهراء ع)

في الجزء الخامس من كتاب (زاد المبلغات) للباحثة مياسة شبع.

وينبغي أن لا نعجب مما ورد في حق أمير المؤمنين عليه السلام من كرامات فهو الإمام المنصوص عليه من قبل الله عز وجل، وهو نفس النبي الأمين صلى الله عليه وآله بنص آية المباهلة [وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ] (٣٤٠)، وهو بمنزلة النبي صلى الله عليه وآله الذي قال فيه: «يا علي! أنت ممي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (٣٤١).

وهو باب مدينة علم المصطفى صلى الله عليه وآله، وكان النبي صلى الله عليه وآله قد علّمه ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب كما ورد ذلك بالآثار الصحيحة، فإن كان لا يزيدنا عجباً أن يأتي من **عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ** بعرش بلقيس من اليمن إلى أرض القدس بأقل من طرفة عين، فلم نعجب بمن **عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ** كله (٣٤٢) أن ينطق عند مولده أو أن يحيى الموتى بإذن الله، وهو الذي جعل المولى سبحانه مدار الإيمان والنفاق على حبه وبغضه (٣٤٣)، وصيرّه مولى كل مؤمن ومؤمنة الى يوم الدين؟! (٣٤٤)

السؤال (٢): روي في حديث آخر: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال في حديث طويل: «ولقد هبط حبيبي جبرئيل في وقت ولادة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: يا حبيب الله، العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، ومهنوك بولادة أخيك علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويقول: هذا أوان ظهور نبوتك، وإعلان وحيك، وكشف رسالتك، إذ أيدتك بأخيك، ووزيرك.. الخ» (٣٤٥)

كيف تقول الرواية: إن جبرائيل هبط على رسول الله، وقال له: . .؟!، فهل كان جبرائيل يهبط على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قبل أن يبعث؟!، وكيف كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعلم بالقرآن ونحن نعلم أنه نزل عليه بالتدريج ابتداءً من يوم المبعث لما كان عمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أربعين عاماً؟

الجواب: إن بعض الناس تعتقد أن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صار نبياً لما بلغ الأربعين عاماً، وهذا الأمر غير صحيح لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان

نبياً منذ ولد - كما دلت عليه الروايات-، ثم صار رسولاً حين بلغ أربعين سنة. (٣٤٦)، ويدل على ذلك: أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان نبياً منذ ولد، فقد قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٣٤٧)

وقال سبحانه وتعالى عن يحيى ع: ﴿ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (٣٤٨)

ورود في أخبار كثيرة إن الله لم يعط نبياً فضيلة، ولا كرامة، ولا معجزة إلا أعطاهم نبينا الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (٣٤٩)، بل أكثر من ذلك فقد روي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد »، أو نحو ذلك. (٣٥٠)

نستنتج من ذلك أن النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان نبياً - على أقل التقادير- منذ ولادته لذا من الطبيعي أن ينزل عليه الوحي، وأن نزول القرآن عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إنما يحتاج لمجرد نزول الوحي، الذي تتحقق به النبوة، وقد كان ذلك حاصلًا في ليلة القدر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ﴾ (٣٥١)، ولكي نفهم المطلب جيداً لا بد أن نعلم أن للقرآن نزولين قد ذكرهما العلماء، وهما كالآتي:

الأول: نزوله دفعة واحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (٣٥٢) أي نزل القرآن من الله سبحانه على قلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الطاهر في ليلة القدر من شهر رمضان.

والثاني: النزول التدريجي، حيث نزل على مدى (٢٣) سنة بحسب الظروف والحوادث والاحتياجات. حيث يستفاد من آيات عديدة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان عالماً بالقرآن قبل نزوله التدريجي، كآية (١١٤) من سورة طه: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ وجاء في الآية (٦) من سورة القيامة: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (٣٥٣).

إذن نفهم من ذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان عالماً بالقرآن منذ صغره، أو قبل ذلك حيث كان آدم بين الماء والطين أو بين الروح والجسد، فيكون نزول القرآن سابقاً على ولادة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

السؤال (٣): لقد ذكرتم في الرواية: أن الإمام علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ولادته تنحج^(٣٥٤) وقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(٣٥٥)، كيف قرأ علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ولادته الآيات من سورة المؤمنون، وهي لم تكن قد نزلت على رسول الله ص؟!، كيف علم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا القرآن، وهو قد ولد لتوّه ولم يُعلّمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إياه؛ لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ ولد قبل البعثة بعشر سنوات!!!

الجواب: لقد ذكرنا في جواب السؤال السابق أن القرآن نزل دفعة واحدة على قلب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا مانع من أن يعلم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقرآن، ما دام نوره مشتقاً من نور رسوله، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله: خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد^(٣٥٦)، وهو وصيه، وهو يعلم بما أنزل الله على نبيه، بالنحو المناسب لمسيرة خلقته.

إن علوم محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ علوم لدنية، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(٣٥٧) مصدره الله تعالى، أي أن الله لما يريد أن يزقهم بالعلم فلا يحتاج الأمر إلى أن يكبروا فتنضج مداركهم وعقولهم بالتدريج كالإنسان العادي، فتارة علمهم عبارة عن نور يقذفه الله في قلوبهم، روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه.^(٣٥٨)

وتارة أخرى يرثون العلوم من رسول الله صلى الله عليه وآله، أو عن طريق الإلهام بنكت في القلوب، أو بتحديث الملائكة لهم.^(٣٥٩)

فمعلوم أن الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ محدّثون بمعنى أن الله يطلعهم على الوقائع والحقائق من وراء حجاب، أو أنهم يستلهمون الأخبار من قبل الله تعالى، عن

طريق الوحي وهو الملك.

قد يعترض بعضنا قائلاً: كيف يأتيه الوحي وهو ليس بنبي؟

(إن لكلمة (الوحي) استعمالات متعددة ومختلفة يجمعها المعنى اللغوي الكلي، وهو الإعلام بخفاء، وهذا المعنى الجامع موجود في بعضها حقيقة، وفي بعضها الآخر مجازاً وادعاءً، كما لو كان الموحى إليه جماداً أو حيواناً لا يعقل. وهذا يمكن استفادته من التدبر في الموارد القرآنية التي ورد فيها استعمال هذه اللفظة كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾^(٣٦٠)، فالمراد أنه سبحانه أودع في كل سماء، السنن والنظم الكونية، وقدر لها دوامها.

وأيضاً يأتي لفظ (الوحي) في مورد الإدراك بالغريزة كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾^(٣٦١)، فما يقوم به النحل من اتخاذ البيوت بهذه الأشكال الهندسية المتقنة والعجيبة الصنع إنما هو نتاج غزيرة إلهية مودعة في مكان خلقته وصميم وجوده.

وأيضاً يأتي الوحي بمعنى الإلهام والإلقاء في القلب كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾^(٣٦٢)، وحيث إن تفهيم أم موسى مصير ولدها كان بإلهام وإعلام خفي، عبر عنه بالوحي. وكما أوحى الله إلى السيدة مريم عليها السلام: ﴿فَتَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا﴾^(٣٦٣).

وأيضاً يأتي الوحي فيراد به كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣٦٤)، وقوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، وقد غلب استعمال الوحي في المعنى الأخير، فكلما أطلق الوحي وجرد عن القرينة كان يراد منه ما يلقي إلى الأنبياء من قبل الله تعالى.. لذا وجبت الملاحظة بأن أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا يتلقون وحياً إلهياً بالمعنى الأخير، فقد انقطع الوحي

بهذا المعنى وتبليغ الرسالات بعد رحيل النبي الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وإنما هي علوم اختصوا بتلقينها لما يدخل في مهمة إمامتهم وقيادتهم للأمة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وتسمى وحياً لما سبق بأن الإلهام والإلقاء في القلب يسمى وحياً. وقد وردت جملة من الروايات التي تبين لنا كيفية تلقي الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ لهذه العلوم.

روي عن عيسى بن حمزة الثقفى قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنا نسألك أحياناً فتسرع في الجواب وأحياناً تطرق ثم تجيبنا قال: (إنه نعم ينقر وينكت في آذاننا وقلوبنا فإذا نكت أو نقر نطقنا وإذا أمسك عنا أمسكنا).^(٣٦٥) ونحن نستغرب من المخالفين حينما يعترضون بأن الإمام مُحدث، فيخبره الملك منذ ولادته بما أنزل الله تعالى على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، رغم أنه منصَّب من قبل الله؟!، في حين أنهم يتقبلون بأن عمر محدث (حسب زعمهم)^(٣٦٦)

السؤال (٤): لقد ذكرتم في الرواية: إن فاطمة بنت أسد ولدت علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ في جوف الكعبة .. فلما خرجت قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَبَهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ... وفي نص آخر: أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لما ولد سجد على الأرض، وهو يقول: «أشهد أن لا اله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن علياً وصي رسول الله. بمحمد يختم النبوة، وبى يتم الوصية، وأنا أمير المؤمنين إلخ»^(٣٦٧) كيف يتكلم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ولادته، فإن هذا الأمر غير معقول!؟

الجواب: إن نطق الصغير بالكلام، وظهور رجاحة عقله، وإقراره بالإيمان، وبالإسلام، وبغير ذلك .. وإن كان مخالفاً للعادة، لكنه ليس من المحالات في نفسه، ونحن نشهد تفاوتاً ظاهراً في وعي الأطفال في صغرهم؛ وفي أوقات ظهور ذلك منهم .. فكيف إذا كان الله تعالى هو الذي يظهر هذه الفضيلة لهم.

وقد أنطق الله تعالى عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ فور ولادته، فقال في سورة مريم: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، فلماذا لا يُنطق علياً عليه السلام، وهو أفضل منه!!^(٣٦٨)، فلماذا لا يُنطق علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أفضل

منه!!^(٣٦٧) إن ما تتبناه الشيعة هو أفضليّة الإمام علي عليه السّلام على سائر الأنبياء عليهم السّلام سوى نبينا الرسول الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلّم بدلائل كثيرة منقولة عند الفريقين.^(٣٦٨) .^(٣٦٩)

والروايات عديدة، منها حديث الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلّم: «لولا علي لم يكن لفاطمة كفو، آدم فمن دونه»^(٣٧١)، ومنها ما روي بأن صعصعة بن صوحان^(٣٧١) (رضي الله عنه) سأل الإمام عليا عليه السّلام قائلاً: يا أمير المؤمنين! أخبرني أنت أفضل أم آدم أبو البشر؟

فقال الإمام عليه السّلام يا صعصعة! تزكية المرء نفسه قبيح و لولا قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٣٧٣) ما أجبت يا صعصعة! أنا أفضل من آدم، لأن الله تعالى أباح لأدم كل الطيبات المتوفرة في الجنة ونهاه عن أكل الحنطة-وفي روايات التفاحة- فحسب، ولكنه عصى ربه وأكل منها! وأنا لم يمنعني ربي من الطيبات، وما نهاني عن أكل الحنطة، فأعرضت عنها رغبة وطوعاً.

فقال صعصعة: أنت أفضل أم نوح؟ فقال عليه السّلام: أنا أفضل من نوح، لأنه تحمل ما تحمل من قومه، ولما رأى منهم العناد دعا عليهم و ما صبر على أذاهم فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(٣٧٤)، و لكنني بعد حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله تحملت أذى قومي و عنادهم فظلموني كثيراً فصبرت و ما دعوت عليهم. وابن نوح كان كافراً وابنائي سيديا شباب أهل الجنة.

فقال صعصعة: أنت أفضل أم إبراهيم؟

فقال عليه السّلام: أنا أفضل، لأن إبراهيم قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ...﴾^(٣٧٥)، و لكنني قلت وأقول: لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً.

قال صعصعة: أنت أفضل أم موسى؟

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنا أفضل من موسى، لأن الله تعالى لما أمره أن يذهب إلى فرعون ويبلغ رسالته ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(٣٧٦)، ولكنني حين أمرني حبيبي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ حتى أبلغ أهل مكة المشركين سورة براءة، وأنا قاتل كثير من رجالهم وأعيانهم! مع ذلك أسرع غير مكترث، وذهبت وحدي بلا خوف ولا وجل فوقفت في جمعهم رافعا صوتي، وتلوت الآيات من سورة براءة وهم يسمعون!!

قال صعصعة: أنت أفضل أم عيسى؟

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنا أفضل، لأن مريم بنت عمران لما أرادت أن تضع عيسى كانت في بيت المقدس، جاءها النداء يا مريم أخرجي من البيت! ها هنا محل عبادة لا محل ولادة فخرجت ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ...﴾^(٣٧٧)، ولكن أمي فاطمة بنت أسد لما قرب مولدي جاءت إلى بيت الله الحرام والتجأت إلى الكعبة، وسألت ربهما أن يسهل عليها الولادة، فانشق لها جدار البيت الحرام وسمعت النداء: يا فاطمة ادخلي! فدخلت ورد الجدار على حاله فولدني في حرم الله وبيته. وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي.^(٣٧٨)

المبحث الثالث: أسرار وليد الكعبة

لا يتسنى لكل إنسان أن يولد في مكان قد اختاره الله تعالى ليكون مثابة للناس وكعبة تقصد على مر العصور والأزمان، إلا من كان له منزلة وكرامة على الله تعالى وهذا ما حصل بالفعل بالنسبة لمولى الموحدين وكعبة المؤمنين علي بن أبي طالب ع، حيث اختاره الله ليكون وليد الكعبة المباركة التي تؤم وتقصد كل يوم خمس مرات قبلةً للمسلمين أجمعين، واختيار الله تعالى الكعبة كمكان لولادة أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يخلو عن وجه من الرعاية السماوية لهذا المولود^(٣٧٨)، وهذا الأمر يتبين من خلال النقاط الآتية:

أولاً: إن دخول فاطمة بنت أسد (رض) للكعبة ووضعها لعلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان من باب الإعجاز لا من باب الاتفاق والصدفة حتى يُزعم بأن الوضع لم تكن فيه ميزة تكريم سماوية. بل إن الفضيلة والكرامة في أن باب الكعبة كان مقفلاً. ولما ظهرت آثار وضع الحمل على فاطمة بنت أسد (رضي الله عنها) عند الطواف خارج الكعبة انفتح لها الجدار بإذن الله تعالى وهتف بها هاتف بالدخول...

وهذا يدل بأن الوضع كان أمراً من الله تعالى، فهذا «يزيد بن قعنب» أحد الذين عاينوا الواقعة، يسترسل راوياً: «... فرأينا البيت قد انشق (أي انفتح) عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، وعاد إلى حاله (والتزق الحائط) فرمنا أن ينفث قفل الباب فلم ينفث، فعلمنا أن ذلك أمر من الله تعالى. ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ..» (٣٧٩)

نفهم من ذلك أن وضع أم طالب (رض) في ذلك المكان المقدس يعدّ تكريماً وليدها وإشارةً لميزته الرسالية، لأن الوضع لم يكن اتفاقياً-صدفةً.

ثانياً: إن ولادته في الكعبة تدل على طهارته. فمن المعلوم أن ما يصحب الولادة عادةً من خروج كيس المشيمة والدماء قد يؤدي إلى نجاسة المكان، وهذا يقتضي أن تكون ولادة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ طاهرة من تلك النجاسات. ولم نقرأ في كتب التاريخ ولا حتى إشارة إلى أن تلك الولادة قد تركت نجاسة في الكعبة المشرفة. والمتيقن أن الولادة الطاهرة لا تتم إلا عن طريق لون من ألوان التكريم الإلهي للمولود. ويؤيده بعض الروايات، منها الرواية المروية في «معاني الأخبار» على لسان فاطمة بنت أسد (رض): «إن مريم بنت عمران أوحى إليها أن أخرجي من بيت المقدس فإنه بيت عبادة ولا بيت ولادة، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سمّيه علياً فهو عليٌّ...». فهي تعلم أن الكعبة بيت عبادة أيضاً لا بيت ولادة، ولكن طهارة الولادة وشأن المولود كانت مبرراً للوضع في بيت العبادة.

ويؤيده الرواية التي ذكرت الحوار الذي دار ما بين صعصعة بن صوحان (رضي الله عنه) حينما سأل الإمام علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: يا أمير المؤمنين! أخبرني أنت أفضل أم عيسى؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ أنا أفضل، لأن مريم بنت عمران لما أرادت أن تضع عيسى كانت في بيت المقدس، جاءها النداء يا مريم أخرجي من البيت! ها هنا محل عبادة لا محل ولادة فخرجت ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾^(٣٨١)، ولكن أمي فاطمة بنت أسد لما قرب مولدي جاءت إلى بيت الله الحرام والتجأت إلى الكعبة، وسألت ربها أن يسهل عليها الولادة، فانشق لها جدار البيت الحرام وسمعت النداء: يا فاطمة ادخلي! فدخلت ورد الجدار على حاله فولدني في حرم الله وبيته. وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي.^(٣٨٢)

وقد أشار ابن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨ هـ) إلى طهارة الولادة، فقال: «فالولد الطاهر من الطاهر ولد في الموضع الطاهر، فأين توجد هذه الكرامة لغيره؟ فأشرف البقاع: الحرم، وأشرف الحرم: المسجد، وأشرف بقاع المسجد: الكعبة. ولم يولد مولود سواه. فالمولود فيها يكون في غاية الشرف، وليس المولود في سيد الأيام: يوم الجمعة، في الشهر الحرام، في البيت الحرام سوى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.^(٣٨٣)

السر الثالث: إن ولادته عَلَيْهِ السَّلَامُ استجابة للدعوة الإبراهيمية

حينما نقف على قصة نبي الله إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ سنجد أن الله تعالى ابتلاه وامتحنه بعدة امتحانات وتكاليف، قال تعالى في سورة البقرة ١٢٤: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنْالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، فكانت النتيجة أن إبراهيم أتم هذه التكاليف -وهي عشرة- وامتثلها وأطاع الله تعالى فيها، وكانت من جملة هذه التكاليف أنه بنى الكعبة الشريفة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣٨٤)

وقوله تعالى: ﴿فَأْتَمَّهُنَّ﴾ يبين أنه حينما أتمّ الامتحانات ونجح فيها أعطاه الله تعالى منصب الإمامة المباركة وجعلها -بالجعل التشريعي- في ذريته ولكن دون الظالمين منهم.

ومن خلال التمعن والتدقيق في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ سنجد أن هناك ارتباطاً ما بين بنائه الكعبة الشريفة، وبين الامتحانات التي مر بها، وبين إعطاء الإمامة له كمنصب إلهي يكون بالنص، وطلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من الله تعالى الإمامة لذريته الشريفة وخصوصاً المؤمنين.

أقول: لو تمعنا في ذلك كله وبين ولادة عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكعبة لظهر لنا أن ولادة أمير المؤمنين علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكعبة الشريفة ما هي إلا استجابة للدعوة الإبراهيمية في إعطاء الإمامة في ذريته المؤمنة وكما ورد على لسان النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حيث قال لعليّ ع: أنا وأنت دعوة إبراهيم الخليل. أو قوله ص: «الناس من أشجار شتى وأنا وأنت يا علي من شجرة واحدة».^(٣٨٥)

إذن يظهر أن الدعوة الإبراهيمية قد تمثلت استجابتها في بزوغ فجر الإمامة من أول يوم بنيت فيه الكعبة إلى أول يوم ولد في الكعبة ذلك المولود الإبراهيمي إن صح التعبير.

والشاهد على ما نقول هو ما يظهر من لسان أم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي فاطمة بنت أسد عَلَيْهَا السَّلَامُ عندما كانت حاملاً بعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث كانت تأتي إلى الكعبة الشريفة وتطوف حولها، وتقف أمامها وترمي بطرفها نحو السماء وتقول: «أي رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب،

وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني إلا ما يسرت عليّ ولادتي»^(٣٨٦)

السر الرابع: لا تقام الصلاة من دون البيت الحرام ولا تقام أيضاً من دون ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم الإمام علي والأنمة من ولده عَلَيْهِم السَّلَامُ

إن خير دال على التلازم بين الكعبة (أعزها الله تعالى) وعلي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ هو ما كشفه مقيم البيت وبانيه، أي: إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى عن لسان عبده إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (٣٨٧)

هنا: يُظهر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ العلاقة بين البيت الحرام وذريته، ويدل في الوقت نفسه على العلة التي أوجبت تكوين هذه العلاقة، والغاية من الحضور، ألا وهي: الصلاة، وإقامة الصلاة مرهونة بذرية إبراهيم؛ بمعنى بناء الصلاة وتقويمها هو من اختصاص ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان البناء من مرحلتين:

المرحلة الأولى: بناء بيت الله الحرام كي يتوجه المصلون إليه في صلاتهم. والذي بعدم تحققه أي التوجه للقبلة، تبطل الصلاة بإجماع فقهاء المسلمين. فكان إبراهيم وولده إسماعيل هما من أقاما القواعد والبناء في المرحلة الأولى.

المرحلة الثانية: كانت الإقامة للصلاة بعد أن بُني البيت الحرام، وهذا مرهون بذرية إبراهيم، ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ لذا كانت الكعبة محل التوجه للصلاة وكان علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ إمام الإقامة.

فسر ولادته في الكعبة كأنه رسالة موجهة إلينا مضمونها كالاتي: مثلما وجب عليكم أن تتجهوا في صلاتكم إلى الكعبة المشرفة، ولا تصح الصلاة إلا بالتوجه إليها، ولا تصح صلاة الجماعة إلا بالإتمام بالإمام ولا يجوز التقدم عليه، كذلك وجب عليكم موالاته وطاعة الإمام الذي ولد في الكعبة التي تتجهون إليها يومياً، ولا يجوز التقدم عليه.

ولكن لماذا علي عليه السلام دون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟

الجواب: لأن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا خلاف فيه بين المسلمين، ولكن أتباع الرسول انقسموا إلى قسمين: الأول أطاع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بموالاته الإمام علي عليه السلام واتباعه، والثاني خالف الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم برفض موالاته الإمام عليه السلام.

إذن علي هو الفيصل الذي تتكشف به حقائق الأعمال فأما كفر ونفاق، وأما إيمان وتقوى أي به تتحدد الصلاة فأما تكون مقبولة وأما مردودة. (٣٨٨) روي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي لا يحبك إلا من طابت ولادته، ولا يبغضك إلا من خبثت ولادته، ولا يواليك إلا مؤمن ولا يعاديك إلا كافر». (٣٨٩)

السر الخامس: إن مولد أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة، إيدان من الله تعالى إلى البشرية جمعاء بأن الذي سيطر هذه الكعبة من رجس الأصنام هو هذا المولود المبارك الذي ولد فيها.

وهذا المعنى ذكرناه في حديث ولادة الإمام عليه السلام، حينما سمعت أمه هاتفا يقول: «..وَهُوَ أَوْلُ مَنْ يُؤَدِّنُ فَوْقَ بَيْتِي وَيَكْسِرُ الْأَصْنَامَ وَيَرْمِيهَا عَلَى وَجْهِهَا وَيُعْظِمُنِي وَيَمَجِّدُنِي وَيَهْلِلُنِي...»، وفعلاً قد تحقق هذا المعنى عند فتح مكة المكرمة حيث دخل النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم مكة فاتحاً والأصنام آنذاك معلّقة على جدرانها ولكل قبيلة من قبائل العرب كان منصوباً لها صنم في جوف الكعبة، فما كان من الرسول الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا أن أصعد علياً على منكبه الشريف، وأخذ الأمير يحطم الأصنام ويرمي بها إلى الأرض، والنبي يقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٣٩٠)

قال رجل للصادق عليه السلام: «أخبرني لماذا رفع النبي علياً على كتفه؟ قال: ليعرف الناس مقامه ورفعته. فقال: زدني يا بن رسول الله. فقال: ليعلم الناس أنه أحق بمقام رسول الله. فقال: زدني. فقال عليه السلام: ليعلم الناس أنه إمام

بعده والعلم المرفوع. فقال: زدني. فقال: هيات والله لو أخبرتك بكنه ذلك لقمتم عني وأنت تقول إن جعفر بن محمد كاذب في قوله أو مجنون». (٣٩١)

ولقد أجاد الشعراء في ذكر هذه المنقبة العظمى لعلي ع، ومنهم الشافعي حيث يذكر هذه الفضيلة بأبيات تنسب له؛ يقول في جملة منها:

وعليّ واضعٌ أقدامه في محلٍ وضع الله يده

حيث أشار في هذا المقطوعة الشعرية إلى حديث معراج النبي في قوله: «إنّ الله عزّ شأنه وضع يده على كتفي حتى أحسست بردها على كبدي». (٣٩٢)

السر السادس: إنّ الإمام أول من يؤمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأول من يؤذن على ظهر الكعبة.

حيث صرّحت جملة من النصوص الروائية بذلك، منها الرواية التي ذكرناها في المبحث، حيث قال الهاتف: «..وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يُؤذِنُ فَوْقَ بَيْتِي..»، وفي رواية أخرى مثلها مع اختلاف بسيط في نهايتها حيث تقول الرواية: «وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدمني...». (٣٩٣)

ويظهر من هذا الحديث أن أول من يؤذن فوق الكعبة الشريفة هو الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ خلاف ما يدعيه بعض الكتاب أن أول من أذن هو بلال، نعم بلال هو أول من أذن، ولكن ليس هو أول من أذن فوق الكعبة الشريفة، فلقد سبقه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ذلك. (٣٩٥)

السر السابع: إنّ الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بدأ حياته منطلقاً من بيت الله وقضاها في سبيل الله وختمها في بيت الله.

ويوجد معنى دقيق ولطيف في ولادة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكعبة وهذا ما نفهمه

من خلال قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر حياته الشريفة حيث عند ما ضربه الملعون ابن الملجم المرادي على رأسه الشريف لم يقل: «فزت ورب السموات والأرض» أو «فزت ورب العرش العظيم» ولا غيرها من الأقسام، بل قال: «فزت ورب الكعبة»، أي ورب الكعبة التي ولدت فيها، وكأنه سلام الله عليه يشير إلى أنه ولد في بيت من أعظم بيوتات الله وهو بيت الله الحرام الكعبة الشريفة، وختم حياته في بيت من بيوتات الله وهو مسجد الكوفة، فما أعظم الفوز عندما تكون الولادة في الكعبة، وتكون الشهادة في المسجد، وقد يكون إشارة بقوله (فزت ورب الكعبة) إلى أنه صاحب الكعبة ومحطم الأصنام فيها، ورافع شأنها ومشرفها بتلك الولادة العلوية العظمى فحياته بدأت وانتهت في بيوتات الله تعالى. (٣٩٥)

السر الثامن: هناك ملازمة وتشابه بين الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين الكعبة

وهذا السر سوف نختم به المحاضرة في المبحث الآتي:

المبحث الرابع: أوجه التشابه بين الإمام والكعبة

هناك أوجه تشابه ما بين الكعبة وأمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، نوجزها بالآتي:

١. كلاهما النظر إليهما عبادة، والتوجه لهما فريضة.

روي عن أبي ذر: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: مثل علي فيكم - أو قال: في هذه الأمة - كمثل الكعبة المستورة، النظر إليها عبادة، والحج إليها فريضة. (٣٩٦)

فوجه الشبه ما بينهما بكون النظر إليهما عبادة، فقد ذكرته النصوص الروائية، ففيما يخص الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «النظر إلى وجه علي بن أبي طالب عبادة». (٣٩٧)

وفيما يخص الكعبة، فقد روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: النظر إلى الكعبة عبادة، والنظر إلى الوالدين عبادة، والنظر إلى الإمام عبادة. (٣٩٨)

وأما وجه الشبه فيما بينهما بكون الحج إليهما فريضة. فالحج إلى الكعبة واجب على كل المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ (٣٩٩)، حيث يراد من الحج المعنى الاصطلاحي من الطواف والسعي وغيره، وأما الحج الواجب إلى الإمام فيراد منه المعنى اللغوي وهو القصد والزيارة والإتيان، ويتجسد هذا المعنى بوجوب تولي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأولاده المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، واتباعهم والاقتراء بهم، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى». (٤٠٠)

٢. كلاهما نصبهما الله علما للناس، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «إنما مثلك في الأمة مثل الكعبة، نصبها الله علما، وإنما تؤتى من كل فج عميق، وناد سحيق، وإنما أنت العلم علم الهدى، ونور الدين، وهو نور الله». (٤٠١)

فكلنا لما نصلي نتوجه إلى الكعبة التي هي بمنزلة العلم الذي يقصده كل المسلمين في شرق الأرض وغربها، وأيضا الإمام علي عليه السلام الذي فرض الله على كل المسلمين في شرق الأرض وغربها موالاته وطاعته صار بمنزلة العلم المنصب من قبل الله للتوجه إليه.

٣. كلاهما الفارق الذي يفرق بين المؤمن والمنافق.

إن الله تعالى غير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ليفرق ويميز بين من يتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبين من لا يتبعه، أي ليميز بين المؤمن والكافر، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ (٤٠٢) وأيضا الله تعالى أمر الناس أن تتولى من بعده الإمام علي عليه السلام ليميز المؤمن عن الكافر والمنافق، وفعلاً بعد

وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هناك من أطاع الرسول فتولى علياً، وهناك من عصى الرسول فانقلب على عقبيه وخالف علياً، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾. (٤٠٣)، وهذا المعنى أشار إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» (٤٠٤).

٤. كلاهما يحققان الأمان، فمثلما يتحقق الأمان في البيت الحرام حينما يلتجئ إليه الإنسان، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (٤٠٥)، كذلك حال من يلتجئ إلى علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه يحصل على الأمان من الهلاك والضلال والوقوع في الفتن والفوز في الآخرة؛ لأنه استمسك بالعروة الوثقى، وأخذ بالصراط المستقيم وكان في زمرة الصالحين كعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وغيرهما وهو ما دل عليه قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أنت كبيت الله، من دخله كان آمناً، ومن رغب عنه كان كافراً» (٤٠٦)، فهذا حال البيت الحرام وحال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ. (٤٠٧).

٥. كلاهما لا يأتیان الناس، وإنما الناس تأتيهما. إن الإمام لا يأتي إلى الناس وإنما الناس هم الذين يأتون إليه، حاله في ذلك حال الكعبة، فالناس هم الذين يأتون إلى الكعبة وليس العكس، وهو ما دلّ عليه الحديث النبوي الشريف، روي عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «أنت بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي، فإن أتاك هؤلاء القوم فسلموها إليك -يعني الخلافة- فاقبل منهم، وإن لم يأتوك فلا تأتهم حتى يأتوك». (٤٠٨).

قد يقول أحدنا: إن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ميت، فكيف نأتيه؟

الجواب: إن الإمام جسده ميت، ولكن روحه حيّة لا تموت، وأن مبادئه وقيمه وأفكاره وأقواله وأفعاله كلها حيّة مدونة في علوم أهل البيت عليهم السلام التي يمكننا الاتمهال منها بالرجوع إلى علمائنا ومراجعنا العدول واتباع الأحكام المستنبطة من علوم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

٦. نكران الناس إليهما لا يضرهما بل يضرهم. إن نكران

بعضهم لإمامة علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يضر في إمامته شيئاً بل يضر الناكر نفسه، حاله حال من أنكر الكعبة والتوجه نحوها في الصلاة فان ذلك لا يضر الكعبة شيئاً، بل يضر بنفسه لأن صحة صلاته متوقفة على التوجه للكعبة، كما لا تصح صلاة الجماعة من دون إمام؟!

فكذا من أنكر إمامة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أو أحد أبنائه الأئمة الإثني عشر، فإن المنكر للإمامة لا يضرها شيئاً بل سيضر نفسه لأنه سيموت ميتة جاهلية لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»^(٤٠٩) ولقول الأئمة كما روي عن الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(٤١٠). (٤١١)

٧. كلاهما هوجبان للبركة والهداية، قال تعالى في سورة آل

عمران: ٩٦ ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي لَبَّيْكَ بِهِ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾.

يقول الشيخ الطبرسي في تفسيره: ﴿مُبَارَكًا﴾ يعني كثير الخير والبركة وقيل مباركا لثبوت العبادة فيه دائما حتى يحكى على أن الطواف به لا ينقطع أبدا وقيل لأنه يضاعف فيه ثواب العبادة عن ابن عباس ورووا فيه حديثا طويلا وقيل لأنه يغفر فيه الذنوب ويجوز حمله على الجميع إذ لا تنافي ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ أي دلالة لهم على الله تعالى. (٤١٢)

ومعلوم أن تولي الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أساس الخير والبركة، لأن اتباعه وطاعته يؤدي إلى زيادة الإيمان والتقوى ولا شك أنهما من الأمور الجالبة للبركة، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤١٣)، وأيضا الإمام بركة لقضائه لحوائجنا عند التوسل به، وغفرانه لذنوبنا، ولشفاعته لشيئته ومحبيه.

هلمن بنا أخواتي.. بناتي العزيزات.. لنستنجد بوليد الكعبة المبارك في مثل
هذا اليوم المبارك، ولنقل بصوت واحد:

يا أبا الحسنِ يا أمير المؤمنينَ يا عليَّ بنَ أبي طالبٍ يا حُجَّةَ اللهِ على خَلْقِهِ يا
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا إِنَّا تَوَجَّهْنَا وَاسْتَشْفَعْنَا وَتَوَسَّلْنَا بِكَ إِلَى اللهِ، وَقَدَّمْنَاكَ بَيْنَ يَدَيْ
حَاجَاتِنَا، يَا وَجِيهًا عِنْدَ اللهِ إِشْفَعْ لَنَا عِنْدَ اللهِ.

هوسات لمولد الإمام علي عليه السلام

علي الكرار واسمك حاضر الشدات

نعم باسمك ولينه نواجه الصعبات

وابد من هاب وشما صعبة الكلفات

بالكلفه و يانه و تحميينه

علي وبسمك نباهي الدنيه والافلاك

يبو الحسنين بالدم احنه بايعناك

نعم للموت يا بو الحمله عاهدناك

للموت نبايع واليينه

يبو الحسنين بيك تفاخر الاسلام

لان باب العلم انت و ابو الاعلام

ابو الاطهار واليينه و ثلثت انعام

تباها الكون باسمك وانت العالم ياكرار

أبوذيات بمناسبة مولد الامام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ (٤١٤)

وَحَاكَ اللّٰي قَلَعَ خَيْبَرَ عَلَيْنَا

فِرْضٍ وَاجِبٍ يَضِلُّ حُبَّهُ عَلَيْنَا

أَمْرٍ مِنْ خَالِقِهِ نَصَهُ عَلَيْنَا

بِتَنْصِيْبِهِ شَهِدَ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ

أَلَاكَ بِالْكَعْبَةِ يَا أَبَا الْحَسَنِ مَنْزِلَ

وَأَلَاكَ رَبَّ الْعَرْشِ أَيْتَاتِ مَنْزِلَ

وَأَلَاكَ سَبْطِينَ عَنْهُمْ أَبَدَ مَنْزِلَ

وَأَلَاكَ صَارَتْ كَفَوْا الزَّهْرَةَ الزَّجِيَّةِ

وَحَاكَ رَبِّي الْخَلْقَ سَبْعَهُ بَسْتَهُ

يَحِيدُ بِالْحَشْرِ تَشْفَعُ بَسْتَهُ

أُرِيدُ أَكْتُبُكَ بِهَا لِيَوْمَ بَسْتَهُ

وَأَنْشُدُ بِالْفَرْحِ صَبْحَ وَمَسِيَّةِ



١٥ رَجَب



وفاة العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام



عظيمة الله الرحمن الرحيم



المناسبة

وغاة العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة للشاعر السيد رضا الموسوي الهندي

سلام على الحوراء ما بقي الدهر

وما سطعت شمس وما أشرق البدر

سلام على القلب الكبير وصبره

بيوم جرت حزناً له الأدمع الحمر

جافل جاءت كربلاء بأثرها

جافل لا يقوى على عدها حصر

جرى ما جرى في كربلاء وعينها

ترى ما جرى مما يذوب له الصخر

لقد أبصرت جسم الحسين مبضعاً

فجاءت بصبر دون مفهومه الصبر

رأته ونادت يابن أمي ووالدي

لك القتل مكتوب ولي كُتب الأسر

أخي إن في قلبي أسى لا أطيقه

وقد ضاق ذرعاً عن تحمله الصدر

أيدي حسام حز نحرك حده

به حز من خير الوري المصطفى نحر

عليّ عزيزٌ أن أسيرَ مع العدي
 وتبقى بوادي الطفّ يصهرُك الخرّ
 أخي إن سرى جسمي فقلبي بكرِلا
 مُقيمٌ إلى أن ينتهي مِنِّي العُمُرُ
 أخي كلّ رزءٍ غير رزئِكَ هَيِّنْ.
 ..وما بسواه اشتدّ واعصُوب الأمرُ
 أأنعمُ في جسمٍ سليمٍ من الأذى
 وجسمك منه تنهل البيض والسُمُرُ
 أخي بعدك الأيامُ عادت ليالياً
 عليّ فلا صبح هناك ولا عصرُ
 لقد حاربت عيني الرُقَادَ فلم تنم
 ولي يا أخي إن لم تنم عيني العُذُرُ
 أخي أنت تدري ما لأختك راحةً
 وذلك من يوم به راعها الشِمُرُ
 فلا سلوةً تُرجى لها بعد ما جرى
 وحتى الزلال العذب في فَمِها مُرُ
 أيمنعُك القومُ الفرات وورده
 وذاك إلى الزهراء من ربّها مهْرُ
 أخي أنت عن جدّي وأمّي وعن أبي
 وعن حُسنِ لي سلوةً وبك اليُسْرُ
 متى شاهدت عيناى وجهك شاهدت
 وجوههم الغراء وانكشف الضُرُ

وَمَذَّ غَبَّتْ عَنِّي غَابَ عَنِّي جَمِيعَهُمْ
فَفَقَدْتُ كَسْرًا لَيْسَ يُرْجَى لَهُ جَبْرٌ

أبوذية للشاعر أبو جعفر العبودي:

أَنَّهُ زَيْنَبُ زَمَانِي سَيُوفٌ . سَلَهَا
عَلَيْهِ وَصَابَ رُوحِي وَحِيلٌ . سَلَهَا
هَآكِ الْعَيْنُ بُوِيهِ عَلِيٌّ . سَلَهَا
بِغِيَابِكَ هُمْ غَفَتَ بَعْدَكَ شُوِيهِ
أَنَّهُ إِجْرُوحِي جَبِيرُهُ وَكَلْفٌ . سَلَهَا
وَغَيْرِكَ ضَوْهَ الْهَائِي الْعَيْنِ . سَلَهَا
الدَّهْرُ عَيْنُ إِبْرُوحِي وَشَلَلٌ . سَلَهَا
يَبُوِيهِ مِنْ خَذِكَ مِنْ بَيْنِ إِدِيهِ
الْحَزْنُ يَا رُوحَ إِجْ يَكْرَبُ . وَلِجْمَاتِ
وَجْرُوحِ إِشْكَثْرِ خَلَاجٍ . وَلِجْمَاتِ
دَكُّومِي إِوِيَايِهِ لِلْكَوْفَةِ . وَلِجْمَاتِ
عَلِيٍّ إِبْسَجْدَةِ صَلَاتِهِ إِشْلُونِ بِيهِ

المحاضرة السابعة

الصبر على البلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ
وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ *
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٤١٥)

المبحث الأول: تفسير الآيات الكريمة

كما هو معلوم أن الابتلاء والاختبار الإلهي سُنَّةٌ كونية لا تقبل التغيير، وأما سبب الابتلاء فقد تمّ التطرق إليه في الجزء الأول من كتاب (زاد المبلغات) محاضرة بعنوان (فلسفة الابتلاء)، وذكرنا فيها مبحث بعنوان: (لماذا يبتلينا الله) تجدون فيها تفاصيل المبحث.

ولكن باختصار نقول: إنَّ أسباب الامتحان والابتلاء عديدة منها: لتكفير الذنوب، ولتربية وتأديب الإنسان، ولتعجيل عقوبة العاصين الذين لا يرجى منهم خير، ولرفع درجة ومنزلة المخلصين، وأيضاً من أجل تمييز إيمان الإنسان الصادق عن الكاذب، قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾، أي من أجل كشف رتبة إيمان كل واحد منّا.

وأما ما يتعلق بأنواع الابتلاء، وبيان بعض الآثار المترتبة عليه فلقد تطرقت إليه الآية محل البحث. فلمعرفة ذلك لنقف على تفسير الآية الكريمة:

أما تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾، أي ولنصيبنكم إصابة من يختبر

أحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء. ^(٤١٦) ﴿بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾، يقول السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري في كتابه مواهب الرحمن في تفسير القرآن: (والخوف توقع المكروه مظنونا كان أو معلوما. و المعنى: لنمتحنكم بشيء من الخوف من العدو.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ النقص يأتي بمعنى الخسران و هو في مقابل التمام. و المراد من الأموال الأعم من الأعيان و المنافع و ما يهتم الإنسان بحفظه فيشمل الحيوان و العبيد و كل ما يُبذل بإزائه المال.

﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ أنّ المراد بالأنفس كل ما يتأثر الإنسان بفقده و ورود النقص عليه سواء كان من النقص في قوى النفس كالأمراض أو عروض الموت عليها فيشمل النفس و الأقارب و الأصدقاء.

﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ الثمرات جمع ثمرة و هي تشمل ما ينبت في الأرض بالطبيعة مما لا مالك لها فعلا و ينتفع بها الإنسان كالمرعى و جملة كثيرة من النباتات التي لها منافع هامة للإنسان و تكون غذاء للحيوان.

ويصح أن يراد بالثمرات مضافا إلى ما ذكرناه ثمرات القلوب أيضا و هي الأولاد كما يعبر عنهم بها كثيرا و في الحديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: أقبضتم ثمرة قلبه؟ فيقولون: نعم. فيقول الله تعالى: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك و استرجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، و سموه بيت الحمد». ^(٤١٧)

سؤال: لماذا ذكر الله تعالى كلمة ﴿بشيء﴾ قبل ذكره لأنواع البلاء مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ؟

يجيب عن ذلك العلامة المجلسي قائلاً: أي بقليل من ذلك وإنما قلله بالإضافة إلى ما وقاهم عنه ليخفف عنهم، ويريهم أن رحمته لا تفارقهم أو بالنسبة إلى ما

يصيب به معانديهم في الآخرة .

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ الخطاب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أو لمن يتأتى منه البشارة والمصيبة تعمّ ما يصيب الإنسان من مكروه أي أخبرهم بمآلهم على الصبر في تلك المشاق والمكآره من المثوبة الجزيلة، والعاقبة الجميلة. (٤١٨)

السؤال المطروح: ما هي البشارة المترتبة في الصبر على المكآره والابتلاء؟

الجواب يذكره تعالى مباشرة بعد الآية محل البحث، حيث قال ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٤١٩) يقول صاحب كتاب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: أي أننا لما نتعرض لبلاء ونقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٤٢٠)، فهذه العبارة تعني الإقرار التام بالعبودية المطلقة لله، أي أن الله يعلمنا أن لا نحزن على ما فاتنا، لأنه سبحانه مالكننا ومالك جميع ما لدينا من مواهب، إن شاء منحنا إياها، وإن استوجبت المصلحة أخذها منا، وفي المنحة والمحنة مصلحة لنا.

والالفتات المستمر إلى حقيقة عودتنا إلى الله سبحانه، يشعرا بزوال هذه الحياة، وبأن نقص المواهب المادية ووفورها غرض زائل، ووسيلة لارتقاء الإنسان على سلم تكامله، فاستشعار العبودية والعودة في عبارة إنا لله وإنا إليه راجعون له الأثر الكبير في تعميق روح المقاومة والاستقامة والصبر في النفس.

واضح أن المقصود من قول هذه العبارة ليس ترديدها باللسان فقط، بل استشعار هذه الحقيقة، والالفتات إلى ما تنطوي عليه من توحيد وإيمان.

لكن هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل مشروط بعدم الجزع وباستمرار الصبر وعدم الخروج عن الحالة الطبيعية من قول أو فعل، وعن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ للأشعث بن قيس لما عزاه عن ابن له: «يا أشعث إن تحزن على ابنك

فقد استحقت منك ذلك الرحم، وإن تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف، يا أشعث إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور، يا أشعث ابنك سرّك وهو بلاء وفتنة، وحنك وهو ثواب ورحمة»^(٤٢١) ومن جميل ما قرأت أن الصبر يدافع عن المؤمن لما ينتقل إلى الآخرة منذ نزوله في قبره، فقد روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إذا دخل المؤمن في قبره، كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبرّ مطل عليه ويتنحّى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مُساءلته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبرّ: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه»^(٤٢٢)، ففي ذلك العالم حينما يحتاج الإنسان إلى من يدافع عنه ويلتمس ذلك ويطلبه، لن ينفعه إلا أعماله الصالحة وأخلاقه الحسنة، ومنها وعلى رأسها الصبر.

وقبل أن ننتقل إلى المبحث الثاني لا بدّ من الوقوف على معنى الصبر وبيان حدوده التي لو تجاوزها الفرد صار مذموماً

إن المقصود بالصبر هو احتمال المكاره من غير جزع^(٤٢٣)، أو هو ثبات النفس على الحق وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب^(٤٢٤)، ونأسف لما نجد بعض المسلمين وقعوا بين إفراط وتفريط.

فأما الإفراط: فهو المبالغة في مفهوم الصبر والاعتقاد بأنه يعني السكوت عن الحق وعدم الأخذ بالأسباب.. وما يترتب عليه من خنوع وذلة ومهانة. وهذا المعنى مرفوض شرعاً وعقلاً، فمن حق كل مظلوم أن يطالب برفع الظلم عنه، وإذا كان له حق في تحسين وضعه.. أن يطالب به، وهذا المعنى-من المطالبة بالحق-سنراه متجسداً في سلوك المعصومين وأتباعهم-كما سنرى خلال البحث-، وهذا الأمر لا يتنافى مع الصبر ما لم يصاحبه الاعتراض وعدم الرضى بقضاء الله تعالى وقدره.

وأما التفريط فهو الإهمال والتقصير في الصبر ويترتب عليه الوقوع في

الجزع، فصار بعض الناس لا يصبر على الطاعة، ولا عن المعصية، ولا على البلاء، فلذا **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** وهذا علامة على ضعف الإيمان بالله، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنه سيكون زمان لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والجور، ولا يستقيم لهم الغنى إلا بالبخل ولا يستقيم لهم الصحبة في الناس إلا باتباع أهوائهم والاستخراج من الدين، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على النذل وهو يقدر على العز، وصبر على بغضة الناس وهو يقدر على المحبة أعطاه الله ثواب خمسين صديقا. (٤٢٥)

المبحث الثاني: تطبيقات نسوية على أنواع الابتلاء

سوف نتناول في هذه المحاضرة أبرز عظيمنتين بلغتا القمة في الصبر في أنواع الابتلاءات، ومنها الأنواع الخمسة التي تطرقت لها الآية الكريمة -محل البحث- **مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**.

وهما السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والثانية ابنتها عقيلة بني هاشم عليها السلام، وتكليفنا الشرعي يحتم علينا الاقتداء بهما؛ لأن السيدة فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وتليها ابنتها العقيلة، هما أكثر النساء صبراً، ويترتب على ذلك أنهما أهدى نساء العالمين؛ لأن الله تعالى في الآية الثانية التي تلي الآية محل البحث قد وصف الصابرين بالمهتدين، قال تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ... أُولَئِكَ عَلِمَهُمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾** (٤٢٦) والله يأمرنا بالاقتداء بالمهتدين، قال تعالى: **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَاهُ**. (٤٢٧) ومن تدعى أنها تقدي بهما ولا تقدي بأعمالهما فهي من أبغض الناس كما صرح بذلك الإمام زين العابدين عليه السلام حينما قال: ألا وإن أبغض الناس إلى الله عز وجل من يقدي بسنة إمام ولا يقدي بأعماله. (٤٢٨) ونطرح صبر الصديقتين بالمطلبين المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ الصابرة المتحنة

من ألقاب السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ أنها (الصابرة) و (المتحنة)، فلقد تعرضت ﷺ إلى امتحانات ومصائب عظيمة، ولقد ذكرنا أبرز مصائبها في كتاب زاد المبلغات الجزء الخامس في المحاضرة الرابعة، ولكن سنختصر صبر الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ في الأنواع الخمسة من الابتلاءات التي تطرقت لها الآية الكريمة، وهي كالآتي:

١. الابتلاء بالخوف: إن السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ تعرضت إلى أنواع من العنف والاعتداء من قبل الأعداء لدرجة أن القوم قاموا بإحراق دارها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها ولطم خدها، ولما سحبوا أمير المؤمنين علي عليه السلام لمحاولة إكراهه على بيعة الأول، صبرت على الحق وخرجت خلفه السيدة فاطمة -رغم ما تعرضت له من الأذى- لتدافع عنه وهددت القوم بنزول العذاب، (فأدركها سلمان رضی الله عنه، فقال: يا بنت محمد، إن الله إنما بعث أباك رحمة، فارجمي. فقالت: « يا سلمان، يريدون قتل علي، ما على علي صبر، فدعني حتى آتي قبر أبي فأنشر شعري، وأشق جيبي، وأصيح إلى ربي، فقال سلمان: إنني أخاف أن تخسف بالمدينة، وعلي عليه السلام بعثني إليك، ويأمرك أن ترجعي إلى بيتك، وتنصرفي . فقالت: إذاً أرجع، وأصبر، وأسمع وأطيع « (٤٢٩) ومنها صبرها على فقد أبيها رسول الله ﷺ وما جرى عليها بعده لدرجة « أنها أخذت قبضة من تراب النبي ﷺ فوضعتها على عينها ثم قالت :

ماذا علي من شمّ تربة أحمد

أن لا يشمّ مدى الزمان غوالي

صبت علي مصائب لو أنها

صبت علي الأيام عذّن ليالي « (٤٣٠)

٢. الابتلاء بالجوع:

لقد تعرضت السيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ إلى الجوع وصبرت عليه في مواقف عديدة، فقد روي عن عمران بن حصين قال: كنت مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جالساً إذ أقبلت فاطمة فوقفت بين يديه فنظر إليها وقد غلبت الصفرة على وجهها، وذهب الدم من شدة الجوع، فقال: «أدني يا فاطمة» فدنت ثم قال: «أدني يا فاطمة» فدنت حتى وقفت بين يديه، فوضع يده على صدرها في موضع القلادة وفرج بين أصابعه وقال: «اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضعة لا تجع فاطمة بنت محمد». (٤٣١)

هذه هي الدنيا في عين فاطمة بنت الرسول مواجهة للمعاناة، وتألم من الجوع، وانهايار من التعب، ولكن كل ذلك يبدو ممزوجاً بحلاوة الصبر وندی الإيثار، لأن وراءه نعيماً لا انتهاء له، حصة يوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. (٤٣٢)

٣. الابتلاء بنفص من الأموال:

لقد صبرت الصديقة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ على الفقر، وصبرت حينما استولى الظالمون على أرض فدك، وذكرنا أن الصبر لا يعني التخاذل بل يعني الثبات على الحق بالمطالبة به وترك الجزع، لذا لم تسكت السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ عن حقها المسلوب بل دافعت عنه، فلقد روي عن عائشة، قالت: «لما بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلباها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، ثم أنت أنتة أجهدش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس.

ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت كلامها بالحمد لله - عز وجل - والثناء عليه والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، إلى أن قالت: ...أيها المسلمون! أغلب على أرتيه؟

يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً،

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾^(٤٣٣)، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^(٤٣٤)، وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤٣٥)، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٤٣٦)، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٤٣٧)، وزعمتم أن لا حظوة لي ولا أرث من أبي ولا رحم بيننا أفخصكم الله بأية أخرج منها أبي؟ أم تقولون: أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟^(٤٣٨)

وبهذه الخطبة أقامت الحجة عليهم، وبقيت صابرة مهضومة ومظلومة واجدة وغاضبة على من ظلمها، حتى أنها عَلَيْهَا السَّلَامُ أوصت الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل وفاتها بعدة وصايا منها أنها (ألا يحضر أحد من الذين ظلموها في تشييع جثمانها)^(٤٣٩).^(٤٤٠)

٤.الابتلاء بنقص في الأنفس: ذكرنا أنّ المراد بالأنفس كل ما يتأثر الإنسان بفقده و وورود النقص عليه سواءً كان من النقص في قوى النفس كالأمراض أو عروض الموت على الأحبة. وهذا الأمر تعرضت له الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بفقد أمها السيدة خديجة عَلَيْهَا السَّلَامُ، وعمي أبيها: أبي طالب وحمزة عَلَيْهَا السَّلَامُ، والابتلاء الأعظم هو بفقد أبيها، فلقد كان حزن السيدة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ عليه حزناً عظيماً لدرجة أنها كانت تبكي على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليلاً ونهاراً حتى عُدت من البكائين الخمسة، ويروى أنه اجتمع شيوخ أهل المدينة وطلبوا من الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن تبكي أما في الليل أو النهار لأنهم يتأذون من بكائها.^(٤٤١)

وابتليت بفقد صحتها حينما أسقطوا جنينها وكسروا ضلعها إلى أن ماتت مظلومة مهضومة.

٥. الابتلاء بنقص في الثمرات: ذكرنا أن بعض المفسرين فسّر

النقص في الثمرات بموت الأولاد، فإنهم ثمرات القلوب. (٤٤٢)

روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا علي، إن فاطمة بضعة مني وهي نور عيني، وثمره فؤادي». (٤٤٣)

وروي عن رسول الله أنه قال في حق الحسنين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال: «فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي» (٤٤٤)

سؤال: لماذا يكنى الولد ب(ثمره الفؤاد) ؟

الجواب: (كأنه بمناسبة أن الشجرة كما تتزين بالثمرة كذلك يتزين الإنسان بالولد، وأن الثمرة امتداد للشجرة كما وكيفاً وزمناً، وكذلك الولد، كما أنها علة غائية لها في الجملة، وهي بالفعل لما هو في الشجرة بالقوة). (٤٤٥)

ولقد ابتليت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بفقد أولادها المتمثل بفقد ولدها المحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما عُصرت بين الحائط والباب وهي حامل به، وابتليت بالحزن على ما سيجري على ولديها الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من ظلمات لا مثيل لها ممن يدعي أنه من أمة أبيها... وهذا الأمر أخبرها به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقد روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: لما حملت فاطمة بالحسين جاء جبرائيل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: إن فاطمة ستلد ولد تقتله أمتك من بعدك فلما حملت فاطمة بالحسين كرهت حمله وحين وضعته كرهت وضعه، ثم قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: هل رأيتم في الدنيا أمماً تلد غلاماً فتكرهه ولكنها كرهته لا أنها علمت أنه سيقتل، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا لِحَمَلْتَهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعْتَهُ كُرْهًا﴾ (٤٤٦). (٤٤٧)

المطلب الثاني: عقيلة بني هاشم عَلَيْهَا السَّلَامُ جبل الصبر

السؤال المطروح: ما الدليل على أن عقيلة بني هاشم قد بلغت القمة في صبرها؟

الجواب: تشهد بذلك مواقفها الابتلائية العظيمة التي تنهد لهولها الجبال، ومنها: صبرها في واقعة الطف والنهضة الحسينية، التي عبّر عنها الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في زيارة عاشوراء: مُصِيبَةٌ مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الْإِسْلَامِ وَفِي جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. ونكتفي بذكر الأنواع الخمسة التي ذكرتها الآية محل البحث، وهي كالآتي:

١. الابتلاء بالخوف: لقد ابتليت العقيلة عَلَيْهَا السَّلَامُ بالخوف في مواقف عديدة، ولكن ذلك لم يمنعها من ترك الحق، بل ثبتت عليه، ونذكر منها المواقف الآتية:

١- موقف التحاقها بركب الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ. إن عقيلة بني هاشم عليها السلام بمجرد أن سمعت أن الإمام قرر الذهاب لكربلاء، قررت الالتحاق معه، رغم أنها العاملة غير المعلّمة، كانت تعلم أنّ الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لأخيه محمّد بن الحنفية: أتاني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً، فقال له ابن الحنفية: إنّنا لله وإنا إليه راجعون فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال فقال له قد قال لي إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا وسلّم عليه ومضى. (٤٤٨)

فهذا الموقف يُدخل الخوف والرعب في قلب الإنسان وقد يدفع بعضهم لترك نصره الحق، ولكن العقيلة صبرت وثبتت عليه وقبلت أن ترى أخاها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ مقتولاً، وقبلت أن تكون مسبية من أجل تحقيق المخطّط الإلهي والحكمة الإلهية التي اقتضت ذلك، فقدّمت نفسها وكل ما لديها فداءً

للدين والإسلام. فلسان حالها هو: «إنا ندعو الله فيما يحب فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما يحب»^(٤٤٩)

إذن العقيلة بلغت أعلى درجات التسليم والانقياد لأمر الله ولم تعترض عليه أبداً، كما انقادت مريم عليها السلام لأمر الله تعالى حينما بشرها الملك بولادة عيسى عليه السلام.... بل أن مريم عليها السلام لما بُشّرت ربما استنكرت الأمر ابتداءً: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤٥٠).

في حين أن السيدة زينب عليها السلام لما حان وقت الابتلاء لم تستنكر، بل ولم تستفسر عن السبب، فهي لم تقل لأخيها سيد الشهداء عليه السلام بعد أن

سمعت ذلك: (هل يُعقل أن أسبي وأنا العقيلة المخدرة الطاهرة بنت الوحي والرسالة؟!)

بل تذكر الروايات ما مضمونه بأنها عندما استأذنت زوجها للالتحاق بالإمام بالحسين عليه السلام، قالت له ما مضمونه: «... فإن لم تأذن لي بذلك امتثلت أمرك وانتهيت بنهيك ولم أذهب معه، ولكن كن على علم بأني لو لم أذهب معه لما بقيت بعده في الحياة إلا قليلاً).... وبعد أن أذن لها سرّت السيدة زينب عليها السلام من موقف ابن عمها عبد الله تجاهها وشكرته على ذلك، ثم ودعته وغادرت بيته لتلتحق بأخيها الإمام الحسين عليه السلام.

فلذا لا غرابة لما نسمع من بعض علمائنا كالدريندي في كتابة (أسرار الشهادة) وغيره أنها (صلوات الله عليها) أفضل من مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم وغيرهما من فضليات النساء.

٢- موقف تقديم جواد المنية للإمام الحسين عليه السلام، أي خوف يصيب أخت قائد المعركة حينما ترى أن كل أصحاب قائدها وأهل بيته وأولاده قد قتلوا وصرعوا وبقي وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين، يحيطونه الآف الأعداء!!!

قد يدفع الخوف لغير أخت الحسين أن تطلب منه الاستسلام للعدو وترك

نصرة الحق، ولكن العقيلة لم تفعل ذلك، حيث يروى أنه: لما أراد أن يتقدم إلى القتال نظر يمينا وشمالا ونادى: ألا هل من يقدم لي جوادي، فسمعت زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ، فخرجت وأخذت بعنان الجواد وأقبلت إليه وهي تقول: لمن تنادي، وقد قرحت فؤادي. (٤٥١)

وفي بعض المصادر أنها قالت: : أي أختٍ تقدم لأخيها جوادَ المنية؟

أي تعرف أنه جواد المنية ومع ذلك قدمته، أي قدمت له الوسيلة التي يذهب بها للموت؛ لأنها أرادت أن تحقق المشيئة الإلهية (شاء الله أن يراه قتيلا)...

وموقفها هذا يذكرني بموقف تسليم نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما أمره الله تعالى أن يذبح ولده إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلم يعترض الأب على ذبح ولده، ولا الولد من أن يذبحه أبوه لأنهما سلما أمرهما الله تعالى الذي أخبرنا بذلك قائلاً جَلَّ جَلَالُهُ: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (٤٥٢)

٣-وقوفها في مجلس الطاغية عبيد الله بن زياد(لع) في الكوفة، حيث أن الوقوف في مجلس سَقَالِكِ يُدْخِلُ الخوف في قلب الإنسان، وقد يجعله يتردد عن قول كلمة الحق، ولكن العقيلة كان موقفها عكس ذلك، فيروى أن ابنَ زيادٍ قال للعقيلة شامتا: (كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللَّهِ بِأَخِيكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ؟

تري ماذا أجابت؟، هل قالت: (ما رأيت جميلاً؟)، أي لم تر سوى القبيح، والشنيع والبشع لكونها لم تر سوى سفك الدماء والقتل والتمثيل بالقتلى والحرق والعطش والسبي والسب والشتم والضرب!!؟

الجواب: كلا، بل قالت: «مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا، هُوَ لَاءِ قَوْمٍ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَتَحَاجُّ وَتُخَاصِمُ، فَاَنْظُرْ لِمَنِ الْفَلَجُ يَوْمَئِذٍ، تَكَلَّتْكَ أُمَّكَ يَا ابْنَ مَرْجَانَةَ.» (٤٥٣)

سيدتي ومولاتي: كيف تعدين كل هذه المصائب التي تنهد لهولها الجبال شيئاً جميلاً؟!

لو كانت السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ حاضرةً لقاتلت: إنني لا أنظر إلى ظاهر الحدث، بل أنظر إلى باطنه الذي لا يراه إلا من بلغ درجة اليقين، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٤٥٤)

نعم، فالسيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ بلغت درجة اليقين التي هي أعلى مراتب الإيمان، والتي من يصلها يرى في الدنيا الثواب المترتب على العمل من جنة ونار، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (٤٥٥)

رب تسأول يرد: ترى ماذا رأت العقيلة حتى قالت لابن مرجانة: (مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا)!!

رأت الدرجة التي نالها الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بشهادته، وهذا ما أخبر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما قال لسبطه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... وإن لك في الجنة درجات لا تنالها إلا بالشهادة» (٤٥٦).. وهو أمرٌ جميل.

رأت أن الدم انتصر على السيف، وكأن لسان حال الإمام الحسين يقول: (إن كان دينٌ محمد لن يستقم إلا بقتلي ياسيوف خديني)...

وهو أمرٌ جميل

رأت أن الإمام الحسين سيخلد بشهادته ولن يموت أبداً.. وهذا ليس كلاماً إنشائياً فارغاً... بل هي الحقيقة التي أفصحت عنها العقيلة عَلَيْهَا السَّلَامُ لما رأت الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ يجود بنفسه على ما جرى، فقالت له: «مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي؟... فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، أنهم

يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام و ليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهورا وأمره إلا علوا. ^(٤٥٧)...ألا يُعد هذا جميلا؟؟؟! وأيُّ جمالٍ يفوق هذا الجمال؟؟

٢. الابتلاء بالجوع: إن الابتلاء بالجوع أمر في غاية الصعوبة، روي عن قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كاد الفقر أن يكون كفرا». ^(٤٥٨)

لقد ابتليت العقيلة وبنات الوحي والرسالة في النهضة الحسينية بالجوع والعطش وصبرن عليه ولم يقلل ذلك من إيمانهن أبداً، وكانت توصي النساء والأطفال بالصبر، فيروى بأن السبايا لما دخلوا الكوفة (صار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أم كلثوم وقالت: يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض) ^(٤٥٩)

وروي عن الإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها: الفرائض والنوافل .. من قيام، عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام!، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس! فسألتها عن سبب ذلك؟

فقالت: أصلي النوافل من جلوس لشدة الجوع والضعف، وذلك لأنني منذ ثلاث ليال، أوزع ما يعطونني من الطعام على الأطفال، فالقوم لا يدفعون لكل منا إلا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليله!!» ^(٤٦٠)

٣. الابتلاء بنقص من الأموال: فبعد أن قُتل الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، انهبوا ثقل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومتاعه، وجميع ما في الخيام.. كل ذلك رآته عقيلة بني هاشم عَلَيْهِ السَّلَامُ ورأت حينما (أقبل أعداء الله لعنهم الله حتى أحدقوا بالخيمة، ومعهم شمر (لع)، فقال: ادخلوا فاسلبوا بزتهم) ^(٤٦١)، فدخل القوم

لعنهم الله فأخذوا ما كان في الخيمة حتى أفضوا إلى قرط كان في أذن أم كلثوم أخت الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخذوه وخرموا أذنها، حتى كانت المرأة لتنازع ثوبها على ظهرها حتى تغلب عليه، وأخذ قيس بن الأشعث لعنه الله قطيفة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان يسمى قيس القطيفة، وأخذ نعليه رجل من بني أود، يقال له الأسود، ثم مال الناس على الورس والحلي والحلل والإبل فانتهبوها). (٤٦٢)

٤.الابتلاء بنتص في الأنفس: لقد ابتليت العقيلة عَلَيْهَا السَّلَامُ بفقد

العديد من الأنفس العزيزة عليها كفقدها إخوتها وأولاد إخوتها وأرحامها كالعباس وعلي الأكبر والقاسم وعبد الله الرضيع ومسلم وأولاده وغيرهم ... حيث تذكر المصادر أن عدد الشهداء الهاشميين الذين ثبت استشهادهم في يوم عاشوراء من سنة: ٦١ هجرية بكربلاء هم واحد و خمسون شخصاً من الذكور بين صغير و كبير. (٤٦٣)

وكل هؤلاء العظماء يهون مصابهم مقابل الحفاظ على حياة الإمام الحسين ، ولكن العقيلة عَلَيْهَا السَّلَامُ شهدت قتل سيد شباب الجنة والتمثيل به بطريقة لا مثيل لها، فقد رأته مرمياً على الثرى جثة بلا رأس ، ولكن بأي هيئة !!!؟

يقول الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: أصيب الحسين بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ووجد به ثلاثمائة وبضعة وعشرون طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم، فروي أنها كانت كلها في مقدمه لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان لا يولي. (٤٦٤)

تخيلوا معي... امرأة مرهفة المشاعر .. تمر بتلك الظروف العصيبة والمواقف المؤلمة، ترى هذه المناظر البشعة أمام عينها..

ورغم ذلك تأتي وتضع يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء، وقالت: «إلهي تقبل منّا هذا القربان»

نحن نعلم أن الله تعالى قد اختار نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن يقدم بنفسه القربان إليه والمتمثل بذبح ولده إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ لامتحان إيمانه. ولكن

الله فداه بذبح عظيم، لحكمة وهي لكي يأتي من نسل إسماعيل نبي الرحمة محمد (ابن الذبيحين)، ومن ثم يأتي من الرسول ﷺ الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الذي سيكون قرباناً لله (ذبيح الله) لينال أعلى الدرجات عنده تعالى...

..و شاء الله أن يُكرم العقيلة ويجعلها هي من تقدّم هذا القربان لله... كما أكرم نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن جعله هو من يقدم قربان ولده، ولكن الفارق واضح... لأن السيدة زينب عَلَيْهِ السَّلَامُ تبقى امرأة طبيعتها التكوينية ذات عواطف جياشة، إلا أنها أثبتت للعالم أن المرأة بإيمانها لا تقل شأنًا عن الرجل المؤمن العظيم، فَإِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ.

السؤال المطروح: هل تقبل الله قربان العقيلة ﷺ؟

الجواب: لقد تقبل الله منها هذا القربان قبولاً حسناً، فقد روي عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يقولان: إن الله تعالى عوّض الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعا من عمره. (٤٦٥)

فالتعويض الأول بجعل الإمامة من ذريته هو الذي سيحقق الهدف الذي خلقنا من أجله، وهو عبادة الله بالطاعة المطلقة إليه الذي صرح به تعالى بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. (٤٦٦) على يد الحفيد التاسع من ذرية الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الإمام المهدي عج الذي سيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، حينما يرفع شعار الثورة (يا لثارات الحسين)... فلولا هذا القربان لما بقي للإسلام أثر.

٥. الابتلاء بنقص في الثمرات: وصلت نوبة نقص الأنفس إلى نقص

ثمرات فؤاد السيدة زينب (عليها السلام) وأفلاذ كبدها، أولئك الفتية الذين سهرت السيدة زينب ليالها، وأتبعت أيامها، وصرفت حياتها في تربية تلك البراعم، حتى نمت وأورقت.

إنها قدمت أغلى شيء في حياتها في سبيل نصره أخيها الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث ألبست ولديها عون ومحمد لباس القتال، ومسحت عنهما الغبار وأعطتهما سيفيهما وأقبلت بهما إلى محضر أخيها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ تستأذن لهما المبارزة مع الأعداء، فلم يأذن لهما الإمام قد وقال: قد لا يرضى بذلك زوجك عبد الله.

فقالت السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ: بل هو الذي أرسلهما إليك وأوصاهما بالجهاد دونك، وأوصاني أن أقدمهما للمبارزة على غيرهما من أبناء إخوتي.

وبعد إصرار السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ على أخذ الإذن لولديها من أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، أذن لهما الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، فخرجا من الخيمة ترافقهما أمهما الحوراء زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ، واتجهوا إلى ميدان القتال.

لما رأى عمر بن سعد (لع) عوناً ومحمداً في الميدان، قال: عجبني لهذه المحبة بين زينب والحسين، كيف نَفِدت بولديها وقررة عينها دون أخيها الحسين!!

وبعد استشهاد محمد وعون، حملهما الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ معاً ورجلاههما تخطان الأرض وجاء بهما إلى الخيمة، فخرجت نساء بني هاشم تستقبلهما إلا العقيلة زينب، أبت أن تخرج من خيمتها.

يقول السيد محمد كاظم القزويني: لم أجد في كتب المقاتل أن السيدة زينب الكبرى عَلَيْهَا السَّلَامُ صاحت أو ناحت أو صرخت أو بكّت في شهادة ولديها، لا في يوم عاشوراء ولا بعده.

ومن الثابت أن مصيبة ولديها أوجدت في قلبها الحزن العميق، بل وألهمت في نفسها نيران الأسى وحرارة الثكل، ولكنها عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت تخفي حزنها على

ولديها، لأن جميع عواطفها كانت متجهة إلى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهناك وجه آخر قد يتبادر إلى الذهن: وهو أن بكاءها على ولديها قد كان

يسبب الخجل والإحراج لأخيها الإمام الحسين، باعتبار أنهما قتلا بين يديه ودفاعاً عنه، فكأن السيدة زينب . بسكوتها . تريد أن تقول للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ولداي فداء لك، فلا يهملك ولا يحررك أنهما قتلا بين يديك. والله العالم. (٤٦٧)

واستمرت العقيلة في صبرها على فقد أحبها، وصبرت على الحفاظ على البقية الصالحة والنساء والأطفال، وصبرت على السبي وظلم العدوان حينما أركبوهن على نوق هزيلة تحدو بهن من كربلاء إلى الكوفة، ثم إلى الشام، وفي نهاية المطاف (عادت مع الإمام السجاد وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلى مدينة جدّهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلما بلغ عبد الله بن جعفر زوجها، مقتل ابنه محمد وعون مع الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، جلس للعزاء عليهم، وأخذ الناس يدخلون عليه ويعزّونه بمصابه بهم، فلما اجتمعوا عنده قال: الحمد لله عزّ وجلّ على مصرع الحسين، إن لم تكن يداي واست حسينا فقد واساه ولداي، والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنّه لمّا يُسْخِي بنفسه عنهما، ويمهون عليّ المصاب بهما، أنّهما أصيبا مع أخي وابن عمّي، مواسين له صابرين معه. (٤٦٨)

ونقل العبيدلي العرجي في كتابه (أنساب آل أبي طالب) (٤٦٩) بسنده عن مصعب بن عبد الله، قال: لما قام عبد الله بن الزبير بمكة، وحمل الناس على الأخذ بثأر الحسين، وخلع يزيد، وبلغ بعد ذلك أهل المدينة خطبت زينب فيهم وصارت تؤلّهم على القيام للأخذ بالثأر، فبلغ ذلك الأمير الأموي على المدينة عمرو بن سعيد الأشدق وكتب إلى يزيد يُعلمه بالخبر.

فكتب يزيد إليه: أن فرّق بينها وبينهم (أهل المدينة). فأبلغها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء. (٤٧٠)

وخرجت الحوراء زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ من المدينة كرهاً، في أواخر شهر ذي الحجة

سنة ٦١ للهجرة أي قبل أن يحول الحول على قتل أخيها الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ
ومعها ابنتاه فاطمة وسكينة، والمشهور أنها توجهت إلى الشام. ^(٤٧١) وبعد مضي
سنة توفيت عشية يوم الأحد لخمسـة عشر يوماً مضت من شهر رجب سنة
٦٢ للهجرة. ^(٤٧٢)

نعي لوفاة السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ ^(٤٧٣)

أناظر عالـدرب ومتانيه العـين

أخيتكم تريد اتموت يحسين

اظن حانت وفاتي وكرـب البين

وانه بغربه ووحيدـه ومالي امعين

بمصـاب زينب كون تـدرون

وي طرت الفجر للشام تلفون

واشوفنكم يخوتي اهنا تكـعدون

وعلى افراش المنيه من تشوفون

من يبجي يخوانـي عليه

ومنهو الي يون ونه شـجيه

منهو اليسـتـويـلي عـزيه

غريبه اندفن حدر يالوطـيه

وحشه البيت خالي ابلايه خوان

من ينصب عـزه ويقرالي قرآن

من ينعه عليه من آل عـدنان

ظلت خاليه منهـم الديران

تمنيت الحسين بداري موجود

ويقرالي عزيزه وكلبه ممرود
ومن بعده الكفيل ايصير رادود
وبنص العزا جسام شادود
وكل هاشم تون اعله الرزيه
وعلى زينب ينصبون العزيه

أبوزية في حق وفاة السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ

أنا زينب وصبري هاجمني

أنا ونار المصايب هاجمني

ثلاثة من ثلاثة هاجمني
زمانني وكربلاء وقومي عليا

تقول وحقق ما شفت راحم وناصح
وشمر بالسوط يضربني وناصح
لون حاضر ياخو زينب وناصح
أبد ما جا ما جسر واحد علي

ضعت وتحيرت يا حسين بعدك
ألف يا حيف مني الدهر بعدك
أنا ماردت العمر يا حسين بعدك
عمت عيني من أشوفك علي الوطية

جن وياك كص نحري وحزني
وعكبك مابطل نوحى وحزني
أخذني الدهر من عندك وحزني
ومشيت ميسره غصبن عليه

من مثلي تعذبت من صباها
ودم يجري دمعها من صباها
يبو فاضل العينك من صباها
انهدم سوري وعدوك شمت بيه

الدهر شتت شملنه بالضعينة
ودليلى سيوف اميه بالضعينة
وسافه الشمير يحدي بالضعينة
وأبو فاضل على الغبره رميه



١٨ رَجَب

صلى الله
عليه
والآل
وسلم

وفاء ابراهيم ابن رسول الله

عظيمة
الرسول
الطاهر
العلي

المناسبة

وفاة ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله

القصيدة: للإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ

النَّفْسُ تَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَلِمَتْ
 إِنَّ السَّلَامَةَ فِيهَا تَرَكَ مَا فِيهَا
 لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا
 إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ بَانِيهَا
 فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكَنُهَا
 وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا
 أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجَمَعُهَا
 وَدَوْرُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا
 أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ مُسْلَطَنَةً
 حَتَّى سَقَاهَا بِكَأْسِ الْمَوْتِ سَاقِيهَا
 حَمٌّ مِنْ مَدَائِنَ فِي الْأَفَاقِ قَدْ بُنِيَتْ
 أَمْسَتْ خَرَاباً وَدَانَ الْمَوْتُ دَانِيهَا
 لَا تَرْكِنَنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
 فَالْمَوْتُ لَا شَكَّ يُفْنِينَا وَيُفْنِيهَا
 لِكُلِّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى وَجَلٍ
 مِنْ الْمَنِيَّةِ أَمَالَ تَقْوِيهَا

فَالْمَرْءُ يَبْسُطُهَا وَالذَّهْرُ يَقْبُضُهَا
 وَالنَّفْسُ تَنْشُرُهَا وَالْمَوْتُ يَطْوِيهَا
 إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مَطَهَّرَةٌ
 الدِّينَ أَوْلَاهَا وَالْعَقْلَ ثَانِيهَا
 وَالْعِلْمَ ثَالِثُهَا وَالْحِلْمَ رَابِعُهَا
 وَالْجُودَ خَامِسُهَا وَالْفَضْلَ سَادِسُهَا
 وَالْبِرَّ سَابِعُهَا وَالشُّكْرَ ثَامِنُهَا
 وَالصَّبْرَ تَاسِعُهَا وَاللَّيْنَ بَاقِيهَا
 وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَصَادِقُهَا
 وَلَسْتُ أَرْشُدُ إِلَّا حِينَ أَعْصِيهَا
 وَاعْمَلْ لِدَارٍ غَدًا رِضْوَانٌ خَازِنُهَا
 وَالجَارَ أَحْمَدُ وَالرَّحْمَنُ نَاشِيهَا
 قِصُورُهَا ذَهَبٌ وَالْمَسْكُ طِينَتُهَا
 وَالزَّعْفَرَانُ حَشِيشٌ نَابِتٌ فِيهَا
 أَنهَارُهَا لَبَنٌ مَحْضٌ وَمِنْ عَسَلِ
 وَالخَمْرُ يَجْرِي رَحِيقًا فِي مَجَارِيهَا
 وَالطَيْرُ تَجْرِي عَلَى الْأَغْصَانِ عَاكِفَةً
 تَسْبُحُ اللَّهَ جَهْرًا فِي مَغَانِيهَا
 مَنْ يَشْتَرِي الدَّارَ فِي الْفَرْدَوْسِ يَعْمُرُهَا
 بَرَكَةٌ فِي ظِلِّ اللَّيْلِ يَحْيِيهَا

المحاضرة الثامنة

كشف الكربة عند فقد الأحيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٤٧٤)

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

تتكلم هذه الآية الكريمة عن الموت وأجور أعمالنا يوم القيامة، وحينما نستقري القرآن الكريم من أوله إلى آخرة قلما نجد صفحة من صفحاته تخلو من ذكر الموت ومنازل الآخرة والجنة والنار. ومنها هذه الآية محل البحث، ولأهميتها فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم ثلاث مرات، في سورة آل عمران، الآية ١٨٥، وفي سورة الأنبياء، الآية ٣٥، وفي سورة العنكبوت، الآية ٥٧.

إنّ الموت طبقاً للرؤية الدينية لا يعني العدم والفناء وإنما جسر نعبر من خلاله من دار الدنيا إلى دار الآخرة، أي بموته لا تعدم أرواحنا، بل ستكون حواسنا بعد الموت أشد قوة مما كانت عليه في الدنيا، قال تعالى: ﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٤٧٥)، أي أن البصر سيكون قوياً مثل الحديد، بل والسمع حديد، والإدراك حديد... إذن الموت مجرد قنطرة وجسر ينقلنا من دار إلى دار، روي عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام عن الموت فقال: "ما الموت إلا قنطرة تعبر بكم من البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة، والنعيم الدائم، فأئكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر" (٤٧٦)

يا ترى ما تفسير قوله تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ؟

يقول صاحب كتاب إرشاد الأذهان إلي تفسير القرآن: أي كل من يتنفس ويحيا في هذه الدار الفانية، سيدوق طعم الموت. (٤٧٧)

فهذه الآية الكريمة تخبرنا بأن الموت حق لا مفرّ منه، قال تعالى: ﴿أَيُّمَّا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (٤٧٨) ولكننا لا نعلم بزمان ومكان موتنا، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (٤٧٩)

قيل إن رجلاً فزعاً جاء صباح يوم عند سليمان على نبيّنا وآله وعليه الصلّة والسلام، فلمّا شاهد سليمان اصفرار وجهه وازرقاق شفاهه من شدّة الخوف والهلع، سأله: ما بالك أيها المؤمن وما علّة خوفك وفزعك؟!

أجاب الرجل: لقد نظر إليّ عزرائيل نظر غضب وحقد فأفزعني ذلك كما ترى.

فقال سليمان: وما هي حاجتك الآن؟

قال: يا نبي الله الريح طوع أمرك، فمرها لتأخذني إلى الهند، لعلني أنجو هناك من برائن عزرائيل.

فأمر النبي سليمان الريح لتحمله على وجه السرعة إلى الهند. وفي اليوم التالي جلس سليمان في مجلسه فجاء عزرائيل لرؤيته، فقال له: يا عزرائيل! لماذا نظرت إلى ذلك العبد المؤمن نظرة مغضب حافد فدفعت بذلك المسكين الفزع إلى الفرار من أهله وبيته إلى ديار الغربة؟

فقال عزرائيل: لم أنظر إليه قطّ نظرة مغضب، ولقد أساء الظنّ بي، فقد كان الربّ ذو الجلال أمرني بقبض روحه في الهند في الساعة الفلانيّة، فوجدته هنا قريباً من تلك الساعة، فغرقتُ لذلك في دنيا من العجب والدهشة وتحيرت في أمري، فخاف ذلك الرجل من تحييري وظنّ خطأً اني أريد السوء به. لقد كان

الاضطراب من جهتي أنا، وكنتُ أحدث نفسي: لو امتلك هذا الرجل ألف جناح لما أمكنه الطيران بها والذهاب إلى الهند في هذا الزمن القصير، فكيف سأنجز هذه المهمة التي أوكلها الله لي؟

ثم قلتُ لنفسي: فلأذهب كما أمرت فليس ذلك من شأني. وهكذا فقد ذهبتُ بأمر الحقِّ إلى الهند ففوجئتُ به هناك فقبضتُ روحه. (٤٨٠)

إذن لا يستثنى أحد من الموت، ويومياً نسمع بموت عدد كبير من البشر، فوفقاً لتقديرات الأمم المتحدة، في موقع (ofni.sretemodlrow) بلغ عدد الوفيات حول العالم في عام ٢٠٢٣ حوالي ٥٦,٢ مليون حالة وفاة. وهذا يعني أن هناك حوالي ١٥٣ ألف حالة وفاة يومياً أو ٦,٣ مليون حالة وفاة شهرياً.

إذن الموت أمر يقيني لا شك فيه، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما خلق الله عز وجل يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت. (٤٨١) ويفترض على العاقل أن يذكر الموت يومياً ولا يغفل عنه، وأن يستعد لما بعد الموت بالورع عن محارم الله والتزود بالتقوى.

ورغم ذلك فحينما نأتي للواقع نجد أن حديث الموت هو الغائب الأكبر عن مناسباتنا لكون الناس صارت تكره ذكر الموت، بسبب جهلهم لحقيقة الموت، أو لتعلقهم بالدنيا وكثرة ارتكاب المعاصي، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر مالنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة، فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب. (٤٨٢)

في حين أن كل ثانية ودقيقة تمر من أعمارنا تقربنا من الموت والقبر.

فأنفاسنا هي خطواتنا التي تسير بنا إلى الموت، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نفس المرء خطاه إلى أجله» (٤٨٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ (٤٨٤)، بمعنى أن الملائكة تعدّ علينا الأنفاس التي قررها الله لنا، فكل شهيق وزفير يقربنا من أجلنا المحتوم، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٤٨٥﴾ أنه سأل أحد أصحابه، قال: « ما هو عندك؟ » قال: عدد الأيام، قال: « إن الآباء والأمهات يحصون ذلك، ولكنه عدد الأنفاس » (٤٨٥)

وصدق الشاعر حينما قال:

دقات قلب المرء قائمة له *** إن الحياة دقائق وثوان.

ونحن عندما نأتي إلى الشريعة الإسلامية نجدها تؤكد على الإكثار من ذكر الموت لأنه يحث الإنسان على التوبة والإنابة، وترك التسويف والتأخير، ويجعل الإنسان أكثر قناعة، ويحث العاقل على الإقلاع عن المعصية والإساءة، والأهم من هذا كله أن ذكر الموت يهون علينا مصائب الدنيا، روي عن الإمام علي عليه السلام: أكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من القبور، وقيامكم بين يدي الله عز وجل، تهون عليكم المصائب. (٤٨٦)

فحينما تسمع أن فلانا قد اغتابك أو نمّ عليك أو سرقك، أو ظلمك، فلا داعي أن تطيل من حزننا ونفكر في الانتقام، والسبب **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ**. (٤٨٧) فالذي ظلمك سوف تنتقل حسناته إليك، أو يتحمل جزء من سيئاتك، **وَإِنَّ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَنُكِّنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**. (٤٨٨)

فالتفكير بالموت سيطفاً النار التي سُجِّرت في قلبك ويهون عليك المصائب، بل لزم أن نجعل التفكير بالموت علاجاً لهمومنا وأحزاننا، روي عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذ قال له: أما تحزن؟ أما تهتم؟ أما تألم؟ قلت بلى والله قال عليه السلام: فإذا كان ذلك منك فاذكر الموت ووحدتك في قبرك وسيلان عينيك على خديك وتقطع أوصالك وأكل الدود من لحمك، وبلاك، وانقطاعك عن الدنيا فإن ذلك يحثك على العمل ويردعك عن كثير من الحرص على الدنيا». (٤٨٩)

نعم، الغافل يطلق على من يكثر ذكر الموت (بالمعقد، والمتشائم)، لكن

العاقل لا يهتم بما يقوله هؤلاء، روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رضا الناس غاية لا تدرك» (٤٩٠).

إن الشريعة تبشرنا بأن من يفكر في الموت ويذكره في اليوم عدّة مرات فسيحشر مع الشهداء... نعم، هذه الحقيقة صرّح بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما سئل: (يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال: نعم من يذكر الموت بين اليوم واللييلة عشرين مرة) (٤٩١).

والأمر الآخر الذي يهون علينا مصائب الدنيا وفقد الأحبة هو تذكر مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وفقدهم، فلو استحق أحد من الخلق أن لا يموت، لما مات خير خلق الله محمد ص، روي عن النبي صلى الله عليه وآله: يا عليّ من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب، وأنشأ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الموت لا والدا يبقي ولا ولدا

هذا السبيل إلى أن لا ترى أحدا

هذا النبي ولم يخلد لأمتيه

لو خلد الله خلقا قبله خلدا

للموت فينا سهام غير خاطئة

من فاته اليوم سهم لم يفته غدا (٤٩٢)

المبحث الثاني: تفسير الآية: ﴿وَإِنَّمَا تُوفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

ننتقل إلى تفسير الجزء الثاني لهذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٤٩٣)

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: وعبارة «توفون» التي تعني إعطاء

الجزاء بالكامل تكشف عن إعطاء الإنسان أجر عمله -يوم القيامة -وافيا وبدون نقيصة. (٤٩٤)

إن المبتلى الصابر على فقد الأحبة سيرى أثر هذا الصبر في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة. والأجور التي سينالها عظيمة جدا لدرجة أنه يتمنى في الآخرة أن الله ابتلاه بأعظم من ذلك روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لو يعلم المؤمن ما له في المصائب من الأجر لتمنى أن يقرض بالمقاريض». (٤٩٥) ونريد في هذا المبحث أن نتكلم عن الأجور الذي ستعطى للمؤمن المبتلى الصابر على فقد الأحبة، ونذكر منها الأجور الآتية:

١. غفران الذنوب: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أول ما يجازى به المؤمن بعد موته أن يغفر لجميع من تبع جنازته. (٤٩٦)

٢. يعوّض المبتلى خيرا في الدنيا: روي عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله عز وجل «إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى، واخلف على خيرا منها» إلا أجره الله عز وجل في مصيبتة. وأخلف له خيرا منها، قالت: فلما مات أبو سلمة رضي الله عنه قلت: وأي رجل خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إنى قلتها فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وآله. (٤٩٧)

٣. رفع درجة ومنزلة المبتلى: فالإنسان المؤمن الذي يعمل الصالحات إذا كان عمله يستحق به نيل الدرجة الثانية -باعتبار الجنة لها ثمان درجات-، ولكن الله يرى أنه يستحق الدرجة السابعة، فهنا يتبلي الله تعالى فإذا صبر استحق أن يرفع درجته ومنزله، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن العبد إذا سبقت له من الله تعالى منزلة ولم يبلغها بعمل، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثم صبره على ذلك، حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل» (٤٩٨)

علماً أن الأجر المترتب على الابتلاء يتوقف على عدة أمور منها: نوع الابتلاء، وحينما نراجع النصوص الشرعية نجد أن الابتلاء يفقد الأهمية في حال الصبر يعدّ من أعظم الابتلاءات أجراً، يروي لنا الشهيد الثاني في كتابه مسكن الفؤاد^(٤٩٩) رواية مروية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **وَلَدُّ يُقَدِّمُهُ الرَّجُلُ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ وَلَدًا يُخَلِّفُهُمْ بَعْدَهُ كُلُّهُمْ قَدْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.**^(٥٠٠) بمعنى لو كان للمرأة سبعين ولداً، تفرغت لتربيتهم كلهم تربية إسلامية وفق نهج محمد وآل محمد عليهم السلام ووفقت أن تجعلهم جنوداً للإمام المهدي (عج)، فالأجر المترتب على صبرها والتسليم لقضاء الله تعالى يفقد ولد من أولادها-وبالأخص إذا كان شهيداً في سبيل الله-أعظم من الأجر المترتب على هؤلاء السبعين.

٤. الصبر يدافع عن الميت في القبر: روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: **«إذا دخل المؤمن في قبره، كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبرّ مطل عليه ويتنحّى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه المملكان اللذان يليان مُساءلته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبرّ: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه»**^(٥٠١)، ومنه الصبر على فقد الأمانة.

٥. تثقيل الميزان: من المعلوم أن من مواقف يوم القيامة الميزان، قال تعالى: **﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾**^(٥٠٢)، فمن الأمور التي تثقل ميزان المؤمن يوم القيامة هو القَرَط -بفتح الفاء والراء- هو الذي تتقدم وفاته على أبويه أو أحدهما. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم قال: **«إني رأيت البارحة عجباً. فذكر حديثاً طويلاً، وفيه. رأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه، فجاء أفراطه فثقلوا ميزانه»**^(٥٠٣)

٦. الشفاعة يوم القيامة: روي عن رسول الله ص: **« إذا كان يوم القيامة ، نودي في أطفال المؤمنين: أن اخرجوا من قبوركم ، فيخرجون من قبورهم ، ثم ينادى فيهم : أن أمضوا إلى الجنة زمراً ، فيقولون : ربنا ، ووالدينا**

معنا ، ثم ينادى فيهم ثانية : أن امضوا إلى الجنة زمراً ، فيقولون : ربنا ووالدينا معنا ، ثم ينادى فيهم الثالثة : أن امضوا إلى الجنة زمراً ، فيقولون ربنا : ووالدينا ، فيقول في الرابعة : ووالديكم معكم ، فيثب كل طفل إلى أبويه ، فيأخذون بأيديهم ، فيدخلون بهم الجنة ، فهم أعرف بأبائهم وأمهاتهم . يومئذ . من أولادكم الذين في بيوتكم .» (٥٠٤)

٧. الولد يتلقاه في الآخرة ويسقيه شراباً: روي عن زرار بن

أوفى: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَزَى رجلاً على ابنه، فقال: «أجرك على الله، وأعظم لك الأجر» فقال الرجل: يا رسول الله، أنا شيخ كبير، وكان ابني قد أجزأ عني، فقال له النبي ص: «أيسرك أن يشير لك . أو يتلقاك . من أبواب الجنة بالكأس؟» قال: من لي بذلك يا رسول الله؟ فقال: «الله لك به، ولكل مسلم (مات ولده) في الإسلام.» (٥٠٥)

٨. جنة حصينة: لو نتخيل أن أحدنا كان بأرض تعرضت لقصف جوي،

وصارت القنابل تسقط في كل الجهات، وصار يعيش برعب وفزع، وفجأة نزلت إليه طائرة مضادة للصواريخ انتشلته وطارت به بعيداً عن هذا المكان، فيصح أن نطلق على هذه الطائرة بأنها (جُنَّةٌ حصينة)، فمعنى (الجُنَّة) بضم الجيم: الوقاية، أي وقاية لك من النار، أو من جميع الأهوال. ومعنى (حصينة) فعيل بمعنى فاعل، أي: محصنة لصاحبها، وساترة له من أن يصل إليه شر.

وهذا المعنى ينطبق على من فقدت ولداً لها في حياتها، لأنه سينقذها من أهوال (مواقف يوم القيامة الخمسين، كل موقف ألف سنة) (٥٠٦)، قال تعالى في سورة المعارج، الآية ٤: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ، فقد روي إن امرأة أتت النبي ص، ومعها ابن لها مريض ، فقالت : يا رسول الله ، ادع الله تعالى أن يشفي لي ابني هذا ، فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « هل لك فرط؟ » قالت: نعم، يا رسول الله، قال: «في الجاهلية أم في الإسلام؟» قالت: بل في الإسلام، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « جُنَّةٌ حصينة ، جُنَّةٌ حصينة .» (٥٠٧)

٩. يُبْنِي لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ: روي عن رسول الله ص: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، يقولون: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك، واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد» (٥٠٨)

المبحث الثالث: الأجر مشروط بالصبر

تصرّح النصوص الشرعية بأن منح الأجور المترتبة على البلاء كفقْد الأحبة مشروطة بالصبر لا بالجزع لأن الجزع يحبط الأجر.

روي أن الإمام علي عليه السلام قد عزي الأشعث بن قيس عن ابن له قائلاً: «يا أشعث، إن تحزن على ابنك فقد استحققت منك ذلك الرّحم، وإن تصبر ففي الله من كلّ مصيبة خلف. يا أشعث، إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور» (٥٠٩).

وحتى نعرف هل نحن صابرون أم لا لنستمع إلى العلامات التي يذكرها لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي قال: علامة الصابر في ثلاث: أولها أن لا يكسل، والثانية أن لا يضجر، والثالثة أن لا يشكو من ربه تعالى، لأنه إذا كسل فقد ضيع الحق، وإذا ضجر لم يؤد الشكر، وإذا شكّا من ربه عز وجل فقد عصاه. (٥١٠)

فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (إذا كسل فقد ضيع الحق)، بمعنى أن الجازع غير الصابر يصيبه الكسل فلا يرغب بأداء الواجبات الشرعية كالصلاة، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وإذا ضجر لم يؤد الشكر)، عادة الجزوع يتعرض للضجر والملل كثيراً لأنه لا يتذكّر نعم الله عليه فلا يشكرها، وفي رواية أن من يضجر لم يصبر على حق (٥١١)، وأما العلامة الثالثة للجزوع فهو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (وإذا شكّا من ربه عز وجل فقد عصاه) أي أنه لما يتعرض للبلاء كفقْد الأحبة يعترض على قضاء الله وقدره، كأن تقول لربها معترضة غاضبة (لماذا أخذت ولدي مني؟، ماذا فعلت لك يا ربي؟... إلخ) (٥١٢)

يجب على كل جزوع أن يتذكر ردّ الله تعالى الذي يرويه لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : قال الله تعالى: من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليتمس ربا سواي. (٥١٣)

قد تعترض إحداكن قائلة: ولكن بلائي عظيم!!!

يردّ على السؤال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: «ثواب العمل على قدر المشقة فيه». (٥١٤)

قد تقولين: هذا الأجر العظيم لا أريده، أريد أن يرفع الله البلاء عني بأن يرجع الحياة لفقيدي، أو لجسدي فيعافيني، أو يجبر فقري فيغنيني!!!

نعم، مع الأسف نسمع مثل هذه الكلمات من بعض الناس، والمشكلة تكمن في أن بعضنا يتعامل مع الله كأنسان يتعامل معنا، يجري معنا معاوضة (أخذ وعطاء) بأن يعرض علينا بأن يشتري منّا شيئاً مقابل أجر معين، وإتمام العملية متوقف على موافقتنا!!! فهل نتوقع أن يقول الله لنا لما يريد أن يبتلينا: (هل تسمح لي أن أنزل عليك البلاء الفلاني كأن أميت ولدك أو أمرضك مقابل أن أعطيك أجراً عظيماً؟!)

أغلب الناس لن ترضى، لأن الناس تحب أن تُعافي من أي بلاء. ونسينا أن الله مالكننا ومالك أولادنا وكل ما نملك لأنه هو خالقنا، وهو يعلم ما يصلح حالنا وما يطهرنا ويكملنا لنقوى على الصعود على السلم الذي ينتهي بنا إلى جنات الخلد.

نكرر: إن علاقتنا مع الله تعالى ليست كعلاقتنا مع البشر، بل هي علاقة ما بين خالق ومخلوق ... خالق عليم، حكيم، عادل غير ظالم، رحمن رحيم ... هذا الخالق يعلم أن الوسيلة الوحيدة لعلاجنا تكمن بطاعته المطلقة ومنها الصبر على البلاء لكونه يكفر عن سيئاتنا ويؤدبنا ويرفع من درجاتنا ومنزلتنا.

وهذا الأمر متعارف، فلما نعمل مسابقة لاثنين ونخبرهما بأن هذه الأرض

التي أنتم عليها ستغرق ولا سبيل للنجاة إلا بتسلق درج طويل مركّب على بناية تتكون من ثمانية طوابق، الطابق الأول أدناه رتبة وبقية الطوابق تتدرج في فضلها وكمالها حتى يكون الطابق الثامن هو أرقى وأكمل الطوابق... ثم طلبنا من المتسابقين أن يتدربا لمدة، لتقوى عضلاتهم ليتمكنوا من التسلق والوصول إلى أحد الطوابق، ولكننا وجدنا أن أحدهما لم يتدرب بل انشغل بملذات الدنيا ومعاصيها فصارت بمثابة أثقالا ثقيلة على ظهره...

فالسؤال هو: من تعتقدون أنه سينجو؟ هل هو الشخص الذي يحمل أثقالا على ظهره والذي لم يتدرب على الصعود؟، أم الشخص الذي تدرب جيدا ولم يحمل أثقالا على ظهره؟

الجواب أنه الثاني بالتأكيد، فلذا الذي يحبنا هو الذي يطلب منا التدريب ورمي الأثقال من ظهورنا... وهذا ما يريده الله منا عن طريق الصبر بأقسامه الثلاثة، لأن الصبر على البلاء وعلى الطاعة وعن المعصية سوف يكفر عنا السيئات التي هي بمثابة الأثقال التي تثقل كاهلنا وتمنعنا من الصعود والارتقاء، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ (٥١٥).

وأيضاً الصبر بمثابة التدريب الذي يقوينا لكون الصبر له علاقة وثيقة بالإيمان، روي عن الإمام علي عليه السلام: الصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد، وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور (٥١٦).

إن حالنا لما نعترض على البلاء حال الطفل الصغير المريض الذي يرفض شرب الدواء المرّ وضرب الإبرة رغم إن شفائه متوقف على ذلك العلاج، روي عن رسول الله ص: يا عباد الله أنتم كالمريض، والله رب العالمين كالطبيب فصالح المرضى فيما يعلمه الطبيب يدبره به لا فيما يشتهي المريض ويقترحه، ألا فسلموا لله أمره تكونوا من الفائزين (٥١٧).

إن هذه الحقيقة يعلمها أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولذا بلغوا أعلى مراتب الصبر والتسليم، فلذا استحقوا رتبة الإمامة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً مُهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا﴾^(٥١٨)، ولسان حالهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هو «إننا ندعو الله فيما يحب فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما يحب»^(٥١٩)

المبحث الرابع: لماذا الموت؟

رب تساؤل يردّ: لما نسأل عن فلسفة وسبب الموت، يقال أن الله لا يفعل إلا الخير والصلاح، فكيف يكون الموت رحمة وخيرا وهو الذي يسلب منا أعلى نعمة نملكها وهي نعمة الحياة؟ وهو الذي يفجعنا بفقيد هنا أو فقيدة هناك، وبكهل هنا أو شاب هناك؟

الجواب: إن أسباب خلق الموت عديدة، نذكر منها الأسباب الآتية:

أولاً: إن الله تعالى لم يخلق الموت والحياة عبثاً بلا هدف وغاية، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٥٢٠)، بل الهدف والغرض هو ابتلاء واختبار الإنسان وتمييز المؤمن عن الفاسق، الصالح عن الطالح، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾^(٥٢١)، فإذا كُمل الامتحان انتفى الغرض من الحياة وحان وقت الموت للحساب، وهذا الأمر حتى العقل يحكم به، فلو نفترض أننا أردنا امتحانكم، وكانت مدة الامتحان ساعتين، والجميع أكمل الامتحان في هذا الوقت، فلو طلب منا شخص أن نطيل زمن الامتحان لمدة ثمان ساعات إضافية، في حين أن نتائج الامتحانات ظهرت خلال ساعتين، فهل من الحكمة الاستجابة لهذا الطلب؟

الجواب: لا، لأنه سيعد من العبث. ولقد أجبنا على سؤال قد يخطر في أذهانكم وهو (لماذا يبتلينا الله وهو العالم المطلق؟) في الجزء الأول من كتاب (زاد المبلغات)^(٥٢٢)

ومن تلك الآثار المترتبة على الصبر، بفقد وموت الأحبة هو التكفير عن ذنوب المبتلى، أو لرفع درجته ومنزلته، أو لتأديب الإنسان، أو لنيل الأجور التي تم ذكرها قبل قليل، وهذه كلها خير ورحمة وليست بنقمة. (٥٢٣)

إذا فهتم ذلك ستفهمون معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: عجا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء-ومنه فقد الأوبة-صبر، فكان خيراً له. (٥٢٤)

ثانياً: في الموت نعمة عظيمة لا تتأتى للناس إلا به، فلولا الموت لما هنا لهم العيش، ولا طاب في هذه الأرض، ولا وسعهم الأرزاق، ولضاقت عليهم المساكن والمدن، والأسواق والطرقات، فالموت يحافظ على توازن الحياة على الأرض.

تخيلوا أن الكائنات لا تموت، والديناصورات والوحوش المفترسة لم تنقرض، فكيف سيكون حالنا؟، بل لو نأتي إلى الحشرات ومنها الذباب، فهل تعلمون ماذا كان سيحدث لو تكاثرت ذبابتان دون موتٍ؟!

الحقيقة العلمية تقول أن الأرض ستمتلأ ذباباً؛ حتى تتكوّن طبقة من الذباب، سمكها ٥ سم، تغلّف الكرة الأرضية كاملة خلال سنتين فقط. (٥٢٥) وأيضاً لنتخيل أن الله تعالى رفع الموت عن البشر لمدة معينة كمائتي سنة، يا ترى كيف سيصبح حال الإنسان؟

إن الإنسان الذي يبلغ من العمر سبعين سنة وأكثر تجدونه يحتاج إلى رعاية الآخرين من ناحية إطعامه وتنظيفه وتبديل ثيابه وعلاجه وموائسته، في حين إننا عندما نأتي للواقع نجد أن الأبناء مقصرون في رعاية آبائهم ويحتجون بضيق الوقت ومحدودية الوضع الاقتصادي، فكيف به لو كان مكلفاً برعاية أبويه وجده الأول والثاني والثالث معاً!!، روي في الحديث عن أبي عبد الله ع: «إنّ قوماً فيما مضى قالوا لنبي لهم: ادع لنا ربك يرفع عنا الموت فدعا لهم

فرفع الله عنهم الموت فكثروا حتى ضاقت عليهم المنازل وكثر النسل، ويصبح الرجل يطعم أباه وجدده وأمه وجدده ويوضحهم ويتعاهدهم فشغلوا عن طلب المعاش، فقالوا: سل لنا ربك أن يردنا إلى حالنا التي كنا عليها فسأل نبيهم ربه مردّهم إلى حالهم»^(٥٢٦)، إذن الموت رحمة.

ثالثاً: في الموت موعظة للناس، روي عن رسول الله ص: «كفى بالموت واعظاً»^(٥٢٧) فلولا الموت لنسينا ذكر الله ولن تجد من يعبد الله إلا القليل النادر. إنّ الموت أفضل واعظ للإنسان، يساعده على أن يخفف من غروره وكبريائه، فإذا رأيت ميتاً أو محتضراً يلفظ أنفاسه ويصارع الموت فاعلم إنك ميت مثله، وإذا رأيت جنازة تُحمَل على الأَكف فاعلم إنك محمول مثلها ذات يوم، لذا وجب أن تحاسب نفسك وتستعد للموت، قبل أن تقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٥٢٨) فما أقل المتعظين والمعتبرين.

رابعاً: الموت راحة للمؤمن: إن الدنيا بالنسبة للمؤمن بمثابة السجن، لكونه منذ تكليفه مأموراً بالصبر، أي مأمور باحتمال المكاره من غير جزع^(٥٢٩)، مأمور بثبات النفس على الحق وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب^(٥٣٠)، مأمور بأن يصبر على الطاعة، ويصبر عن المعصية، فلا يأكل الحرام ولا يشرب الحرام ولا ينظر للحرام ولا يتكلم الحرام ولا يسمع الحرام ولا يعقد علاقة شرعية بالحرام.. وهذه التكاليف تطبقها سهل لو كنا نعيش في زمن الإمام المهدي عج، ولكن تطبقها في زمن الغيبة يحتاج إلى جهاد وصبر، لذا روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر.^(٥٣١)

وأيضا المؤمن مأمور بأن يصبر على البلاء، ومعلوم أن البلاء النازل على المؤمن أشد من البلاء النازل على غير المؤمن، فالبلاء على قدر الإيمان، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنما المؤمن بمنزلة كفة الميزان، كلما زيد في

إيمانه زيد في بلائه. (٥٣٢)

لذا نرى المؤمن مبتلى أما بالأمراض أو بزواج (٥٣٣) فاسق أو سيء الخلق أو بأولاد عاقين أو بظلم البشر، أو بالفقر، أو بالخوف أو بفقد عزيز إلخ

وكل هذه الابتلاءات تضغط على الإنسان وتضيّق صدره وتجعله يشعر أنه غريب ووحيد وكأنه بسجن، يتمنى الخلاص منه، روي عن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنّاتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم" (٥٣٤)، والنتيجة أن المسجون يرتاح حينما يخرج من سجنه، وكذلك المؤمن الصالح فالموت رحمة له لأنه البوابة إلى الجنة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٣٥).. وهذا بالتأكيد نعمة ورحمة.

ولو تمكّنا من سؤال المؤمنين بعد موتهم: **لو خيّرتم بين البقاء في الآخرة، وبين الرجوع إلى الدنيا، فماذا ستختارون؟**

الجواب: سيخبروننا -إذا كانوا مؤمنين صالحين- بالبقاء في الآخرة ويرفضون الرجوع إلى الدنيا مهما حزنتم وتألّمتم لفراقهم.

وهذه الحقيقة نقلها العديد من الأشخاص الذين تعرضوا للموت في لحظات ولكن سرعان ما عادت إليهم أرواحهم وذكروا لهم المكاشفة التي شاهدوها.

وأذكر لكم ما رواه لنا السيد محمد الحسيني الطهراني في كتابه معرفة المعاد ما نصه: نقل لي أحد مفاخرنا الأعزّاء ومن أعظم أهل العلم في النجف الأشرف حالياً ومن الرجال الأجلاء المحترمين فقال: لقد اخترت زوجة في النجف الأشرف ثم سافرنا في فصل الصيف إلى إيران لزيارة الأرحام والأقارب، فزرنا ثامن الأئمة عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعرجنا من هناك إلى مدينتي التي كنت أقطن فيها، وهي بالقرب من مدينة مشهد.

وصادف أن جوّ تلك المنطقة وماءها لم يناسب مزاج زوجتي فسقطت مريضة، وصارت حالها تسوء يوماً بعد يوم، ولم تنفع معها المعالجات التي عملناها لها، حتّى أشرفت على الموت. وكنت واقفاً عند جسدها مضطرباً أرى زوجتي تلفظ أنفاسها في تلك اللحظات، وأرى أنّ علي العودة إلى النجف وحيداً خجلاً أمام والدها ووالدتها وسيقولان: لقد أخذ فتاتنا العروس فدفنها هناك وعاد.

كان الاضطراب والقلق العجيب يلفّ كياني، فهرعتُ فوراً إلى الغرفة المجاورة فصليت ركعتين وتوسّلت بإمام الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وقلت: يا وليّ الله! اشف زوجتي. يا وليّ مصدر الفعل الالهيّ، إن هذا الأمر بيدك وفي استطاعتك!

توسّلت إلى الإمام في ضراعة والتجاء، ثمّ عدت إلى الغرفة فشاهدت زوجتي جالسة تجهش بالبكاء، فصاحت حالماً رأتني: لماذا منعني؟ لماذا منعني؟ لماذا لم تدعني؟

لم أفهم ما تقول، وتصوّرت أن كلامها عاديّ، وأنّ حالها وخيمة، ثمّ سقيتها ماءً وأطعمتها شيئاً من الغذاء، فشرحت لي قضيتّها وقالت: لقد جاء عزرائيل لقبض روحي، وكان يرتدي ملابس بيضاء، وسيماً متجمّلاً ومزيّناً، فابتسم في وجهي وقال: أحاضرة أنت للمجيء؟ قلت: بلى.

ثمّ جاء أمير المؤمنين عليه السّلام فلاطفني كثيراً في رحمة ومودّة، ثمّ قال: أريد الذهاب إلى النجف، أترغبين أن نذهب معاً إلى النجف؟

قلت: بلى، أحبّ كثيراً أن آتي معكم إلى النجف.

ثمّ نهضتُ فارتديت ملابسني وتهيّأت للذهاب مع الإمام إلى النجف الأشرف، وحالما أردت الخروج معه من الغرفة شاهدتُ إمام الزمان عليه السّلام وقد جاء وأنت متعلّق بأذياله، فقال لأمير المؤمنين: لقد توسّلت هذا العبد بنا، فاقضوا

له حاجته!

فأطرق أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ برأسه، ثم قال لعزرائيل: اذهب إلى الوقت المعين حسب طلب المؤمن المتوسّل بولدنا. ثم ودّعني أمير المؤمنين وخرج. فلم لم تدعني أذهب؟

إن هذه من الحقائق، وناقل هذه القضية وزوجته -و هي من الصالحات- كلاهما على قيد الحياة. (٥٣٦)

خامساً: الموت يريحنا من الأشرار: إن الله تعالى ينزل الموت بالأشرار والعاصين الذين لا يرجى منهم خير رحمة للمسلمين والمظلومين لأن الله أنقذهم من شرهم، ولتعجيل العقوبة بهم، روي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ عليه جنازةً فقالَ مستريحٌ ومستراحٌ منهُ فقالوا ما المستريحُ وما المستراحُ منهُ؟ قال: العبدُ المؤمنُ يستريحُ من نصَبِ الدُّنيا وأذاها والعبدُ الفاجرُ يستريحُ منهُ العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ. (٥٣٧)

رب تساؤلات ترد في أذهان بعضنا، نذكر منها الآتي:

التساؤل الأول: هنالك العديد من الظلمة والنواصب في العالم، لماذا لا يعجل الله بموتهم جميعاً، ويخلصنا من شرهم؟

الجواب: إذا علم الله أن الظالم إذا أطال في عمره سيرجى منه الخير والإنابة والتوبة لأطال عمره رحمة به، وأما إذا كان لا يرجى منه خير فتارة الحكمة تقتضي قبض روحه مبكراً، وأخرى تقتضي إطالته لأسباب، نذكر منها النقطتين الآتيتين:

١. إذا أطال الله في عمر من لا يرجى منه خير فهو نعمة عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۗ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (٥٣٨)، بمعنى أن الله يريد أن يصفى كل حسنة قام بها في حياته؛ لأن وجودها يشفع له يوم القيامة ويخفف عنه العذاب، ولذا

يستدرجه الله تعالى بأن يغدق عليه بالنعم فيطغى ويتجبر ويظلم، والنتيجة أن هذه السيئات سيأكلن حسناته، فيموت ولا حسنة في رصيده فيعذبه العذاب الأكبر، روي في الحديث القدسي: وعزتي وجلالي لا أخرج عبدا من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها إما بسعة في رزقه وإما بصحة في جسمه وإما بأمن في دنياه فإن بقيت عليه بقية هونت عليه بها الموت. (٥٣٩)

٢. إن طول عمر الظالم قد يكون من باب ابتلاء الأحياء ومنهم المسلمون، لمعرفة من سيكون عبداً لهم ويطيعهم في معصية الله، ومن سيرفض ذلك لأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (٥٤٠)

أو من أجل أن يكون الظالم وسيلة لعقوبة الظالمين الآخرين من باب التأديب، فقد ورد بسند ضعيف عن جابر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إن الله عز وجل يقول: (أنتقم ممن أبغض بمن أبغض ثم أصير كلاً إلى النار) (٥٤١)

التساؤل الثاني من إحدى الأمهات تقول: لديّ ولدٌ مسلم ولكنه متجاهر بالفسق، توفي وهو شاب، وقد حزننت عليه كثيراً، وسؤالي هو: لماذا لم يرحمه الله ولم يمدّ بعمره، فلربما سوف يتقي الله ويهتدي؟

ونجيب عليه بهاتين النقطتين:

١. إن موت الفاسق بهذا العمر فيه رحمة؛ لأن كلما طال عمره وهو مستمر في ارتكاب المعاصي فسوف يزداد عقابه؛ لأن المتجاهر بالفسق يتحمل أثمه وأثم من تبعه وقلّده، وبنفس الوقت موته رحمة للآخرين ليتخلصوا من شره.

٢. إن الله لو علم أن هذا الفاسق فيه خير وسيهتدي لأطال الله في عمره، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ صَوْلًا أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٥٤٢)، بل أكثر من ذلك، إن هذا الميت لو رجع للحياة مرة أخرى لرجع يرتكب المعاصي، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٥٤٣)

التساؤل الثالث: بما أن الموت رحمة للمؤمن، وأنا قد تعبت من الحياة ومن كثرة الابتلاءات لذا في بعض الأحيان أدعو على نفسي بالموت، فما رأي الشريعة في ذلك!!

الجواب يجيب عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما قال لرجل مريض كان يتمنى الموت: «لا تتمن الموت، فإنك إن تك محسناً تزدد إحساناً إلى إحسانك وإن كنت مسيئاً فتؤخر لتستعتب فلا تمنوا الموت».^(٥٤٤)

وقد علمنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الدعاء الصحيح المتعلق بالموت بقوله: لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به، وليقل: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي.^(٥٤٥) وبنفس المضمون ورد في الصحيفة السجادية عن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعاء مكارم الأخلاق أنه قال «... وَعَمَّرَنِي مَا كَانَ عُمُرِي بِذَلِكَ فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمُرِي مَرْتَعًا لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتِكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبَكَ عَلَيَّ».

المبحث الخامس: ما الحكمة من موت الأطفال

السؤال الأخير في محاضرتنا هذه هو: ما الحكمة من موت الأطفال؟

الجواب: إن الحكمة من موت الطفل لا تنحصر بأمر واحد، بل قد تكون علل متعددة لذلك، نذكر منها الآتي:

١. قد يكون رحمة منه تعالى لأبويه في الدنيا، كما يشير القرآن الكريم حينما اعتبرض نبي الله موسى ع على الخضر ع حينما قتل الغلام قائلاً: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا﴾^(٥٤٦)، فأخبره الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحكمة قائلاً: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾^(٥٤٧)

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي^(٥٤٨): أي كنا نعلم أن الفتى - في حال بقائه - سوف يكون سببا لأحداث أليمة تقع لأبيه وأمه في المستقبل.

بعبارة أخرى: إن هذه النفس ليست زكية، وأردنا أن يبدلها ربهما ابنا طاهرا بدلا عن ذلك. وفي روايات عديدة نقرأ «أبدلها الله به جارية ولدت سبعين نبيا»^(٥٤٩)

٢. قد يكون ابتلاءً منه تعالى لهما وامتحانا لقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٥٥٠).

٣. إن الصبر على موته رحمة منه تعالى لأبويه في الآخرة، ولقد ذكرنا في المبحث الثاني العديد من الأجور التي ينالها من فقد ولده، ومنها الاستغفار، فقد روي عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (.. أن الولدان تحت عرش الرحمن يستغفرون لأبائهم، يحضنهم إبراهيم، وتربيمهم سارة، في جبل من مسك، وعنبر، وزعفران).^(٥٥٢)

٤. إن موت الطفل المسلم غير المكلف رحمة للطفل نفسه، فما عليه علماء العقيدة أنهم لا عقاب عليهم إذ لا تكليف عليهم؛ لأن الحديث يقول: «رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم».^(٥٥٣)

فبمجرد موته سينتقل إلى الجنة، وسوف تربيمهم النسوة المؤمنات الصالحات كسارة، وفي رواية أخرى تربيمهم فاطمة عليها السلام، حيث روي عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إذا مات طفل من أطفال المؤمنين نادى منادي في ملكوت السماوات والأرض: ألا إن فلان بن فلان قد مات، فإن كان مات والداه، أو أحدهما، أو بعض أهل بيته من المؤمنين، دفع إليه يغذوه، وإلا دفع إلى فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ تغذوه حتى يقدم أبواه، أو أحدهما، أو بعض أهل بيته، فتدفعه إليه).^(٥٥٤)

ولكي نصبر على فقد أولادنا وأطفالنا لنتذكر دائماً أن أولادنا وديعة، ولا بدّ للوديعة من أن ترجع لخالقها، لذا على المؤمن أن لا يعترض على قضاء الله وقدره، بل المؤمن الحقيقي هو الذي يحب لقاء الله، بل هو الذي يحث أولاده ليقدموا أنفسهم قرايين لله تعالى نصرته لدينه كما فعل الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وبنات الوحي والرسالة في واقعة الطف، وكما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما رضي أن يموت ولده إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فداءً لسبطه الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد روي عن ابن عباس: «كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى فَخِذِهِ الْأَيْسَرِ ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ، وَعَلَى فَخِذِهِ الْأَيْمَنِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَهُوَ تَارَةً يُقَبِّلُ هَذَا، وَتَارَةً يُقَبِّلُ هَذَا، إِذْ هَبَطَ جَبْرَيْلُ بِوَحْيٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَمَّا سَرَى عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَتَانِي جَبْرَيْلُ مِنْ رَبِّي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: لَسْتُ أَجْمَعُهُمَا، فَافْدِ

أَحَدَهُمَا بِصَاحِبِهِ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَبَكَى، وَنَظَرَ إِلَى الْحُسَيْنِ فَبَكَى، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ أُمُّهُ أُمَّةٌ، وَمَتَى مَاتَ لَمْ يَحْزَنْ عَلَيْهِ غَيْرِي، وَأُمُّ الْحُسَيْنِ فَاطِمَةُ وَأَبُوهُ عَلِيُّ ابْنُ عَمِّي لَحْمِي وَدَمِي، وَمَتَى مَاتَ حَزَنْتُ ابْنَتِي وَحَزَنْتُ ابْنَ عَمِّي، وَحَزَنْتُ أَنَا عَلَيْهِ، وَأَنَا أُؤْتِرُ حُزْنِي عَلَى حُزْنِهِمَا، يَا جَبْرَيْلُ يُقْبِضُ إِبْرَاهِيمَ فَدَيْتُهُ بِالْحُسَيْنِ، قَالَ: فَقَبِضَ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ إِذَا رَأَى الْحُسَيْنَ مُقْبِلًا قَبَّلَهُ وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَرَشَّفَ ثَنَائِيَاهُ وَقَالَ: فَدَيْتُ مَنْ فَدَيْتُهُ بِابْنِي إِبْرَاهِيمَ»^(٥٥٥)

نعم أخواتي في مثل هذا اليوم الثامن عشر من رجب ١٠ هـ بالمدينة المنورة، توفي إبراهيم بن محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو ما زال طفلاً صغيراً، يقال أن عمره ستة عشر شهراً، أو ثمانية عشر شهراً، أمه هي مارية بنت شمعون القبطية، ولما مات عَلَيْهِ السَّلَامُ قام الإمام علي ع بتجهيزه، ودُفن بمقبرة البقيع.

تروي لنا أسماء بنت يزيد الأنصارية: «لَمَّا تُوفِّيَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ، بَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ الْمُعْزِيُّ: أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ عَظَّمَ اللَّهُ حَقَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ،

وَلَا نَقُولُ مَا يُسَخِّطُ الرَّبَّ، لَوْلَا أَنَّهُ وَعَدَّ صَادِقٌ وَمَوْعُودٌ جَامِعٌ، وَأَنَّ الْأَخْرَ تَابِعُ
الْأَوَّلِ، لَوَجَدْنَا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَفْضَلَ مِمَّا وَجَدْنَا، وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»^(٥٥٦)

أقول: يا رسول الله يا نبي الرحمة أنت بكيت على طفل صغير مات ميتة
طبيعية، فكيف بك إذا رأيت من فديت به ثمرة فؤادك سيد شباب أهل الجنة
في يوم عاشوراء، مطعوناً بالرمح، ومقطعاً بالسيوف، ومرشوقاً بالسهم،
ومرضوخاً بالحجارة، ومطحوناً بحوافر الخيل، ومذبوحاً ومنحوراً!!!

إعلمن أخواتي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ حَاضِرًا بِرُوحِهِ، رُوِيَ أَنَّ
ابن عباس رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه يوماً بنصف النهار، وهو
أشعث أغبر، في يده قارورة فيها دم فقال: يا رسول الله ما هذا الدم؟ قال: دم
الحسين لم أزل التقطه منذ اليوم، فاحصي ذلك اليوم، فوجد (أنه) قتل في
ذلك اليوم.^(٥٥٧)

ساعد الله بنات الوحي والرسالة اللاتي نظرن إلى الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ
وهو على تلك الحال

(نصاري)

كَطَعُ بِالسِّيفِ رَاسَهُ أَوْ شَالَهُ بِيَدِهِ

أَوْ ظَلَّ أَحْسِينَ بِسَ يَشْخَبُ وَرِيدَهُ

دَغَلِي أَشْمَالَهَا بِنْتِ الصَّمِيدِ

لَمَنَّ شَافَتَهُ جَثَّهُ بِلَا رَاسِ

عَلَيْهِ طَاحَتْ أِبْلُوعُهُ أَوْ بَجِي أَوْ وَنَهُ

أَوْ صَاحَتْ مِنْ بَعْدِ يَحْسِينَ عَدْنَهُ

هَآئِي أَعْلَهُ الرَّمَالِ أَجْسُومَ أَهْلِنَهُ

أَوْ ذَاكَ أَعْلَهُ النَّهْرِ مَطْرُوحِ عَبَّاسِ

(أبوزية)

يا هيبة بني هاشم يسدها يخويه فيتك ياهو يسدها
تعال او عاين الزينب يسدها تره بس الهدم صوره عليه

لهفَ قلبي لأمّ كلثومَ تنعاه بقلب بجمرِ اليينِ صالي
بأبي جسمك السليبَ لباسا وعليه ملابسٌ من رمال
بأبي رأسك المعلىّ يفوقَ البدرَ في تمّه أوانَ الكمال^(٥٥٨)

(نصاري)

كعدن يم أبو اليمه ينحبن
سكنه اتعدد الهن وهن يبچن
الرباب اتصيح بالله حيل الطمن
وانتي ابچي يسكنه لا تفترين
يسكنه شوفي أبوج احسين مطروح
كل ونه اليونها تشعب الروح
يسكنه ساعدي عمتج على النوح
تراهي طايحه يم راس الحسين
رفعن روسهن واكبلن ليها
لگنها طايحه او مغشي عليها
هوت سكنه عليها اتحب اديها

تري ايحگچ يعمه من تموتين^(٥٥٩)



۲۵ رَجَب

شهادة الإمام الكاظم عليه السلام

عظيمة الله الرحمن الرحيم

المناسبة

شهادة الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ

القصيدة: للحاج منصور بن محمد مجلي الجشي

فأوحش بالثكلِ أزماتها	مُصابٌ أطل على الكائنات
وأوقدَ في القلب نيرانها	وافجعنا وجميع الوري
فهدَّ علاها وبنياتها	فله سهمٌ رمى المكرماتِ
أصبتَ بسهمك فرقانها	ألم تريا دهرُمن ذا رميتَ
وهدمتَ والله أركانها	أصبتَ بسهمك قلبَ الوجودِ
مذاب الحُشاشةِ حرانها	غداة ابنُ جعفر موسى قضى
يكابد بالهم أشجانها	قضى مستضاماً بضيقِ السجونِ
فقيدٍ تضمَّن برهانها	فتلك الإمامةُ تبكي على
وهل تألَّف النفسُ سلوانها	أجهناً لعيني طيبُ الكرى
عليه الفضا ضاق حيرانها	وبابُ الحوائج في محبسِ
فألهب أحشاه نيرانها	أتاح له السمُّ أشقى الوري
ولم يرعَ في الحقِّ ديانها	وآلمه بثقل القيودِ

على الجسر ملقى برمضائها

به أشفتِ القومُ أضغاثها (٥٦٠)

(فائزي)

يا گلب ذوب او يا دمع عيني تفجر لي غضه ابسجن الرجس گلبه تظفر

أمر الطاغي اتشيل ابن جعفر حماميل شالوا الجنازه اولامشت خلفه رياجيل

واعله الجسر ذبوه وابرجه زناجيل واگلوب شيعتهم عليه ابناار تسعر

شيعة علي الكرار فجعتهم شديده من عاينوه امغلل او بالساک گيده

مطروح فوگ الجسر ما فگوا حديده صاحت يبو ابراهيم

يومك صار اگشر (٥٦١)

المحاضرة التاسعة

موقف الشهادة يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ لِيُجْلَدِيهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فصلت/٠٢-١٢.

من المعلوم أن الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً من أجل اللهو واللعب، والرقص وسماع الأغاني، والتعري، ولارتكاب الفواحش، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٥٦٢)، بل أن الله خلقنا من أجل هدف وغاية تجسدت بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥٦٣)، والعبادة تعني الطاعة المطلقة لله تعالى، لأنها سر السعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٥٦٤)

أي أننا في هذه الحياة الدنيا لمدة مؤقتة من أجل أداء الامتحان، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٥٦٥) وبعد انتهاء الامتحان سنرحل من الحياة الدنيا بالموت، لتبدأ بعد ذلك الحياة البرزخية في القبر، وحينما يأمر الله بقيام الساعة لنبعث ليوم القيامة، فهذا معناه نهاية الدنيا، حيث يأمر الله عز وجل الملك إسرافيل أن يُنفخ في الصور نفختان:

النفخة الأولى، وتسمى: نفخة الصعق والإماتة، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾^(٥٦٦)، وبسماع هذه النفخة يموت كلُّ من في السموات والأرض إلا من شاء الله أن يبقيه، وتأتي هذه الصيحة على حين غفلة من الناس وانشغال بالدنيا، وأما

النفخة الثانية، هي نفخة البعث والإحياء^(٥٦٧)، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَفْخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٥٦٨)، وهي صيحةٌ توقظُ الأموات ممّا هم فيه، ثم يحشرون بعدها إلى أرض المحشر^(٥٦٩)، للحساب والجزاء، فيما إلى النار، وإما إلى الجنة، حيث الخلود الأبدي بلا موت، ولا انقطاع.

وفي يوم القيامة حينما نحشر جميعاً على أرض المحشر سوف نمر بخمسين موقفاً، ومنها موقف الميزان، والبصراط، والحساب، والشفاعة، والشهادة، إلخ..

فقد ورد في رواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ لَلْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفًا وَيَسْتَغْرَقُ عِبُورُ كُلِّ مَوْقِفٍ أَلْفَ سَنَةٍ.^(٥٧٠) وهو مقدار يوم القيامة الذي ذكره الله تعالى بقوله: **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**.^(٥٧١) ونريد في هذه المحاضرة أن نقف على موقف (الشهادة) في محكمة العدل الإلهي.

المبحث الأول: موقف الشهادة

إن الشهادة حقيقة قرآنية تكررت في كثير من الآيات الكريمة وكذلك الأشهداء والشهود والشهداء. كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾^(٥٧٢)، وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾^(٥٧٣)، وقوله تعالى: ﴿كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾^(٥٧٤)... إلخ

وحيثما ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم، فلا يقصد به الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله تعالى، وإنما يقصد به الشهادة على الأعمال والحقائق من الشاهد الذي يشهد في المحكمة مثلاً أو في التقاضي. أي أن الشاهد أو الشهيد والأشهاد والشهود والشهداء، كل هذه الألفاظ يقصد بها أن هناك إنساناً قد ميزه الله تبارك وتعالى، عن بقية خلقه واصطفاه واتخذه شهيداً، وأن هذا الإنسان قد كشف الله تعالى له، عن بصيرته وقلبه ونفسه وأعطاه القابلية التي يتمكن بها من أداء الشهادة أمام الله تعالى ويوم القيامة على الناس الذين

كَلَّفَ بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِم.

ومن خصائص الشهادة يوم القيامة أن الشهادة على الأعمال ليست على الأعمال الظاهرية المحسوسة فحسب-كما هو الحال مع شهود الدنيا-، بل تتعدى ذلك إلى الأعمال المعنوية كأعمال القلوب من حب وبغض، نفاق، حسد، حسن ظن، وسوء ظن... الخ، لأنَّ الله تبارك وتعالى يؤاخذ الناس بما كسبت قلوبهم، وهذه الأعمال هي من أعمال القلوب، قضايا المعرفة، العقائد، كل ذلك مما تكتسبه قلوب من يشهد عليه. ^(٥٧٥) إنَّ مشهد الشهادة في محكمة العدل الإلهي (مشهد مرَوَّعٌ للقلوب ومقطَّعٌ للأرواح، إنَّه مشهد القضاء على الناس بشهود لا يتطرق إلى شهادتهم ريب ولا يتَّهمون بكذب. وهم بين شاهد خارجي كالله سبحانه، والأنبياء، والملائكة، والأرض، وداخلي كالأعضاء والجوارح حتى جلد البدن. وهناك نوع آخر من الشهود لا يشابه القسمين، وهو تجسّم أعمال الإنسان.

وبذلك لا يجد المجرم لنفسه إلا الاعتراف بالذنب والتقصير والجرأة، لثبوت الجرم عليه بوجه لا يقبل الإنكار، وإليك عرض هؤلاء الشهود في ضوء آيات القرآن الكريم). ^(٥٧٦)

قد يسأل أحدنا: لا شك أن الله تبارك وتعالى علام الغيوب، يعلم السر وأخفى، إذن ما الحاجة إلى شهادة كل هذه الشهود؟

الجواب: ذلك يرجع لأسباب منها: لإظهار عدله أمام الخلائق، فإن الناس حينما ترى يوم القيامة في محكمة العدل الإلهي بأن الله قد حكم على فلان بالجنة والآخر بدخول النار على أساس شهادته تعالى وحده، فسوف يعترض أكثرهم على حكمه، ويعتقدون أنه خلاف العدل، لأن الإنسان خُلق وفيه خاصية الجدل ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ^(٥٧٧)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ ^(٥٧٨)

ولذا فشهادة الشهود المتعددة ستكون حجة عليهم، وبذلك سيظهر عدل

الله أمام كل الخلائق، قال تعالى: ﴿لِنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٥٧٩) (إذن فالشهادة لإلقاء الحجة على هذا المخلوق الضعيف المجادل وهو الإنسان. كما أنها كرامة من الله تعالى للشهداء الذين يصطفهم ويختارهم من خلقه بسابق علمه، فالشهداء ليس بذاتهم ولا باختيار الناس كانوا شهداء، ولكن الله تعالى هو الذي يتخذ من الناس شهداء ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾^(٥٨٠) .^(٥٨١)

المبحث الثاني: الشهود يوم القيامة

إنَّ النصوص الشرعية تخبر عن وجود شهود، يشهدون على عمل الإنسان خيره وشره، والشهود هم كالآتي:

الشاهد الأول: الله سبحانه

المتعارف في المحاكم الدنيوية أن الحاكم والقاضي غير الشاهد، بينما في محكمة العدل الإلهي في يوم القيامة فإن الحاكم الذي يحكم على العباد يوم القيامة هو أكبر وأصدق شاهد على عمل الإنسان، وهو خالقه: الله سبحانه وتعالى؛ لإحاطته به منذ نشوئه إلى موته، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٥٨٢)، روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: اتقوا معاصي الله في الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم.^(٥٨٣)

الشاهد الثاني: أنبياء الله تعالى، يقول سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٥٨٤)، والآية تتضمن أمرين:

الأول: إن لكل أمة شهيداً، وأمّا من هو؟ فالآية ساكتة عنه، ويمكن استظهار أن المراد من الشهيد هو نبي كل أمة، بشهادة أنه سبحانه صرح بأن المسيح عليه السلام يكون شهيداً على أمته، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا

لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿٥٨٥﴾.

الثاني: أن النبي الخاتم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بحكم الآية الأولى شهيد على هؤلاء.

حيث يظهر من غير واحدة من الروايات أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم الخاتم شاهد على أعمال أُمَّته، وقد ورد في ذلك غير واحد من الآيات، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٥٨٦)، والمراد شهادته على كل أعمال أُمَّته من خير وشر وصلاح وفساد.

ولكن الأصل في الشهادة أن تكون عن مشاهدة وعلم، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٥٨٧)، ولا تصح الشهادة بالظن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٥٨٨).

فكيف أحاط كل نبي علماً بما صدر من أُمَّته من الأعمال والأفعال؟، وكيف أحاط النبي الخاتم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علماً بالظواهر والبواطن، والحقائق لأُمَّته، وللأمم السابقة؟

لا شك ولا ريب أن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يتخذ منهم شهوداً يمدّهم بالعلم الكافي في عالم الشهادة حتى يقفوا على ما يجري في أذهانهم ونفوسهم من الأفكار والآراء الصحيحة والباطلة، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ (٥٨٩).

إن الروايات الواردة عن علم النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعرض الأعمال عليه، بلغت حد التواتر، وهذا الأمر يشمل حتى الأئمة عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونذكر منها الآتي:

﴿عن أبي بصير عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سئل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عن علم النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: علم النبي علم جميع النبيين، وعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأعلم علم

النبي (صلى الله عليه وآله) وعلم ما كان وعلم ما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة. (٥٩٠)

❁ روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: « تعرض الأعمال على رسول الله أعمال العباد كل صباح، أبرارها وفجّارها، فاحذروها، وهو قول الله عز وجل: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وسكت. (٥٩١)

❁ عن بريد العجلي قال قلت لأبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، فقال: ما من مؤمن يموت ولا كافر يوضع في قبره حتى يعرض عمله على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ فهل جرا إلى آخر من فرض الله طاعته. (٥٩٢)

الشاهد الثالث: شهادة الأئمة الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (٥٩٣)، يرى بعض المفسرين أن أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأسرها تشهد على الناس. فهل هذا الرأي ينطبق على الحقيقة؟ أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ببرّها وفاجرها، بمؤمنها وطاغوتها، كل هؤلاء يشهدون على الناس؟، نحن نعرف أن الفاسق لا تقبل شهادته في الدنيا، فكيف تقبل في الآخرة؟

يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: فإن ظننت أنّ الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين، أفترى أنّ من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! كلا لم يعن الله مثل هذا في خلقه. (٥٩٤) وإذا المؤمنون الآن لا يعلمون بالأشياء الغائبة عنهم حتى يشهدوا بها، كجهلي بما يفعله أقرب الناس، فكيف يتسنى لي أن أشهد على غيره؟

فلا محيص عن كون المراد من (الأمة) في هذه الآية هو (بعض الأمة) لا

جميعهم، وليس هذا البعض إلا من اختارهم الله سبحانه أئمة على الأمة وحكاماً على البلاد وهم محمد وآل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. (٥٩٥)

ويبقى ثمة سؤال، وهو أنه إذا كان المراد بعض الأمة الذين شملتهم العناية الإلهية وجعلتهم صفوة عباده، فلماذا ينسب الحكم إلى الجميع؟

والجواب: انّ ذلك ليس بغريب، فقد ورد نظير ذلك في الذكر الحكيم حيث وصف جميع بني إسرائيل بجعلهم ملوكاً مع أنّ البعض القليل منهم قد تصدّوا لمنصة الحكم كداود وسليمان وغيرهما، يقول سبحانه: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ (٥٩٦) وهذا يدل على أنه تصحّ نسبة الحكم إلى الجميع وإن كان الحكم خاصاً ببعضهم. والقدر المتيقن من شهداء الأمة الذي يخبر عنه قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (٥٩٧)، هم الأئمة المعصومون قرناء الكتاب وأعداله بنصّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». (٥٩٨)

الشاهد الرابع: الملائكة

إنّ للإنسان حفظة يصحبونه منذ بلوغه التكليف فيسجلون أعماله خيرها وشرّها، وهذا قوله سبحانه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٥٩٩) وهذا الرقيب العتيد يشهد أعمال من وكلّ به يوم القيامة، عندما يرد الإنسان صعيد الحساب مع سائقه، كما يقول سبحانه: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٦٠٠) فأحد الملائكة يسوق الإنسان، وآخر يشهد على أعماله. (٦٠١)

الشاهد الخامس: الأرض

أخبر سبحانه بأنّ الأرض تحدّث أخبارها عند قيام القيامة، يقول سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾^(٦٠٢) وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أخبارها أن تشهد على كلّ عبد وائمه بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، وهذا أخبارها»^(٦٠٣).

قد يرد سؤال: كيف تتحمل الأرض تلك الشهادة وتؤدّبها يوم القيامة وهي جماد؟ باختصار: إنّ كلّ موجود - من إنسان وحيوان ونبات وجماد - وإن بلغ من الضعف بمكان كالجماد، له نصيب من العلم والإدراك، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٦٠٤).^(٦٠٥)

روي عن الإمام علي عليه السلام: «... أخذ-الرسول ص- يوم حنين حجراً فسمعنا للحجر تسبيحاً وتقديساً، ثمّ قال للحجر: انفلق، فانفلق ثلاث فلق نسمع لكلّ فلق تسبيحاً لا يُسمع للأخرى»^(٦٠٦).

ولكن يمكن أن نستعين على تقرّيبها بالأُمور المحسوسة ببيان أنّ المجرم والمحسن يتركان بعد العمل آثاراً يستدلّ بها على كيفية عمله.

هذا وإنّ الخبراء يستدلّون بالمستندات الحفرية، على كيفية حياة الماضيين وحضارتهم وعلومهم، وسائر شؤون حياتهم، وقد ورد عن النبي أنّه لم يرتحل من منزل إلّا صلى فيه ركعتين وقال: «حتى يشهد عليّ بالصلاة»^(٦٠٧).

روى الشيخ الطوسي بإسناده عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله، في وصيته له: «يا أباذر، ما من رجل يجعل جيته في بقعة من بقاع الأرض، إلّا شهدت له بها يوم القيامة»^(٦٠٨).^(٦٠٩)

الشاهد السادس: الزمان

إذا كانت الأرض تحدّث أخبارها يوم القيامة، فهكذا الزمان يشهد على ما عمل به الإنسان، روى الكليني في الكافي بإسناده أنّ أبا عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ النهار إذا جاء قال يابن آدم اعمل في يومك هذا خيراً أشهد لك به عند ربّك يوم القيامة، فأنّي لم آتك فيما مضى ولا آتك فيما بقي، وإذا جاء الليل قال مثل ذلك». (٦١٠)

روي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «... وينادي منادٍ في يوم القيامة:- يا رجب ويا شعبان ويا شهر رمضان: كيف عمل هذا العبد فيكم؟ وكيف كانت طاعته لله عز وجل؟ فيقول رجب وشعبان وشهر رمضان: يا ربنا ما تزود منا إلا استعانة على طاعتك واستعداداً لمواد فضلك ولقد تعرض بجهده لرضاك وطلب بطاقته محبتك». (٦١١)

وأما إذا كان العبد عاصياً لله تعالى فسوف تشهد عليه لا له. وهكذا الحال مع كل الأزمنة.

الشاهد السابع: القرآن

تدلّ بعض الآيات على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشتكى من أمته لهجرهم القرآن ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٦١٢)، روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «... أنّه سبحانه يخاطب القرآن الكريم، ويقول: يا حجتي في الأرض... كيف رأيت عبادي؟ فيقول: منهم من صانني وحافظ عليّ ولم يضيع شيئاً، ومنهم من ضيّعني واستخف بحقي وكذب، وأنا حجّتك على جميع خلقك، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزّي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب ولأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب». (٦١٣). (٦١٤)

المقصود من قوله: (ومنهم من ضيّعني واستخف بحقي وكذب)، مصداقه

الأكبر من لم يحكم بما أنزل الله من آيات، فالقرآن يقول: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٦١٥)، في حين نجد بعض النساء يخالفن القرآن بالتبرج، والاستخفاف بالصلاة، وترك الخمس والزكاة، وترك طاعة الله ورسوله بارتكاب المحرمات، لذا حتما سوف يشهد عليهن القرآن، وسيعاقبن.

الشاهد الثامن: صحيفة الأعمال

إنّ من الشهود: الصحف التي تكتبها الملائكة الموكلون على أعمال الإنسان ليلاً ونهاراً فلا يفترون عن كتابة كلّ صغير وكبير، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ ۖ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾^(٦١٦) ويستفاد من بعض الآيات أنّ صحيفة الأعمال تُعلّق على عنق الإنسان بعد موته، يقول سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾^(٦١٧) حيث يطلب منه الله تعالى في يوم القيامة أن يقرأ الكتاب في محكمة العدل الإلهي، يقول سبحانه: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٦١٨)، فلما يقرأ الكتاب يستغرب فزعاً قائلاً: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٦١٩)، (٦٢٠).

الشاهد التاسع: تجسّم الأعمال

إنّ تجسّم الأعمال بمعنى: أنّ كل عمل يقوم به الإنسان سواء كان حسناً أو سيئاً، له صورتان، الأولى دنيوية، والثانية أخروية، وتكمن هاتان الصورتان في جوف وداخل العمل، وفي يوم الحشر وبعد التحولات والتطورات التي تحصل فيها، فإنّ العمل يترك صورته الدنيوية ويتجلّى ويتمثّل، ويظهر في صورته الأخروية الواقعية، وبها ينعم الإنسان ويتلذذ، أو يخسر ويتأذى، (وهذا نظير عرض صور الجريمة ووقائعها التي التقطت عند ارتكاب المجرم لها، أو بثّ الشريط الذي سجل فيه كلام المعتدي بالسبّ والوقية، وإن كان هناك فرق بين الممثّل والممثّل له)^(٦٢١)، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيَبْرُوا

﴿أَعْمَالَهُمْ﴾^(٦٢٢)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾^(٦٢٣).

فالعمل الصالح يتجسد بهيئة جميلة جدا، قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديثٍ طويل: «إِذَا بُعِثَ الْمُؤْمِنُ مِنْ قَبْرِهِ خَرَجَ مَعَهُ مِثَالٌ يَقْدُمُ أَمَامَهُ ... فيقول من أنت: فيقول: أنا السَّرور الذي كنت أدخلت على أخيك المؤمن في الدنيا، خلقتني الله عزَّ وجلَّ منه لأبشرك»^(٦٢٤) .^(٦٢٥)

بينما العمل السيء يتجسد بهيئة قبيحة مؤذية، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يحشر صاحب الطنبور يوم القيامة وهو أسود الوجه وبيده طنبور من النار، وفوق رأسه سبعون ألف ملك، بيد كل ملك مقمعة يضربون رأسه ووجهه، ويحشر صاحب الغناء من قبره أعمى وأخرس وأبكم، ويحشر الزاني مثل ذلك، وصاحب المزمار مثل ذلك، وصاحب الدف مثل ذلك.^(٦٢٦)

الشاهد العاشر: شهادة الجوارح والأعضاء

ولأهميتها سنطرحها في المبحث الآتي:

المبحث الثالث: شهادة الجوارح والأعضاء

في هذا المبحث سنقف على شهادة الجوارح والأعضاء والذي سيتضح عند تفسير الآية محل البحث، وهو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٦٢٧)

﴿قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ أي ووقفوا عندها أو قريبا منها ليسمعوا الحكم الحاسم الذي ينطلق من الحجة القاطعة على جرائمهم ومعاصيهم.^(٦٢٨) يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: فهذه الآية تبين أن شهادة

أعضاء الإنسان تتم في محكمة النَّار، فهل مفهوم ذلك أنّ الشهادة تتم في النَّار، في حين أنّ النَّار هي نهاية المطاف، أم أنّ المحكمة تنعقد بالقرب من النَّار؟ الاحتمال الثاني هو الأقرب كما يظهر^(٦٢٩)

❁ قوله تعالى: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدعاء إلى الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه، وأبصارهم بما رأوا من الآيات الدالة على وحدانية الله فلم يؤمنوا، وسائر جلودهم بما باشروه من المعاصي والأفعال القبيحة.^(٦٣٠)

❁ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾. يقول صاحب تفسير الأمل: أي المجرمون يستغربون هذه الظاهرة، لسان حالهم يقول: لقد كنا لسنين مديدة نحافظ عليكم من الحر والبرد ونعتني بنظافتكم، فلماذا أنتم هكذا؟، و في الجواب يقولون: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾. أي قالت الجلود: لقد أعطانا الله مهمّة القيام بالشهادة على أعمالكم في هذه المحكمة العظيمة، ولا نملك نحن سوى الطاعة، فالذي أعطى غيرنا من الكائنات قابلية النطق أعطانا أيضا هذه القابلية.

والطريف هنا أن أولئك يسألون جلودهم دون باقي الأعضاء من الشهود كالعين والأذن. قد يكون السبب في ذلك أنّ شهادة الجلود هي أغرب وأعجب من جميع الأعضاء الأخرى، وأوسع منها جميعا، فتلك الجلود التي يجب عليها أن تذوق طعم العذاب الإلهي قبل غيرها من الأعضاء تقوم بمثل هذه الشهادة، وهذا الأمر محيّر حقّا!^(٦٣١)

ثمّ ما هو المقصود من (جلود) بصيغة الجمع؟

الظاهر أنّ المقصود بذلك هو جلود الأعضاء المختلفة للجسم، جلد اليد والرجل والوجه وغير ذلك.^(٦٣٢)

وقيل: المراد بالجلود الفروج وقد كني بها عنها تأدبا.^(٦٣٣) فقد ورد في «تفسير

عليّ بن إبراهيم القميّ» وفي كتاب «من لا يحضره الفقيه» أنّ الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ سئل عن قوله تعالى: **شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ ...** إلى آخر الآية، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يَعْنِي بِالْجُلُودِ الْفُرُوجَ وَالْأَفْخَاذَ.** (٦٣٤)

إن هذه الروايات التي تفسّر ذلك بـ «الفروج» فهي في الحقيقة من باب بيان المصداق، وليس حصر مفهوم الجلود في ذلك). (٦٣٥) بعد تفسير الآيتين، سنذكر أهم الأسئلة المتعلقة بهما:

سؤال (١): هل شهادة الأعضاء مقصورة على السمع والبصر والجلود، المذكورة في هاتين الآيتين-محل البحث-، أم أن هناك أعضاء أخرى ستشهد عليه يوم القيامة؟

الجواب: عندما نستقرئ النصوص الشرعية (يتضح أنّ هناك أعضاء أخرى تقوم بالإدلاء بالشهادة، إلا أنّ ما تذكره الآية التي بين أيدينا من أعضاء (السمع والبصر والجلود) تُعد في الدرجة الأولى، لأنّ معظم أعمال الإنسان تتم بمساعدة العين والأذن، وإنّ الجلود هي أول من يقوم بملامسة الأعمال.

ومن تلك الأعضاء الأخرى نذكر:

❁ الأيدي والأرجل، قال تعالى: **﴿وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.** (٦٣٦)

❁ الألسن، قال تعالى: **﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾.** (٦٣٧)

❁ الفؤاد، قال تعالى: **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.** (٦٣٨)

❁ بل يبدو حتى (رمش العين) له حظ من الشهادة، فقد روي في تفسير النيسابوري عند قوله تعالى: «اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم» ما

صورتها: وفي بعض الأخبار المروية المسندة تشهد عليه أعضاؤه بالزلة فتطير شعرة من جفن عينه فتستأذن في الشهادة له فيقول الحق تعالي تكلمي يا شعرة عينه واحتجي لعبي فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادي مناد هذا عتيق الله بشعرة. (٦٣٩)

سؤال (٢): كيف نفسّر شهادة الجوارح والأعضاء يوم القيامة؟

أجاب المفسرون عن هذا السؤال بعدة احتمالات، نذكر أبرزها:

أولاً: إن الأعضاء والجوارح التي خلقها الله لها قدرة الإحساس والإدراك والشعور، ولذا فهي تتحمل الشهادة، بمعنى الإحاطة بما سيطلب منه الشهادة. وهذا الرأي هو الأرجح والأقوى، يقول صاحب تفسير الميزان: وشهادة الأعضاء أو القوى يوم القيامة ذكرها وإخبارها ما تحملته في الدنيا من معصية صاحبه، فهي شهادة أداء لما تحملته، ولولا التحمل في الدنيا حين العمل لم يصدق عليه الشهادة، ولا تمت بذلك على العبد المنكر حجة وهو ظاهر. (٦٤٠)

وحيثما نأتي إلى الأبحاث والدراسات الحديثة نجدها تثبت هذه الحقيقة، فقد لاحظ العلماء في السنوات القليلة الماضية ومنهم (الدكتور كلارك أوتلي) أن هنالك ذاكرة طويلة لهذا الجلد، حيث قال هذا العالم: ربما يكون أكثر أجزاء الجسم الذي تملك ذاكرة طويلة هو الجلد، فالأحداث التي تمرّ على الإنسان والأشياء التي يقوم بها الإنسان جميعها تختزن في سجلات خاصة داخل خلايا جلد الإنسان، لأن هذا الجهاز (جهاز الجلد) يغطي تقريباً كل مساحة جسم الإنسان، لذلك فهو مثل الرادار يستقبل هذه المعلومات (يستقبل البيانات) ويخزنها، حتى إن الإنسان يموت وتبقى هذه الذاكرة موجودة في خلايا جلده.

وعندما حلل العلماء هذا الجلد وجدوا أنه يتألف من طبقات، وأن من مهام طبقات الجلد وخلايا الجلد ليس مجرد الحفاظ على الجسد، أو التعرق أو حماية الجسم من المؤثرات الخارجية.. لا.. هنالك عمل آخر وهو أن هذا الجلد يقوم بتخزين هذه المعلومات وإبقائها لفترات طويلة، ووجدوا أيضاً أن هذه

الخلايا تتأثر بالترددات الصوتية، بل إن خلايا الجلد تصدر ترددات صوتية أيضاً، ولكن هذه الترددات لا نسمعها، لأنها تحتاج إلى أجهزة حساسة جداً لالتقاط هذه الذبذبات الصوتية. (٦٤١)

أقول: ربما هذه الترددات الصوتية التي لا نسمعها في الدنيا، ربما هي شهادتها التي سنسمعها في الآخرة لكون إدراك حواسنا محدود بنطاق في الدنيا، ولكن لما ننتقل لعالم الآخرة سيكون إدراكها أقوى بكثير مما هي عليه في الحياة الدنيا، كما هو الحال في البصر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٦٤٢)

ثانياً: إن الأمر يكون كما في حال الشجرة التي أوجد الله تعالى فيها الصوت وأسمعه موسى عليه السلام. ولكن بعض المفسرين ضعفوا هذا الاحتمال، ومنهم صاحب تفسير الأمل الذي قال: إن احتمال أن تنطق الأعضاء بإذن الله تعالى دون أن يكون لها شعور بذلك أو يظهر منها أثر تكويني بعيد ظاهراً، لأنه في مثل هذه الحالة لا تعتبر الحالة مصداقاً للشهادة التشريعية ولا مصداقاً للشهادة التكوينية، فلا عقل هناك ولا شعور، ولا الأثر الطبيعي للعمل، وسوف تفقد قيمة الشهادة في المحكمة الإلهية الكبرى. (٦٤٣)

ثالثاً: شهادتها تتجسد بتمثيل الأعمال التي ارتكبتها. مثال ذلك: ظالم قتل شخصاً بطعنة سكين، فيوم القيامة سوف تشهد يده على جريمته بأن تعيد تمثيل نفس الحركة والعمل.

يقول السيد الطهراني في كتابه معرفة المعاد، معقبا على قوله تعالى: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. ما نصه: ولا يعني ذلك -بطبيعة الحال- أن الأيدي والأرجل سيصبح لها لسان كلساننا فتحدث صوتاً ونطقاً، بل شهادتها هي إظهارها للوجود وجعلها تمثل الأعمال التي اجترحتها حين كانت هذه الأعضاء حيّة ومتحركة. (٦٤٤)

سؤال (٣): ألا يمكن للإنسان أن ينكر ارتكابه للمعصية يوم القيامة، ليفلت من العقاب؟

الجواب: لا مجال للإنكار، لأن الشهود كثير، ولو افترضنا أن الشهادة الوحيدة هي الأعضاء، فهي تكفي؛ لأن بمجرد الإنكار سوف يختم الله على فمه، وسوف تشهد بالحقيقة بقية الأعضاء، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٦٤٥).

مثال ذلك: لو أنكرت المتبرجة تبرجها وسفورها، فسوف يختم الله على فمها، وسوف تشهد الأعضاء بأنها عصت الله بالتبرج من أجل جذب انتباه الرجال الأجانب وإغراءهم... فسيشهد الجلد أنه تم صبغه بمساحيق التجميل، والشفاه بأنه تم تكبيرها، والجلد بأنه لم يستر بثوب فضفاض بل بثوب ضيق يبرز مفاتنه. وأصابع اليد على تركيب الأظافر وصبغها، والأرجل على عدم ارتداء الجورب السميك أمام الرجال الأجانب.

وإذا كانت المرأة غير عفيفة ولها علاقات غير شرعية، فسيشهد الجلد والفرج على ذلك، وأصابع اليد بالمصافحة واللمس، بل حتى بالكتابة المحرمة. وأرجلها ستشهد بالخطوات التي سعتها من أجل الخروج للقاء الرجل الفاسق. وبعد شهادة كل الأعضاء عليها، يسمح لها بالكلام، فلا تملك جواباً، فتدخل النار.

وإذا حاولت الاحتجاج وقالت: (بأنني معذورة لأنك خلقتني جميلة)، فسيحتج الله عليها بالمؤمنات العفيفات الجميلات مثل: مريم بنت عمران عليها السلام، وإذا احتج رجل فاسق على الله بجماله وانجذاب النساء إليه، فيكسر الله حجته بنبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي لجماله قَطَّعَتِ النِّسوةَ أَيْدِيَهُنَّ،

ولكن حينما رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٦٤٦).

وإذا حاول أحد إنقاذ نفسه بحجة أنه جاهل بالحكم، فسوف يحتج الله عليه لتقصيره في التعلّم، فقد روي عن جعفر بن محمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿ **فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ** ﴾ ^(٦٤٧)، فقال: إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالماً؟ فإن قال: نعم، قال له: أفلا عملت بما علمت؟ وإن قال: كنت جاهلاً، قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل؟ فيخصمه، فتلك الحجة البالغة. ^(٦٤٨)

إذن لا مفرّ من إتمام الحجة علينا، ومن الفضيحة.

تخيّلوا لو أن أحدنا كان يعصي الله سرّاً، فإذا أنكشف سره أمام أهله سيخجل ويطأطئ رأسه ويحاول أن يتوارى عنهم، فكيف إذا فُضح أمام عشيرته ومجتمعه؟

أقول: فكيف به حين يفتضح يوم القيامة أمام كل الخلائق من الجن والأنس؟! ...

أعاذنا الله وإياكم من ارتكاب المعاصي، ومن الإصرار عليها، ومن الفضيحة.

لذا هلموا بنا لنفتح صفحة جديدة ... ونتقي الله، ونستثمر أيام حياتنا بالاستغفار والتوبة النصوح كي لا تشهد علينا الأعضاء والجوارح ولا بقية الشهود ولا نُفتضح.

قد يقول أحدكم: وهل التوبة النصوح قادرة على إيقاف شهادة الشهود يوم القيامة؟

الجواب: نعم، فقد روي عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة قلت وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسي ملكيه ما كتب عليه من الذنوب، وأوحى الله إلى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه، وأوحى إلى بقاع الأرض اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء

يشهد عليه بالذنوب.^(٦٤٩)، حتماً سيسأل أحدكم عن التوبة النصوح!

أقول: يذكر العلماء بأن التوبة النصوح يجب أن تتوفر فيها أربعة شروط: الندم الداخلي، الاستغفار باللسان، ترك الذنب، والتصميم على الاجتناب في المستقبل^(٦٥٠)، قيل لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما التوبة النصوح؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ندم بالقلب واستغفار باللسان والقصد على أن لا تعود».^(٦٥١)

وأما إذا لم نتب، وتمادينا في المعاصي فسنتضح أمام الخلائق، وسيكون مصيرنا مصير الطواغيت الجابرة، يقول علي بن إبراهيم القمي في تفسيره معقبا على هذه الآية الكريمة: «حَتَّى إِذَا مَا جَاؤَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٦٥٢)، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ يَعْرِضُ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فَيُنْكِرُونَهَا فَيَقُولُونَ مَا عَمَلْنَا مِنْهَا شَيْئاً، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَتَبُوا عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، فَقَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَيَقُولُونَ لِلَّهِ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ مَلَائِكَتِكَ يَشْهَدُونَ لَكَ ثُمَّ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً وَ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ»^(٦٥٣) وَ هُمْ الَّذِينَ غَضَبُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْتِمُ اللَّهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَ يُنْطِقُ جَوَارِحَهُمْ فَيَشْهَدُ السَّمْعُ بِمَا سَمِعَ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ وَ يَشْهَدُ الْبَصَرُ بِمَا نَظَرَ بِهِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ تَشْهَدُ الْيَدَانِ بِمَا أَخَذَتَا وَ تَشْهَدُ الرَّجُلَانِ بِمَا سَعَتَا فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ يَشْهَدُ الْفَرْجُ بِمَا ارْتَكَبَ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ...»^(٦٥٤)

ومن هؤلاء الذين سيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد هم الطواغيت الجابرة الظلمة، أعداء آل محمد ومنهم هارون اللارشيد (لعنه الله) ظالم وقاتل صاحب الذكرى الإمام السابع موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي ستشهد عليه كل الشهود من شهادة الأرض والزمان والملائكة والصحف والأعضاء والجوارح والنبي محمد ص، وأيضا سيدشهد عليه بنفسه الإمام موسى الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ على الظلمات العديدة المفجعة...

يا ترى على ماذا سيشهد عليه الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

❁ سيشهد عليه حينما أصدر اللعين حكمه إلى الشرطية باعتقاله، فجاؤوا يبحثون عن الإمام أين هو؟ فوجدوه قائماً يصلي عند قبر جدّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقطعوا عليه صلاته، ولم يمهلوه من إتمامه، وحُمِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ من هناك إلى سجن البصرة مقيّداً بالحديد، وعيناه تسيلان دموعاً، وهو يقول: إليك أشكو يا رسول الله.

❁ سيشهد عَلَيْهِ السَّلَامُ بما جرى عليه في سجن البصرة عند عيسى بن جعفر، مقفلاً عليه السّجن، لا يفتح له إلا للطهور، وإدخال الطّعام. وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يقضي أوقاته في السجن بالعبادة والتضرع إلى الله وسمع يقول: اللهم إنك تعلم أنني كنت أسألك أن تفرّغني لعبادتك اللهم فلقد فعلت فلك الحمد.

وبعد مدّة، طلب عيسى بن أبي جعفر من اللارّشيد نقل الإمام إليه، وإلا أطلق سراحه، لأنّه ما رأى من الإمام إلا العبادة والبكاء من خشية الله، فقبل الطّاغية قول عيسى، ونقل الإمام إلى بغداد مقيّداً، تحفّ به الشرطية والحراس، حتّى أوصلوه إلى بغداد، فأودع في سجن الفضل بن الرّبيع.

وكان الطّاغية يطلب بين الحين والآخر من الفضل أن يفتك بالإمام موسى بن جعفر، والفضل لم يجبه إلى ذلك.

ثم أمر هارون الملعون بنقل الإمام إلى سجن السنديّ بن شاهك في بغداد
(نصاري)

امن البصره السجن بغداد جابه

ابحديد او گيد ويدور ذهابه

ذبه ابسجن مظلم غلگ بابه

او نهه السجن يمه الناس يصلون

(مجردات)

عجيبه امصيبته والله عجيبه**من سجن السجن ظالم يجيبه****او كبده امن الولم زايد لهيبه**

وكان السّنديّ عدوّاً لآل محمّد، ناصبياً قاسي القلب، ومع ذلك أمر هارون السّندي بالتّضييق على الإمام، وتقييده بثلاثين رطلاً من الحديد، وأن يقفل عليه الأبواب، ولا يدعه يخرج. فامتثل السّنديّ أمر الطّاغية هارون، فوضعه في طامورة لا يعرف فيها اللّيل من النّهار، وأوثقه بالحديد حتّى أثر ذلك الحديد في جسده الشّريف. لذا ورد في زيارته: وصلّ على موسى بن جعفر، المعذب في قعر السّجون، وظلم الطّوامير، ذي السّاق المرضوض بحلق القيود.

❁ سيشهد الإمام عليه السّلام على أشدّ الآلام والأذى الذي عاناه في حبس السّنديّ، لدرجة إذا ضاق نفس الإمام، لضيق الطّامورة، يأتي إلى بابها يستنشق الهواء، فإذا رآه السّنديّ لطم الإمام على وجهه، وأرجعه إلى داخل الطّامورة.

أفي أيّ كفّ يَلِطُمُ الرّجسُ وَجْهَه**وَمَا هِيَ إِلَّا فَرْعُ لَظْمَةِ فَاطِمِ**

قيل: إنّ عليّ بن سويد اتصل بالإمام موسى بن جعفر عليه السّلام، وهو في طامورة السّنديّ بن شاهك، فسأله: سيّدي متى الفرج؟! لقد ضاقت صدورنا، قال له الإمام: الفرج قريب يا ابن سويد. قال: متى سيّدي؟ قال: يوم الجمعة ضحىّ على الجسر ببغداد. فظنّ أنّ الإمام سيفرج عنه يوم الجمعة، ولكن ما مضت تلك اللّيالي، حتّى بعث الطّاغية هارون إلى السّنديّ رطباً مسموماً، وأمره أن يقدّمه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام، فامتثل أمر طاغيته، وقدّم الرّطب إلى الإمام، وأجبره على أكله، فرفع باب الحوائج يده إلى السّماء، وقال: يا ربّ، إنّك تعلم أنّي لو أكلت قبل اليوم، كنت قد أعنت على نفسي. ثمّ تناول سبع رطبات فأكله، وقيل عشر، ثمّ امتنع. فقال له السّنديّ: زد على

ذلك. فرمقه الإمام بطرفه، وقال: حسبك، قد بلغت ما تحتاج إليه.

بعد ذلك أخذ السمّ يسري في بدنه، والإمام يعاني أشدّ الآلام في تلك الطّامورة، وأحاط به الأسى والحزن، حيث لا أحد من أهله وأحبّته عنده.

يا غلبي على الكاظم تلجم

يعيني اعليه سحيّ الدّم من دم

غريب أو بالحبس ويلوج بالسمّ

يتكلب يسار أو نوبه ايمين

بقي الإمام على هذه الحالة ثلاثة أيّام، وبينما هو يسمع أحسن الكلام وأغلظه من السنديّ بن شاهك، وهو في تلك الحالة، حتّى دعا بشربة فشربه، ثمّ تغيّر وجه الإمام من لون إلى آخر، وعرق جبينه، وسكن أنينه، ومدّ يديه ورجليه، وفارقت روحه الدّنيا...

رحم الله من نادى: وا إماماه، وا سيّده، أي وا مسموماه.

(مجردات)

هلن دمه ابدال الدمع يعيون

على الگوّض غريب ابسجن هارون

امگيد بالحديد او زرگ المتون

چاوين هاشم ما يحضرون

الجثة الكاظم خل يشيعون

وفي رواية أنّهم لقّوه في بساط وأمر الفرّاشون أن يقعدوا عليه حتّى قضى..

غمض اعيونه اومد رجله وايديه

ومن الألم جسمه نحل والقلب ذاب

وقام الإمام الرضا عليه السلام بتغسيله وتحنيطه وتكفينه والصلاة عليه من حيث يخفى على الناس ذلك، وأمر السنديّ بن شاهك أن يخرجوه على نعش ويضعوه على جسر الرصافة ببغداد، وينادوا عليه: هذا إمام الرافضة فاعرفوه..

وأقام أربعة أشخاص أن ينادوا عليه- بعكس هذا النداء-: ألا من أراد أن ينظر إلى (الطيب بن الطيب) موسى بن جعفر فليخرج.. وفي رواية أنه ترك على الطريق ثلاثة أيام يأتي من يأتي فينظر إليه..

ويح قلبي للذي أمسى وحيد

بالحبس لمن قضى باسم الرشيد

بالعبا ملفوف مسلوب الثياب

على الجسر جابوه وبرجله الحديد

بالحبس قضى العمر لمن قضى

طاح ركن الدين واسودّ الفضا

يوم نادوا ذا إمام الرافضة

والعجب كل العجب منع العذاب

(أبوذية)

جف الدهر ريته اليوم ينشال

جرح غلبي ولا اظن بعد ينشال

نعش موسى عليه احمامل ينشال

او يظل فوگ الجسر ثاوي رميه

إلى أن خرج سليمان بن أبي جعفر عمّ هارون اللارشيدي، وأخذ الجنّازة منهم ووضعها على مفرق أربعة طرق وأقام من ينادي عليها: من أراد أن ينظر إلى الطيّب بن الطيّب موسى بن جعفر فليخرج.

وَقَبْرِ بَبْغَدَادَ لِنَفْسِ زَكِيَّةِ

تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِي الْغُرَفَاتِ

نعم هذا الحدث حصل في الموعد المحدّد يوم الجمعة، وعليّ بن سويد ينتظر مع باقي الشّيعه، وإذا بجنّازة قد بدا منها قيد الحديد.

يقول عليّ بن سويد: جنّت في ذلك اليوم إلى جسر الرّصافه، وإذا بجنّازة مطروحة، والمنادي ينادي: هذا إمام الرّافضة، قد مات حتف أنفه، فانظروا إليه، فجعل النّاس يتفرّسون في وجهه، يقول عليّ بن سويد: جنّت لأنظر إليه، وإذا به سيّدي ومولاي موسى بن جعفر عليه السلام وإماماه، وإماماه، وإماماه. سيّداه.

يهاشم لا حله بعيونكم نوم

يح گلي اعتب عليكم واكثر اللوم

من بغداد ما وصلتكم اعلوم

تخبركم الكاظم راح مسموم

فأخذ عليّ بن سويد بالبكاء والنّحيب عند رأس الإمام، فبينما هو كذلك، إذ مرّ به طبيب نصرانيّ، كانت بينهما صحبة، فقال له ابن سويد: أقسمت عليك بالمسيح إلا ما رأيت سبب موت هذا المسجّي، قال: اكشف لي عن باطن كفه، فكشف له عن باطن كفّ الإمام، فأخذ ينظر فيها ويهزّ رأسه، قال ابن سويد: أخبرني ما رأيت؟ قال: يا ابن سويد، هل لهذا الرّجل من عشيرة؟ قال: بلى، هذا موسى بن جعفر سيّد بني هاشم، قال: يا ابن سويد، ابعث إلى أهله

فليحضروا، وليطلبوا بدمه، فإنّه مات مسموماً.^(٦٥٥)

(نصاري)

ألف يا حيف ألف وأكثر وسافه
وطيب الكلب ابچفك وشافه
يظل نعشك على جسر الرصافه
ايگول اولاه عشيره الهاذ تظهر

(مجردات)

يا عين سيلبي الدمع غدران
الباب الخوايج سر الأكون
او يا گلب ذوب ابناار الأحزان
وسافه اعله موسى ماله اعوان
محبوس غضه العمر ما بان
من حبس ابن شاهك السجنان
لمن سمه او چبده صار نيران
وخلاه يلوج او حيد نخلان

لمن غضه والچبد خلصان

(أبوذية)

الكاظم من حضر يمه وشاله
على السمّه انمرد چبده وشاله
على الماضلت ابعيني وشاله
او صاحوا خل تشيعه الرافضيه

حتى إليه دس سُما قاتلا

فأصاب أقصى منية ومراد^(٦٥٦)



٢٦ رَجَب

توفي سيد البطحاء أبو طالب عليه السلام

عِظَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ

المناسبة

وفاء سيّد البطحاء أبو طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ

قصيدة عصماء للشاعر محمّد المرهون

أيا سيّد البطحاءِ يا عمّ أحمدِ
ويا حامّي الإسلامِ بالنّفسِ واليَدِ
لقد خَصَّكَ الباري بحمّلِ أمانةٍ
فأدّيتهَا بالفعلِ دونَ تَرَدُّدِ
نصرتَ رسولَ اللهِ في كُلِّ مَوقِفِ
وأنقذتَهُ من كَيْدِ عَادِ ومُلجِدِ
وكنْتَ لَهُ نِعْمَ الكَفيلُ بأمرِهِ
وأقوى عِمادِ في الجِهَادِ ومُسْنِدِ
بذلتَ لَهُ مالاً وولداً وأنفُساً
وكلَّ نَفيسٍ في الوُجودِ وعَسَجِدِ
أمرتَ عَلِيّاً بالوُقوفِ وجَعفراً
إلى جَنبِهِ في كُلِّ أمرٍ ومَشْهَدِ
لقد كُنْتَ تَسْتَسْقِي الغَمَامَ بوجهِهِ
وتستدْفِعُ البَلوى بأعْظَمِ مُنْجِدِ
وما زِلْتَ تَرعاهُ وتَحْفِظُ سِرَّهُ
إلى أنْ دَنَى مِنْكَ الحِمَامُ بمَرْصَدِ
مَضيتَ على دينِ النبيِّ مُحَمَّدِ
وأنتَ سِرُّ اللهِ بالأمسِ والغَدِ

المحاضرة العاشرة

توقير كبار السن

روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَا أَكْرَمَ شَابٌ شَيْخًا لِسْنِهِ إِلَّا قَبِضَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ كِبَرِ سِنِّهِ مِنْ
يُكْرَمُهُ» (٦٥٧)

إن التقدّم في السن سُنّة من سنن الحياة والطبيعة التي لا مفر منها، حيث يتعرض لها الفقير والغني، المسؤول والسلطان والملك والوزير والأمير والرئيس والفلاح والمعلم والرجل والمرأة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٦٥٨).

يقول المفسرون: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ أي أوجدكم وأنعم عليكم بضروب النعم الدينية والدينية ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ ويقبضكم أي يميتكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي أدون العمر وأضعه أي يبقيه حتى يصير إلى حال الهرم والخرف فيظهر النقصان في جوارحه وحواسه وعقله. (٦٥٩)

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: أي الإنسان إذا أمدّ الله في عمره وصار كبيراً (سيصل إلى حال شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم). (٦٦٠)

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ يقول السيد الطباطبائي (ره): وهذا آية أن حياتكم وموتكم وكذا شعوركم و علمكم ليست بأيديكم وإلا اخترتم البقاء على الوفاة والعلم على عدمه بل ذلك على ما له من عجيب النظام منته إلى علمه وقدرته تعالى. (٦٦١)

بعبارة أخرى: إن الرد إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ يعني كبر السن، يعني ثقل الهمة، توارد

الأمراض، زهاب القوة، ورود الوهن، ضعف الحواس ..

وعندما نأتي للواقع الذي نعيش فيه نجد (أن ابن آدم الذي هو زينة الحياة الدنيا وجمالها، وبها جعله الله تعالى خليفة له، وبه أصبحت الأرض عامرة والسماء زاهرة. غير أنه إذا بلغ من الكِبَرِ عِتِيًّا وذهب رونقه وبست نضارته، قلَّ سعره وزهد فيه طالبه، وأصبح عبئاً على أهله بعد أن كان معيلاً، وهجره أقرباؤه بعد أن كان مؤنسهم، وكثرت الشكاية من أهله بعد أن كان ظلهم، فأصبح بعد أن كان صوته أماناً في البيت يتململ الأقرباء من سماعه، وأصبح من أفنى عمره في إيجاد الراحة لأهله لا يجد منهم من يملك وقتاً لمجالسته، أنساهم الزمان حسناته وهي بين أعينهم وأمسوا يشكونه عند كل قريب وبعيد.

ولنا أن نتساءل:

ما هو موقف الشريعة الإسلامية من كبار السن؟

ولماذا أوصت الشريعة الإسلامية بأن نوقر ونحترم كبار السن، وذو الشبية؟

كيف يشعر المسن حين يبلغ من الكِبَرِ عِتِيًّا؟

وكيف نفسر نفسياً الانعكاسات الشعورية لدى المسنين؟

وما هو تكليفنا تجاه كبار السن؟ (٦٦٢)

كل هذه الأسئلة وغيرها سنجيب عليها في مباحث المحاضرة.

المبحث الأول: وما جزاء الإحسان إلا الإحسان

المسنون هم أبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا وأعمامنا وعماتنا وأخواننا وخالاتنا وأجدادنا وجداتنا... هم كانوا أساتذتنا ومعلمينا، هم مشايخنا ومراجعنا، هم أطباؤنا ومهندسوننا.. إلخ

كل واحد من هؤلاء له فضل علينا.. فهم الذين ربّونا وعلمّونا وأكسبونا خبراتهم وعصارة تجاربهم وسهروا علينا الليالي والأيام من أجل إسعادنا، وفرحوا لفرحنا وحزنوا لحزننا، وبذلوا الجهود والوقت لخدمتنا ورعايتنا... هم من عبّدوا لنا الطريق، وأناروا لنا الدرب لنمشي فيه، وما زالت بصماتهم واضحة ترنو على جبين هذا الوطن الغالي...

يحكى أن أحد الملوك أعلن في الدولة، بأن من يقول كلمة طيبة، فله جائزة ٠٠٤ دينار، وفي يوم كان الملك يسير بحاشيته في المدينة، إذ رأى فلاحاً عجوزاً في التسعينات من عمره وهو يغرس شجرة زيتون. فقال له الملك: لماذا تغرس شجرة الزيتون، وهي تحتاج إلى عشرين سنة لتثمر، وأنت عجوز في التسعين من عمرك، وقد دنا أجلك؟، فقال الفلاح العجوز: السابقون زرعوا ونحن حصدنا ونحن نزرع لكي يحصد اللاحقون. فقال الملك: أحسنت ومنحه المكافأة على عبارة (زرعوا فحصدنا، ونزرع فيحصدون).

باختصار: هم أحسنوا إلينا، فوجب علينا عقلاً أن نُحسن إليهم، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾. (٦٦٣)، بل حتى لو لم يحسنوا إلينا، فالعقل يحكم بوجود الإحسان إليهم لكبير سنهم وضعفهم، كما يحنّ أحدنا على الأطفال، ولذا نرى في بلاد الكفر أن من قوانيهم تقديم الرعاية لكبار السن من تأمين المسكن والمأكل والمشرب والعلاج، وإرسال أشخاص يراعونهم في بيوتهم، أو يخرجونهم للتنزه والترويح عن النفس.

وعندما نأتي لقوانين الإسلام نجدها تأمر بكل ذلك، بل تزيد عليهم أموراً أخرى لا تقتصر على الجانب المادي فقط، بل على الجانب المعنوي أيضاً- كما سنذكره لاحقاً-، وتحت على احتضان كبير السن بأن يعيش وسط عائلته وأولاده.

السؤال المطروح: هل أحسنّا إلى كبار السن؟

الجواب: سابقاً عندما يرى الشباب شخصاً كبيراً يتعاملون معه باحترام

وتقدير وتبجيل.. يقدّمونه ولا يتقدمون عليه، ولما يتكلم يستمعون له، ولا يقاطعون، ولا ينظر للهاتف لما يكلمه الكبير، ويسألونه إذا كان بحاجة لمساعدة، ويتفقدونه وقت غيابه، وإذا غضب وانتقدهم لا يجادلونه، بل كانت صدورهم واسعة لأن يعدون وجود كبير السن بينهم مجلبة للخير والبركة، لدرجة أن بعضهم كان يستقبلهم بتقبيل يديه أو جبينه.

ولكن في السنوات الأخيرة -مع الأسف الشديد- صرنا نجد بعض الحالات التي تنذرنا بأن هذه القيمة الأخلاقية بدأت في الانحسار في بعض أوساط مجتمعاتنا ...

حيث أصبح بعض شباب اليوم ينظر إلى كبير السن نظرة استصغار وتحقير، ويشعر بأن كبير السن صار عالية وعبأ على المجتمع؛ لأنه يحتاج رعاية وسعة صدر ونوع من التفريغ، وهذه الأمور تحتاج إلى شباب يتصف بالإنسانية والرحمة والنشاط والهمة والغيرة والحمية. في حين أن بعض شباب اليوم فقدوا مثل هذه الصفات واستبدلوها بالقسوة والكسل وفقدان الغيرة والحمية.

لذا لو اطلّعنا على بعض الحالات لَوَلَّيْنَا مِنْهُمْ فِرَارًا وَمَلَّيْنَا مِنْهُمْ رُغْبًا، مثال ذلك لما يصعد كبير السن في حافلة أو قطار مزدحم بالركاب، فلا يرأف بحالة شاب ليقوم ويعطيه مكانه. وهذه الحالة تتكرر كثيرا في المجالس الحسينية، حيث تجلس الشابات على الكراسي وحينما ينظرن لامرأة كبيرة في السن محتارة في وسط المجلس، لا تتمكن من الجلوس على الأرض بسبب عمرها ووضعها الصحي، فلا يحركن ساكناً.. وحينما يُطلب من إحداهن أن تمنح مقعدها لها، ترفض وتقول: (أنا أتيت قبلها، فلماذا لم تأتِ بوقت مبكر؟!)

وعندما نخرج للأسواق نرى فقيرا كبيرا في السن يحمل أكياسا ثقيلة، يزحف بها بخطوات متثاقلة، فلا يرأف به فتى ولا شاب ليحملها عنه.

ولما يرى بعضنا كبيرا في السن واقفا في طابور طويل، وصحته متعبه، فلا

يحنّ عليه ليقدمه أمامه. أو نعلم أن هناك عجوزا فقيرة عاجزة عن العمل، فلا نرحمها ولا نتفقد أحوالها، بل هناك حالات يسيء الآخرون إليهم، كالزوجة التي تنزعج من سقوط الطعام من فم الكبير الذي يسكن معها، فتُسمعه كلمات بذيئة، ولما يمرض لا يعالجوه، ولا يهتمون بنوع طعامه ولا بثيابه ولا باحتياجاته المادية والمعنوية.

(فكم هو مؤلم ومحزن ومجحف أن تطفو «الأنانية والنرجسية» وسيطرة نمط الحياة المادية في علاقاتنا مع كبار السن وبالأخص مع أعز مخلوقاتنا وهم «الآباء والأمهات» وأن يتخلى الابن عن والديه ويضجر منهما، لدرجة إقدامه على عزلهما في دور رعاية المسنين أو بيوت العجزة، أو يقوم ببناء غرفة صغيرة لأحد والديه على سطح منزله كي يقضي ما تبقى له من العمر في تلك الغرفة.... ونتخذ بحق كبارنا عقوبة الهجر والعزل عن الجو الأسري... وننفذ فيهم حكم الإعدام ببطء.. تهرباً من صحبته وهو في خريف العمر وفي أشد ما يكون إلى مؤانسة الأبناء والأحفاد ليخففوا عنه شيخوخته.

لذا انتشرت هذه الأيام دور المسنين بشكل ملحوظ وكثرت حالات التخلص من الخير والبركة من الآباء والأمهات.... مما ترك جروحا عميقة لم تندمل في نفوس بعض الآباء والأمهات.

لقد أصبح الكبير اليوم غريباً حتى بين أهله وأولاده.. ثقيلاً حتى على أقربائه وأحفاده... تربطنا به زيارات موسمية.... ومشاعر وقتية.... فهل هذه مكافأة نهاية المشوار..... نهاية التضحية؟؟^(٦٦٤)

المبحث الثاني: حقوق كبار السن في الشريعة

لقد نظمت الشريعة الإسلامية العلاقات الاجتماعية ما بين الناس، عن طريق تشريع حقوق اجتماعية متعددة، كحقوق الوالدين، والأبناء، والأقارب،

والزوجين، والجار، والصديق، والمعلم والمتعلم، والصغير والكبير، والذي يهمننا هو الوقوف على (حق الكبير)

إن الشريعة الإسلامية أمرتنا بتَوْقِيرُ كبير السن، وذي الشيبة.

وحتى نفهم هذه العبارة لنقف على مفردات هذا الحق، وهي كالآتي:

ما المقصود بـ(كبير السن)؟

الجواب: نقصد بكبير السن: الإنسان الكبير في السن سواءً كان هذا الكبير أباً أو أما، أو قريباً، أو جاراً، أو أجنبياً، رجلاً أو امرأة، مسلماً أو كافراً.

وقصة الإمام عَلِيٍّ السَّلَامُ مع النصراني المكفوف مما يؤيد شمول ذلك لغير المسلمين أيضاً: حيث كان الإمام عَلِيٌّ السَّلَامُ في شوارع الكوفة.. فمر بشخص يتكفف وهو شيخ كبير السن، فوقف عَلَيْهِ السَّلَامُ متعجباً وقال (عليه الصلاة والسلام): ما هذا؟ ولم يقل من هذا، و(ما) لما لا يعقل، و(من) لمن يعقل، أي أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى شيئاً عجيباً يستحق أن يتعجب منه، فقال أي شيء هذا؟

قالوا: يا أمير المؤمنين إنه نصراني قد كبر وعجز ويتكفف.

فقال الإمام عَلِيٌّ السَّلَامُ: ما أنصفتموه.. استعملتموه حتى إذا كبر وعجز تركتموه، أجرؤا له من بيت المال راتباً. ^(٦٦٥)

مع ملاحظة أن لا يترتب على توقير الكبير ودعمه تشجيعه على ارتكاب المحرمات.

ما المقصود بـ(ذي الشيبة)؟

ذو الشيبة يعني بياض الشعر، تعبيراً عن الشَّيْخوخة وكبر السن.

ما المقصود بـ(التوقير)؟

الجواب: التوقير بمعنى تَعْظِيمُهُ، وتَبْجِيلُهُ، واحْتِرَامُهُ، والرفق به، والسعي في خدمته، والإعراض عما صدر عنه لسوء خلقه لكبر سنه وضعف قوته.

ونَهتِنَا الشريعة عن الاستخفاف به، وأذيته وظلمه وخذلانه. فرغم أن هذه العناوين منهي عنها مع كل المراحل العمرية، ولكن يشتد التأكيد عند كبر سن الإنسان ودخوله في مرحلة الشيخوخة.

ولما نتصفح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ، نجدُه يفصّل في بيان هذا الحق قائلاً: وَأَمَّا حَقُّ الْكَبِيرِ فَإِنَّ حَقَّهُ تَوْقِيرُ سِنِّهِ وَإِجْلَالُ إِسْلَامِهِ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي الْإِسْلَامِ بِتَقْدِيمِهِ فِيهِ وَتَرْكُ مُقَابَلَتِهِ عِنْدَ الْخِصَامِ وَلَا تَسْبُقُهُ إِلَى طَرِيقٍ، وَلَا تُوَمِّهُ فِي طَرِيقٍ وَلَا تَسْتَجْهِلُهُ. وَإِنْ جَهَلَ عَلَيْكَ تَحَمَّلْتَ وَأَكْرَمْتَهُ بِحَقِّ إِسْلَامِهِ مَعَ سِنِّهِ فَإِنَّمَا حَقُّ السِّنِّ بِقَدْرِ الْإِسْلَامِ. وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(إن الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يوصي بجملة من الوصايا الأخلاقية التي تركز على بعض الممارسات السلوكية والآداب الاجتماعية المهمة في التعامل مع الكبير. وهي:

أولاً: ترك محاججته ومجادلته ومواجهته، فالكبير غالباً ما يصر على رأيه، ويصعب تغيير قناعاته، لذا لا بد من مداراته ومسايرته احتراماً لشيبته، خصوصاً في الأمور التي لا تقع في دائرة الحق والباطل، وإنما في مساحة الاختلافات المسموحة.

ثانياً: عدم تجاوزه أو التقدم أمامه في الطريق. ويمكن بالطبع استئذانه لذلك عند الضرورة.

ثالثاً: عدم استجهاله، والمقصود بالاستجهال هو الاستخفاف به أو اعتباره جاهلاً مما يشكل إهانة لكرامته وأذى نفسياً له. وهذا ما قد يفعله بعضهم بمجرد امتلاكه شيئاً من العلوم التي لا يكون الكبير ملماً بها مثلاً.

فالمطلوب التواضع في كل الأحوال، وإعطاء الكبير الاعتبار المعنوي المناسب.

رابعاً: تحمله واستيعاب ما يصدر منه من زلل، بل عليك أن تذهب إلى أبعد من ذلك بمقابلة جهله بالإكرام تعظيماً لحق سنه مع إسلامه.

كم نحن بحاجة ماسة لمراجعة هذه النصوص لخلق لغة تفاهمية رصينة بين الأجيال التي توقر الكبير وترحم الصغير).^(٦٦٦)

السؤال الذي ينبغي طرحه هو: ما هي الآثار الدنيوية والأخروية العظيمة المترتبة على توقير كبير السن؟

الجواب: الآثار عديدة، ونذكرها في النقاط الآتية:

١. يقابل إحسانه بالإحسان بأن يُكرم عند كبير سنه، فقد روي عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخاً لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ كِبَرِ سِنِّهِ مِنْ يُكْرِمُهُ». ^(٦٦٧) إِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ عَامَّةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ، رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَمَا تَدِينُ تَدَانُ». ^(٦٦٨)

وبالأخص حينما يكون كبير السن هو الأب أو الأم، بمعنى إذا بر والديه فسوف يبره أولاده، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «بَرُوا آبَاءَكُمْ تَبْرَكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ». ^(٦٦٩) ولكن الذي يستخف بكبير السن، كمن يعق والديه فسوف يعاقبه الله تعالى بأن يسلط عليه من يستخف به قبل موته كأن يكونوا أولاده، روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَمَنْ اسْتَخَفَ بِمُؤْمِنٍ ذِي شَيْبَةٍ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَنْ يَسْتَخَفُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ. ^(٦٧٠)

قد يرد هذا السؤال: أنا بارةٌ بوالديّ، وقد إعتنيت بهم إلى أن ماتوا وهم راضون عني، ولكن لديّ ولد عاق لم يبرني، فلماذا لم تنطبق عليّ قاعدة (كما تدين تدان)؟

الجواب: القاعدة تنطبق على الأغلبية، ولكن لكل قاعدة استثناء، فمن

الممكن أن يكون الأب طائعاً لوالديه، ومع ذلك يعقّه أبناؤه؛ إمّا بسبب عدم التربية الحسنة الصحيحة لهم، وربّما بسبب معاصٍ يرتكبها الأب أو الأم، فيكون جزاء ذلك العقوق، وقد لا يكون من ذلك شيئاً، وإنّما ابتلاءً من الله -تعالى- واختباراً لصبر الأب أو الأم وثباتهما، والمسلم مأمورٌ بطاعة والديه، سواءً كانا عاقين بوالديهما أم لا، ومأمورٌ بحُسن معاملتهما ولو كانا غير مسلمين. (٦٧١)

٢. وجود كبير السن فيه البركة، فقد روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: البركة مع أكبركم، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الشيخ في أهله كالنبي في أمته». (٦٧٢)

٣. الأمان من الفزع الأكبر يوم القيامة: روي عن رسول الله الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من وقّر ذا شيبة في الإسلام آمنه الله عزّ وجلّ من فزع يوم القيامة». (٦٧٣)

إن مواقف يوم القيامة شديدة، تدخل الخوف والفزع في قلوب الناس، فقد روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد وهم حفاة عراة، فيوقفون في المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً وتشتد أنفاسهم، فيمكثون في ذلك خمسين عاماً وهو قول الله: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾. (٦٧٤)

فلذا نحن بأمس الحاجة في ذلك اليوم إلى رحمة الله، ومن الأعمال التي تؤمن فزعنا هو توقير كبار السن، بينما الذي يفزع كبير السن في الدنيا فسوف يفزعه الله في الآخرة.

٤. يكن من رفقاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الجنة، فقد روي عن أنس قال: «أوصاني رسول الله بـخمسة خصال فقال فيه: ووقر الكبير تكن من رفقائي يوم القيامة». (٦٧٥)

٥. إن إجلال كبار السنّ، إجلال وتعظيم لله تعالى، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من إجلال الله ذي الشيبة المسلم». (٦٧٦)

بيان: معنى إجلال ذي الشيبة أي تعظيمه وتوقيره واحترامه، والإعراض عما صدر عنه من سوء خلق، لكبر سنه وضعف قوته لا سيما إذا كان أكثر تجربة وعلماً وأكيس حزماً وأقدم إيماناً وأحسن عبادة.

وهذا التعظيم لكبير السن يعدّ تعظيماً لله لأن تعظيم أوامره سبحانه تعظيم له تعالى. (٦٧٧)

٦. إن إكرام ذي الشيبة هو إكرام لله تعالى: روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من إجلال الله عزّ وجلّ إجلال المؤمن ذي الشيبة، ومن أكرم مؤمناً فبكرامة الله بدأ». (٦٧٨)

٧. عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عرف فضل شيخ كبير فوقره لسنه آمنه الله من فزع يوم القيامة، وقال: من تعظيم الله عز وجل، إجلال ذي الشيبة المؤمن». (٦٧٩)

بينما الذي لا يوقر كبير السن ويستخف به، فسوف يخسر الآثار التي ذكرناها بالإضافة إلى أنه سيعد مخالفاً لنهج الرسول وآله، روي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا». (٦٨٠). أي: ليس على طريقتنا وهدينا وسُنَّتِنَا، من لم يوقر الكبير.

ومعلوم من يفعل ذلك فسينال بغض محمد وآله، فقد روي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، أنه قال: «ألا وإن أبغض الناس إلى الله عز وجل من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله». (٦٨١)

وأيضاً أن من يجهل حقّ كبار السن يعدّ منافقاً، ففي الحديث عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ثلاثة لا يجهل حقهم إلا منافق معروف بالنفاق: ذو الشيبة في الإسلام، وحامل القرآن، والإمام العادل». (٦٨٢)

المبحث الثالث: المرتكزات النفسية لدى المسن

هنالك عدة مرتكزات تمثل البنية الأساسية للشعور النفسي لدى كبير السن يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١. يرى كبير السن أن دوره في الحياة يتقلص شيئاً فشيئاً نتيجة لعجزة البنيوي وكذلك لضعف حواسه بشكل عام، مما ينعكس فعليا على ردود أفعاله المباشرة وغير المباشرة.

٢. الوحدة من المرتكزات الأساسية التي تساهم في تغير المزاج والتصور العام لدى المسن وانطوائه، مما حدى ببعض الدراسات الى عد الشريك بالنسبة الى المسن من أساسيات رفع مستوى النشاط النفسي والرغبة في الانسجام حتى إذا كانت الرغبة الجنسية منتفية، غير أن القرب الفيزيائي بين جسم المسن وجسم شريكه يساعد في عملية الاستقرار النفسي.

٣. بسبب ضعف حواس المسن وبطء حركته يضعف التواصل بينه وبين محيطه مما يخلق فيه شعور أنه غير مرغوب به، أو أنه أمسى يشكل ثقلا على عائلته.

٤. لدى المسن يقين أنه وصل إلى أواخر العمر، والمرحلة التي تلي لابد أنها مرحلة الموت. هذا الشعور كثيرا ما يؤرق المسن ويخلق في نفسه الشرود والحرص الشديد على نفسه، مما يجعل عملية التفاهم معه أكثر تعقيدا.

٥. بسبب الطبيعة العامة للمجتمع في الانشغال في الأعمال اليومية يبقى المسن مدة طويلة كل يوم في بيته وحيدا ليس برفقته أحد بسبب انشغال الأبناء والعائلة بأعمالهم اليومية الاعتيادية، مما يخلق في نفس المسن رغبة جذب انتباههم من خلال الادعاءات المختلفة التي يحاول بها خلق محيط أقرب وتفاعل أكثر معه، كأن يدعي المرض، أو الإساءة من أحد، أو فقدان شيء، لذا ينبغي أن ينتبه الأهل لذلك ليهتموا به.

٦. لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن المسن كل وقته فراغ لا يستطيع استغلاله بوسائل ملء الفراغ كالقراءة أو الرياضة أو النزهة، وذلك بسبب ضعف أجهزته الحسية والعضلية ما يدفعه الى التعلق بذكريات عمره ومراجعتها كل يوم ليستأنس بها.

غير أن التعلق بالذكريات، له أثر كبير على المسن يتمثل في النقاط الآتية:

أولاً: إن بعض تلك الذكريات التي تمر على المسن تجعله يندم كثيراً على عدم استغلالها أو صدورها منه في أيام حياته أو ندمه بأنه لم يستثمرها بشكل جيد مما يؤزم حالته النفسية ويدفعه للاكتئاب والانطواء.

ثانياً: إن بعض تلك الذكريات كانت من أجمل أيام العمر لدى المسن، مثلاً (كون المسن قائداً أو شاعراً أو محط أنظار أقرانه في أي مجال) مما يخلق الأسف والندم الشديد في نفسية المسن أنه أمسى بهذا العجز بعد أن كان بتلك القوة والإبداع والنشاط، وهذا أيضاً يدفع بحالة المسن النفسية إلى العصبية وعدم الرضا عن الآخرين.

ثالثاً: إن بعض تلك الذكريات كانت دافئة، اجتمع فيها الأحبة في جو يملأه الأمان والسعادة، غير أن السنين لم تترك من أولئك من هو موجود فعلاً، أيضاً هذا الشعور يدفع المسن الى كره الواقع المعاش ورغبته بالموت.

رابعاً: هنالك أخطاء كبيرة، ارتكبها المسن في حياته (كتزويج ابنه او ابنته لشخص ليس بكفو) فعندما تمر هذه الذكريات، يتمنى المسن لو أنه لم يفعل ذلك ويعيش بشعور بغضه لنفسه وندمه على فعله، وهذا أيضاً ينعكس على سلوك المسن الظاهري.

وبسبب قلة نشاط المسن وخمول الجسم لديه فان هناك الأم في مناطق كثيرة تنتاب المسن مما يجعل توهمه للأمراض كبيراً، فبمجرد سماعه بأي مرض فإنه يحاكي أعراض ذلك المرض مقتنعاً بأنه أصيب به، وهذا العامل أيضاً يعد من عوامل تغير نفسية المسن.

إن اللحظة التي يشعر بها المسن بالسعادة هي اللحظة التي يكون فيها المسن، متحدثاً الى من يسمعه عن حياته السابقة، وكيف أنجز عمله في سنين عمره، هذه السعادة سببها شعور المسن أنه لا يزال مؤثراً في مجتمعه وأنه لا يزال يملك القيمة في محيطه.^(٦٨٣)

المبحث الرابع: طرائق التعامل مع كبار السن وكيفية تطبيقها

توجد عدة طرائق يساعد اتباعها على تسهيل التعامل مع المسنين، نذكر منها النقاط الآتية:

١. التعامل معهم بالرحمة والصبر والاحترام: فمن السهل أن يفقد الإنسان صبره عند التعامل معهم وخاصةً إن لم يكن المسن متقبلاً للمساعدة من أحد، وقد يجد الإنسان صعوبة في مساعدة الشخص المريض، لكن يجب أن يتحلّى بالصبر ويكون رحيماً به قدر الإمكان.

٢. سؤال المسنين عن احتياجاته بشكل دائم: فلا يجب أن يفرض أحد على المسنين، تطبيق نظام معيّن في حياتهم؛ بل يجب أن يسألهم عمّا يفضلون؛ كي يشعر المسن بأهمية رغباته، وإن كان من المفترض عليه، اتباع نظام صحي معيّن؛ نتيجة حالة صحية يمر بها، فيجب أن يُشرح الأمر له بشكل يسهل عليه فهمه كي يكون متعاوناً قدر الإمكان.

٣. توجيه الأسئلة إليهم: فمن الأفضل ألا يفعل أحد شيئاً بالنيابة عنهم قبل التأكد من أنّ المسن يريد من ينوب عنه في هذا العمل كي لا يشعر أنّه عاجز ولا فائدة من وجوده؛ فينعكس ذلك سلباً على حالته النفسية.

٤. استخدام كلمة (نحن) بدلاً من (أنت) في أثناء توجيه التعليمات إلى المسنين: فغالباً لا يشعر المسن بالراحة عند توجيه التعليمات إليه؛ لذلك بدلاً من أن تقول له: «عليك تناول الطعام الآن» يُفضّل أن تقول: «علينا أن نتناول طعامنا الآن»، أو مثلاً بدلاً من قولك: «عليك الخروج لاستنشاق هواء

نظيف» يُفضَّل أن تقول له: «علينا الخروج لاستنشاق الهواء النظيف»؛ إذ أثبتت الدراسات أنَّ معظم كبار السن لا يستجيبون إلى الأوامر التي تُطلب منهم إذا شعروا بالإلزام والتسلُّط من أحد.

٥. ضرورة الاهتمام بسلامتهم: إذ نتيجة للعمر الذي توصَّل إليه المسن والحالة الصحية التي يعيشها لا يمكنه التحرك بسهولة كالشباب، وحتى في بعض الأحيان يصعب عليه النهوض من مكانه؛ لذلك يجب مراعاتهم وترتيب المنزل بالطريقة التي تضمن تحركهم بسلامة.

على سبيل المثال، يجب الحرص على وجود حمايات على جوانب الأدراج وعلى شرفات المنازل ليستندوا إليها فتمنع سقوطهم، بالإضافة إلى وجود الإنارة القوية في الممرات خلال الليل، وأيضاً من الممكن وضع جرس إنذار في غرفة المسن ليستخدمه في حال أراد شيئاً ولا يوجد أحد إلى جانبه في غرفته.

٦. ضرورة الاهتمام بتغذيتهم جيداً: لأنَّ الغذاء الصحي المتكامل جزء من أي علاج لجميع الناس وبمختلف المراحل العمرية وضروري لتفادي الكثير من الأمراض؛ لذلك لا بدَّ من مراجعة اختصاصي تغذية ليحدد الغذاء الذي يجب تقديمه لكبير السن، فمثلاً قد يمنعه عن تناول الحلويات أو الإكثار من الملح نتيجة لحالة صحية معينة يعاني منها.

٧. يجب الاستماع لحديثهم دون تذمُّر: فغالباً يصاب المسن بالنسيان فيُعيد الحديث عدة مرات دون الانتباه إلى ذلك، وقد يقاطع حديثك ليتحدَّث عن أمر بعيد عمَّا كنت تقول؛ لذلك عليك الصبر وعدم التذمر والضجر؛ بل إعطاؤه فرصة للفضفضة والحديث عما يريد، ومن الأفضل أن تنظر إليه وهو يحدثك كي يشعر بأهميته ولا يشعر بأنَّك مجبر على الاستماع له.

٨. عند التحدُّث إلى مسن يجب عليك مراعاة أن يكون الصوت واضحاً ومفهوماً واللغة سليمة وسلسلة: إذ يجب عدم استخدام مفردات غريبة أو غير مفهومة بالنسبة إليه.

٩. مساعدته على التعرف على مشكلاته التي يعاني منها: فقد لا يكون المسن كثير الكلام بطبعه ولا يشكو من شيء يعاني منه بسهولة؛ لذلك تحدّث إليه وتقرّب منه وأجّب عن أسئلته وحاول أن تعرف مما يعاني لتساعده على إيجاد الحلول المناسبة.

١٠. تنفيذ طلباتهم دون تذرُّم: حتى إن كثرت طلبات المسن لا يجب الضجر منه؛ بل يفضّل أن تقضي طلباته في نفس وقت الطلب كي لا يشعر بالغضب وتساءل حالته النفسية ومن ثم تسوء حالته الصحية غالباً.

١١. مشاركتهم ببعض الأنشطة البسيطة: لأنّ التواصل مع كبار السن من أفضل ما يمكن تقديمه لهم، فهم بحاجة ماسة إلى عدم الشعور بالوحدة والحزن؛ لذلك من الممكن اقتراح بعض الأنشطة للقيام بها معاً في المنزل أو خارجه بحسب حالته الصحية مثل زيارة أحد المعصومين أو الأقارب، أو مشاهدة فيلم أو القيام ببعض التمارين الرياضية أو مشاركتهم الطهي.

١٢. عدم انتظار الشكر من المسن: فقد لا تساعده ذاكرته على تذكُّر ما تبذله من جهد في سبيل راحته، وقد لا يستطيع تمييز جهودك عن جهود غيرك فيتمك بالإهمال مثلاً؛ لذلك لا تغضب من ذلك وتراجع عن تلبية حاجاته، فإنّه لا يدرك غالباً ما يحدث حوله.

١٣. عدم مناقشتهم في موضوع عجزوا عن تذكُّره سواء حدث من فترة قريبة أم بعيدة: لأنّ هذا الأمر يسبب لهم التوتر والحزن والإحساس بالعجز.

١٤. الابتعاد عن لوم المسن أو توجيه الكلام القاسي له مهما كانت حالتك النفسية سيئة: ولا يجب أن تسخر منه إن لم يستطع استخدام الأجهزة الإلكترونية الحديثة؛ لأنّ هذا الأمر يسبب لهم الإحراج الكبير.

١٥. مراعاة قضية العاطفة والأحاسيس: التي تُثار فجأة دون وجود مبرر؛ لذلك لا تسخر من مشاعرهم؛ بل عليك تقدير ذلك وتفهمه.

١٦. استشارتهم والأخذ برأيهم في بعض الأمور التي تتعلق بحياتك: وذلك لأنَّ الأهل حتى إن كانوا مسنين فإنَّهم يرغبون في أن يشعروا بأهميتهم وأهمية وجهة نظرهم في الحياة.

١٧. إن كان المسن يعاني من الخرف أو الزهايمر: فهنا تزداد المسؤوليات ويجب الحذر أكثر؛ ففي هذه الحالة يبدأ المسن بنسيان الكلمات والأسماء والمعلومات الجديدة وينسى القيام بإدارة الأنشطة المعقدة كقيادة السيارة مثلاً ومن ثم يتطور الأمر وتتأثر الوظائف الحسية والجسدية، وقد ينتهي الأمر بفقدان شديد للذاكرة ومحدودية الحركة أو انعدامها مع مشكلة في التحكم بالأعضاء أو المثانة؛ لذلك لا بدَّ من معاملته بطريقة تحد من التحديات. (٦٨٤)

هذه هي أغلب النقاط التي ينبغي على المكلف أن يراعيها مع كبير السن، والتي يترتب عليها نيل كل الآثار العظيمة المترتبة على توقيره لكبير السن، وينبغي تربية الأولاد على احترام وتوقير الكبير منذ طفولته.

ولا تنسوا أن كبار السن لهم الفضل على المجتمع وعلينا، وبالأخص إذا كانوا من الأرحام كأن يكون أباً أو أمّاً أو كل من كان له دور في رعايتنا وتربيتنا كأن يكون خالاً أو عمّاً، فهؤلاء لهم الأولوية في التوقير... ولنا في صاحب الذكرى (أبي طالب) عمّ النبي محمد ص، أسوة حسنة الذي تكفل بعد وفاة أبيه عبد المطلب رعاية النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فكفله صغيراً، وحماه كبيراً، ومنعه من مشركي قريش.

كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حُبًّا شديداً، وفي بعض الأحيان إذا رآه كان يبكي ويقول: «إذا رأيته ذكرت أخي» (٦٨٥)، وكان عبد الله أخاه لأبويه.

ولمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ مَبَشَّرًا وَمَنْذِرًا، صَدَّقَهُ أَبُو طَالِبٍ وَأَمَّنَ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ إِيمَانَهُ تَمَامَ الْإِظْهَارِ، بَلْ كَتَمَهُ لِيَتِمَّكَنَ مِنَ الْقِيَامِ بِنَصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ.

ولكن إيمان أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، من المباحث الكلامية التي اختلف فيها المسلمون، فلقد أجمع علماء مذهب الشيعة على إسلامه بل إيمانه، وإجماعهم هذا حجة، وقد وافقهم على إسلامه (رضوان الله عليه) من علماء السنّة جماعة، لكن عامّهم ذهبوا إلى القول بأنّه مات كافراً.

إن سبب أصرار المخالفين على تكفير أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو (لأنه والد علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وزوج ابنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأبو سبطيه، قاتل الكفرة الفجرة، الذي كان باب مدينة علم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله، وكان الولي، والوصي صلوات الله وسلامه عليه وعلى أبيه، وعلى الأئمة الأطهار من بنيّه).

فكان لا بدّ بنظرهم من نسبة كلّ عزيمة إليه، وإلى أبيه أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووضع الأحاديث المكذوبة في حقّهما، وتزوير تاريخهما، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً^(٦٨٦)

إن الأدلّة على إيمانه عَلَيْهِ السَّلَامُ عديدة، نختصرها بالأدلة الآتية:

١. قال الشيخ المفيد (قدس سره): «إتّفقت الإمامية على أنّ آباء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله عزّ وجل موحدون له.... وأجمعوا على أنّ عمّه أبا طالب رحمه الله مات مؤمناً، وأنّ أمنة بنت وهب كانت على التوحيد، وأنّها تُحشر في جملة المؤمنين»^(٦٨٧)

٢. قال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَانَ وَاللَّهِ أَبُو طَالِبٍ عَبْدٌ مَنَافٍ بِنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُؤْمِنًا مُسْلِمًا، يَكْتُمُ إِيمَانَهُ مَخَافَةً عَلَى بَنِي هَاشِمٍ أَنْ تُنَابِذَهَا قُرَيْشٌ»^(٦٨٨)

٣. قال أبو بصير ليث المرادي: «قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَيِّدِي إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ! فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَذَبُوا وَاللَّهِ إِنَّ إِيمَانَ أَبِي طَالِبٍ لَوْ وُضِعَ فِي كِفَّةٍ مِيزَانٍ وَإِيمَانَ هَذَا الْخَلْقِ فِي كِفَّةٍ مِيزَانٍ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى إِيمَانِهِمْ. ثُمَّ قَالَ: كَانَ وَاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

يَأْمُرُ أَنْ يُحَجَّ عَنْ أَبِي النَّبِيِّ وَأُمَّهِ وَعَنْ أَبِي طَالِبٍ حَيَاتَهُ، وَلَقَدْ أَوْصَى فِي وَصِيَّتِهِ بِالْحَجِّ عَنْهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ»^(٦٨٩)

٤. عن يونس بن نباتة، عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «يَا يُونُسُ، مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي إِيْمَانِ أَبِي طَالِبٍ؟ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، يَقُولُونَ: هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهَا أُمُّ رَأْسِهِ. فَقَالَ: كَذَبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا طَالِبٍ مِنْ رُفَقَاءِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أَوْلِيكَ رَفِيقاً»^(٦٩٠)

٥. قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ مَثَلَ أَبِي طَالِبٍ مَثَلُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أَسْرُوا الْإِيْمَانَ وَأَظْهَرُوا الشِّرْكَ، فَآتَاهُمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ»^(٦٩١)

وأما فيما يتعلق بوفاته عَلَيْهِ السَّلَامُ، تذكر كتب السيرة والتاريخ أنه لما أدخلت قريش بني هاشم الشعب إلا أبا لهب وأبا سفيان بن الحرث، فبقي القوم بالشعب ثلاث سنين، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا أخذ مضجعه وعرف مكانه، جاءه أبو طالب فأنهضه عن فراشه وأضجع ابنه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مكانه.

ونتيجة لحصار المسلمين في شعب أبي طالب تُوفِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ، في السادس والعشرين من رجب ١٠ للبعثة النبوية الشريفة، ودُفِنَ في مقبرة الْحَجُّونَ. وقيل: تُوفِّيَ في السابع من شهر رمضان ١٠ للبعثة النبوية الشريفة بشعب أبي طالب في مكة المكرمة.^(٦٩٢)

هلمنن معي أخواتي لننظر إلى توجع النبي وحزنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين سمع بموت العبد الصالح أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

روى الشيخ المجلسي قدس سره في (البحار) فقال: لما مات أبو طالب أتى أمير المؤمنين عليه السلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فأذنه بموته، فتوجع توجعاً عظيماً، وحزن حزناً شديداً، ثم قال لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إمض يا علي فتول أمره، وتول غسله وتحنيطه وتكفينه، فإذا رفعته على سريرته

فأعلمني»، ففعل ذلك أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فلَمَّا رفعه على السَّرِير، اعترضه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فرَّقَ وتحزَّن وقال: «وصلتَ رحماً، وجُزيتَ خيراً يا عم ، فلقد ربَّيتَ وكفَّلتَ صغيراً ، ونصرتَ وأزرتَ كبيراً». (٦٩٣)

فقد اعترف النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله لعمِّه المفدَّى بكفالتِه له صغيراً، وبنصرتِه له كبيراً بعد أن أعلن دعوتِه، فإنها كلمات تكفي عن كلِّ كلام، وتوجُّعٍ وحزنٍ يكفي عن كلِّ موقف، ثمَّ سمَّى عام رحيل أبي طالب والسَّيدة خديجة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِـ (عام الحزن) وهو العام العاشر من بعثته المباركة، حيث فقد عمودين من أعمدة نهضته الشَّريفة.

فليت شعري بماذا تسمَّى العقيلة زينب عَلَيْهِ السَّلَامُ عام الحادي والستين للهجرة؟ حيث فقدت كلَّ أحبَّتها، فبقيت وحيدة غريبة لا من محامٍ ولا كفيل، وكأني بها وجهت وجهها جهةً أبها أمير المؤمنين عليه السلام:

نعي

بويه عليه الليل هود

وانه حرمه وغريبه ومالي أحد

وشيال حملي راح وابعد

بيمن يبويه الـكـلب يضمد

بابن والدي العباس ما رد

والحسين هل عندي امدد

(أبوذية)

يناعي بحزن صبح ابصوت وليان

يحيدري مطوع الإنس واليان

تره زينب بگت من غير وليان

تحشم وينكم يهل الحميه

(طور التخميس)

تدعو أبها أمير المؤمنين ألا

يا والدي حكمت فينا رعايانا

وغاب عنا المحامي والكفيل فمن

يحمي جمانا ومن يؤوي يتامانا

إن عسعس الليل وارى بذل أوجهنا

وإن تنفس وجه الصبح أبدانا

ندعو فلا أحد يصبو لدعوتنا

وإن شكونا فلا يصغي لشكوانا

قم يا علي فما هذا القعود وما

عهدي تغض على الأقداء أجفانا (٦٩٤)



٢٧ رَجَبٌ



المبعث النبوي الشريف



أَسْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَكُمْ



المناسبة

الصبغت النبوي الشريف

القصيدة للشاعرة: أم باقر العارضي

طَلَعَ الصَّبَاحُ فَأَشْرَقَتْ دُنْيَانَا
 وَأَتَتْ بَشَائِرُ خَيْرِهِ إِعْلَانَا
 بُعِثَ الْحَبِيبُ فَيَا قُلُوبَ اسْتَبْشِرِي
 جَاءَ الْأَمِينُ إِلَى الْوُجُودِ أَمَانَا
 وَأَتَى بِآيَاتِ الْكِتَابِ مُطَهَّرًا
 لِلرُّوحِ يَجْلُو الرِّينَ وَالْأَذْرَانَا
 هُوَ رَحْمَةٌ مِنْ رَبَّنَا قَدْ أُرْسِلَتْ
 لِلْعَالَمِينَ فَحَرَّرَ الْإِنْسَانَا
 قَدْ جَفَّ قَبْلَ مَجِيئِهِ نَهْرُ الْهُدَى
 فَجَرَتْ يَنَابِيعُ التَّقَى أَلْوَانَا
 قَدْ جَاءَ يَحْمِلُ هَدْيَهُ مُتَفَانِيًا
 أَدَّى الرِّسَالَةَ حِكْمَةً وَبَيَانَا
 فَاغْشَوْشَبَتْ جُلُّ النُّفُوسِ بِفَيْضِهِ
 إِذْ أَعْلَنْتُ تَسْلِيمَهَا إِذْعَانَا
 وَأَتَمَّ دِينَ الْحَقِّ نَافِحَ مُخْلِصَا
 جَعَلَ الْأَمِيرَ لِدِينِهِ مِيزَانَا
 فَبِحَقِّ هَذَا الْيَوْمِ عَجَّلْ رَبَّنَا
 بِظُهُورِ مَهْدِيٍّ لَنَا يَرَعَانَا
 كَحَلِّ عُيُونِ التَّائِقِينَ لِنُورِهِ

أَطْفِئْ بِقَلْبِ مُتَيْمٍ نِيرَانَا
 وَأَقِمْ بِهِ عَدْلًا تَطَاوَلَ فَقْدُهُ
 وَادْحَضْ بِهِ الطَّاغُوتَ وَالشَّيْطَانَ
 أَرِنَا إِلَهِي كَيْفَ يُحْيِي شِرْعَةً
 وَيَقُودُ بِاسْمِ مُحَمَّدٍ رُكْبَانَا
 وَيَعُودُ لِلدُّنْيَا الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى
 وَيَكْرُأُ آلَ الْبَيْتِ يَا بُشْرَانَا
 نَصْطَفُ خَلْفَ إِمَامِنَا فِي مَسْجِدِ
 وَنَرَاهُ يَخْطُبُ حَيْثَهَا وَيَرَانَا
 فَتَفِيضُ أَدْمُعَنَا لِفَرْطِ سَعَادَةٍ
 وَنَقُولُ حَمْدًا لِلَّذِي أَنْجَانَا
 وَنَطُوفُ أَرْجَاءَ الْبِلَادِ بِذِكْرِهِ
 نَنْسَى بِهِ مِنْ أَمْرِنَا مَا كَانَا
 يَا رَبِّ بِالْمَبْعُوثِ إِنَّا نَرْتَجِي
 حَاشَا تُخَيِّبُ رَاجِيًا حَيْرَانَا
 عَجَّلْ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ فَرَجَ الَّذِي
 بِيَمِينِهِ بَعْدَ الْجَفَافِ سَقَانَا

المحاضرة الحادية عشرة

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران/٩١.

مباحث الآية الكريمة

المبحث الأول: الحاجة إلى الدين

لقد توصل الباحثون في تاريخ الأديان إلى أنّ الإنسان بحاجة إلى الدين والتعبّد من قديم الزمان، فكما أنّ الإنسان لا يستطيع أن يحيا بلا غذاء يحفظ به ذاته، وبلا زواج يحفظ به نوعه، فكذلك فلا يستطيع العيش بلا دين وتعظيم وتقديس لإله، أي أنّ الدين من الأمور الضرورية للإنسان والمغروسة فيه، فوجود الله تعالى من الأمور البديهية التي يدركها الإنسان بفطرته وطبيعته، والدين ينمو ويرتقي عند الإنسان بحسب البيئة والظروف المحيطة به. (٦٩٥)

إن الدين له فوائد كثيرة، ومن أجلّ فوائده أنه نظام اجتماعي متكامل يتكفل بتنظيم أمور الناس في معاشهم ومعادهم، ومصدر هذا النظام هو الله تعالى خالق الإنسان الذي يعلم بما يصلحه ويفسده. (٦٩٦)

قد يقول أحدكم: بأن عقل الإنسان قادر على تشريع قوانين تحقق السعادة للبشرية؛ لأنّ العقل يميز ما بين الخير والشر، لذا لا حاجة لنا إلى الدين؟!

وبدورنا نسأل السائل: أيهما أكثر تمييزاً للحق من الباطل، عقل الإنسان، أم خالق العقل؟

بالتأكيد خالق العقل، نعم، يمكن للعقل، بما هم عقلاء، أن يحكموا على بعض الأفعال بأنّها: حسنة يجب أن تُعمل، كالعادل، أو أنّها: قبيحة يجب أن تُترك، كالظلم، ولكن العقل لوحده قاصر عن إدراك العلل الواقعية للأشياء، والإحاطة بكلّ تفاصيلها وجزئياتها إلّا خالق الأشياء؛ فهل يدرك العقل بأن الصلاة ضرورية لحد الوجوب، وأن صلاة الصبح لزم أن تكون ركعتين والظهر أربع؟، وأن الصوم واجب ضروري، وواجب أن يكون في شهر رمضان لا بغيره، وهكذا هل يدرك العقل وحده تفاصيل العبادات والمعاملات أو يعرف تفاصيل كل الحقوق حتى حقوق الجوارح؟

وحتى لو عرف أن بعض الأحكام حسنة وأخرى قبيحة، فهل يعرف إنها حسنة على نحو الوجوب لا الاستحباب أو الإباحة، أو أنها قبيحة على نحو الحرمة أو الكراهة؟

بالتأكيد العقل وحده -بدون الرجوع للأحكام الشرعية- قاصر عن ذلك، (لأن الإنسان خلق ومعه قوتان متنازعتان، قوة الشهوة التي تدفعه إلى الشر، فيتجاوز حدوده بانتهاك الحرمات والاعتداء على الغير، وقوة العقل التي تدعوه إلى الخير، فيسير في الطريق المستقيم معتدلاً في كل شيء، والعقل وحده لا يستطيع مقاومة الشهوة؛ لأن الدنيا مَلأى بالمغريات التي تثير في النفوس عوامل الشر، فيندفع الإنسان إلى تحقيق رغباته التي لا تقف عند حد^(٦٩٧)، بدليل أنكم ترون أن القوانين الوضعية فيها قوانين شجعت النساء على بالتعري وعقد علاقات غير شرعية وأجازت شرب الخمر، وفي السنوات الأخيرة وصل بهم الأمر بالحث على أن يغير الإنسان جنسه باسم الجندرية، وشجعت على الشذوذ الجنسي الذي تنزه عنه حتى الحيوان رغم أنها بلا عقل.

بعبارة أخرى: العقل السليم يريد أن يتبع الحق ويتترك الباطل، ولكن هل الحق والباطل دائماً واضحا للجميع؟، ألسنا في بعض الأحيان نجد أن الحق قد ألبس ثوب الباطل، والباطل قد ألبس ثوب الحق، وبسبب هذا الاشتباه صار بعض الناس يتترك الحق ويتبع الباطل، وصار عندهم المنكر معروفا والمعروف منكرا.

المبحث الثاني: تفسير الآية الكريمة

يقول السيد محمد الحسيني الشيرازي في تفسير الآية-محل البحث:- إن الدين هو الطريقة التي تؤمن السعادة للبشر دنيا وآخرة، إنه عند الله الإسلام، وإن كان عند غيره اليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها، فإن الله سبحانه لم يرسل إلا الإسلام، والإسلام هو دين الأنبياء جميعاً فإنه عبارة عن تسليم منهج الأعمال إلى الله الذي خلق الكون وهو أعلم بالنظام السماوي له الذي إن تبعه البشر، عاش سعيداً ومات حميداً، وقد ذكرنا سابقاً أن الاختلاف بين الأديان السماوية الواقعية في شرائط ومزايا لا في الجواهر والأصول. (٦٩٨) سنطرح في هذا المبحث أبرز الأسئلة المتعلقة بالآية الشريفة، وهي كالآتي:

السؤال الأول: ذكرتم في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ بأن الله لم يرسل إلا الدين الإسلامي، ولكن ذلك يتعارض مع وجود الديانات التي سبقت الدين الإسلامي، كاليهودية والنصرانية؟، أليس لكل نبي دين يختلف عن الآخر؟، فكيف نفسر أن الدين الوحيد لله هو الإسلام رغم وجود أديان سابقة عليه؟

الجواب: إن الدين الذي أرسله الله تعالى إلى جميع أنبيائه من لدن آدم إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو دين واحد وهو (الإسلام) بنص القرآن الكريم: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾** (٦٩٩)، وإليك هذه الحقائق:

أولاً: إن كل دين جاء به نبي من الأنبياء السابقين يتضمن في جوهره الدعوة الإسلامية التي دعا إليها محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فكلنا يعلم أن الإسلام يركز قبل كل شيء على أصول ثلاثة، وهي:

١- الإيمان بالله الواحد.

٢- الإيمان بالحياة الأبدية في عالم الآخرة، ونيل الجزاء على العمل إن خيراً

فخير وإن شراً فشر.

٣- الإيمان ببعثة الأنبياء والرسل المبعوثين من الله تعالى لهداية البشرية إلى حيث سعادتهم في الدنيا والآخرة. (٧٠٠)

وكلنا يعلم علم اليقين، ويؤمن إيماناً لا يشوبه ريب، بأن الله سبحانه ما أرسل نبياً من الأنبياء إلا بهذه الأصول، لاستحالة تبديلها أو تعديلها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. (٧٠١)

لذلك فالذي يدعو إلى تلك الأصول التي محورها التوحيد فهو يدعو لدين الله الوحيد وهو الإسلام، وقد ورد في بعض الروايات ما يؤيد هذا المعنى، ففي تفسير العياشي عن الصادق عندما تحدّث عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. قال: « هو توحيدهم لله عزّ وجلّ». (٧٠٢)

نعم، غاية ما في الأمر أن الشرائع متعددة، قال تبارك وتعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ (٧٠٣)، والشريعة هي قسم من الدين لا كله.

ولكي نفهم المطلب فلنقف على الفرق فيما بينهما:

(إن الدين هو مجموعة المعارف الإلهية النظرية والمناهج الأخلاقية القيميّة والآداب العامة والأحكام الشرعية العملية. أي أنها تشمل: ١- العقائد. ٢- الأخلاق. ٣- الأحكام.

في حين أن الشريعة هي الأحكام، حيث عرفها الفقهاء بأنها مجموعة الأحكام الشرعية التي سنّها الله تعالى لعباده والتي بُلّغت عن طريق الرسل) (٧٠٤)

وأن الفرق-الذي يهمننا-بين الشريعة والدين هو أن الشريعة قابلة للتغيير والتبديل والتطور حسب ما تقتضيه المصلحة نتيجة تغير الزمان والمكان، ولذا فأن الشريعة اللاحقة يمكن أن تنسخ قوانين الشريعة السابقة غير الصالحة

لتغيير الظروف، فقد يكون الحكم حلالاً في شريعة، حراماً في شريعة أخرى، وبالعكس.

بينما الدين فهو لا يقبل التغيير والتبديل أبداً، فإن ما يتضمنه يكون ثابتاً لا يقبل التغيير لأنه يمثل الجانب الاعتقادي. ولذا فالدين لا يُنسخ أبداً مهما طال الزمن، ولهذا فُطر الإنسان على الدين، ومعلوم أن من خصائص الفطرة الثبات وعدم التغيير. (٧٠٥)

إذن نفهم مما تقدم أنه ليس هنالك أديان متعددة، بل هو دين واحد أصوله واحدة، ولكن شرائعه متعددة، قال تبارك وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (٧٠٦)، انتهوا فالله لم يقل: (أَنْ أَقِيمُوا الأديان)، بل قال ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ لأنه دين واحد، (فاختلاف اليهودية والمسيحية وشريعة النبي محمد كلها تختلف في الشرائع وليس في الدين، الدين واحد يجمع الشرائع كلها، وهو المسمى بدين الإسلام، والفرق بينها هو فرق في الشريعة، وفرق في الأحكام سعةً وضيقةً، أن شريعة النبي نسخت كثيراً من أحكام الشرائع السابقة، واتسعت دائرة التشريع في هذه الشريعة المباركة، فالشرائع تختلف كمًّا وكيفًا، سعةً وضيقةً، لكن الدين الذي يجمع الشرائع كلها هو دينٌ واحدٌ، وهو المسمى بدين الإسلام). (٧٠٧)

ولذا قال الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا معاشر الأنبياء ديننا واحد الأنبياءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ، أبوهم وَاحِدٌ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى» (٧٠٨)

(ففي هذا الحديث يُخبرُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الأنبياءَ مِثْلُ أولادِ عِلَاتٍ، وَهُمْ الإخوةُ لِأَبٍ وَاحِدٍ مِنْ أُمَّهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، والمعنى: أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ فيما يَتَعَلَّقُ بالاعتقاديَّاتِ المُسَمَّاةِ بِأُصُولِ الدِّيَانَاتِ، كالتَّوْحِيدِ، والإيمانِ، مُخْتَلِفُونَ فيما يَتَعَلَّقُ بِالْعَمَلِيَّاتِ، وهي الفِقهِيَّاتُ، كما أَنَّ أولادَ العِلَاتِ أبوهم وَاحِدٌ وَإِنْ كانتِ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى. أي يدل هذا الحديث بأن أنبياءُ اللهِ عزَّ وجلَّ وَإِنْ اختلفت

شَرَائِعُهُمْ، إِلَّا إِنَّهُمْ جَمِيعَهُمْ إِخْوَةٌ فِي الدِّينِ، فِدِينُ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ) (٧٠٨)، ولأن جميع أديان الأنبياء تتضمن الدعوة الإسلامية في حقيقتها وجوهرها- فجميعها تشترك في أصول العقيدة والإيمان بالله والوحي والبعث- لذا وصف الله تعالى جميع الأنبياء بالإسلام في العديد من الآيات.

تعالوا معي الآن إلى الآيات القرآنية التي وصف بها الله أنبياءه بالإسلام من عهد نوح (عليه السلام) إلى عهد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

﴿ قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴾ (٧٠٩)

﴿ وَقَالَ تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٧١٠)

﴿ وَقَالَ عَنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٧١١)

﴿ وَقَالَ عَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ (٧١٢)

﴿ وَقَالَ عَنِ أُمَّةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٧١٣)

﴿ وَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدٌ ص بِأَنْ يَقُولَ عَنِ نَفْسِهِ وَ عَنِ أُمَّتِهِ: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٧١٥)

والآية التي هي أصرح من الكل، وتعم الأولين والآخرين من الأنبياء وتابعهم، وتابعي التابعين قوله تعالى في الآية ٥٨ من سورة آل عمران: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وإذا لم يقبل الله إلا من المسلمين، وقد قبل من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجميع النبيين، والتابعين لهم بإحسان فتكون النتيجة الحتمية أن النبيين من عهد آدم، حتى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين بهم كلهم من المسلمين.

وبذلك نعلم أن الحصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ هو حصر لجميع الأديان الحقّة بالإسلام، لا حصر للإسلام بدين. (٧١٦)

ثانياً: إن دين الله واحد-كما ذكرنا-رغم تنوع الشرائع، وأطلق الله على دينه لفظ (الإسلام)، ولما نقف على معنى (الإسلام) سنجد أنه الأنسب ليطلق على ما جاء به كل الأنبياء والرسل. فإن لفظ الإسلام يطلق على معانٍ، منها الخضوع والاستسلام، ومنها الخلوص والسلامة من الشوائب والأدران، وليس من شك أن كل دين جاء به نبي من أنبياء الله فهو خالص وسالم من الشوائب، وعلى هذا يصح أن نطلق اسم الإسلام على دين الأنبياء جميعاً. (٧١٧)

وتستخدم كلمة الإسلام بمعنى تسليم الأمر إلى الله تعالى.

قال الشيخ الطبرسي (ره) في تفسير مجمع البيان: المراد بالإسلام التسليم لله ولأوليائه وهو التصديق. (٧١٨)

وقال السيد الطباطبائي أنّ الإسلام يسمى إسلاماً، لما فيه من تسليم العبد لإرادة الله سبحانه. (٧١٩)

فالإسلام الواقعي هو عبارة عن التسليم لله "عز وجل"، ومعناه يذكره لنا الإمام أبو جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، قال: التسليم: الرضا، والقنوع بقضائه. (٧٢٠) وهذا الذي يريده الله من

مخلوقاته، بأن يسلموا أمرهم لله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٧٢١)، ومنهم البشر بمختلف شرائعهم كاليهودية والنصرانية والإسلامية.

باختصار: إن الإسلام دين البشرية من آدم إلى قيام الساعة، حيث استمرت الدعوة إلى الإسلام من بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أيدي اثني عشر إماماً منصوباً عليهم، وفي غياب الإمام الثاني عشر جاء دور العلماء والفقهاء ليمارسوا دورهم كورثة للأنبياء والأوصياء، إلى أن يظهر الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن عليه السلام.

السؤال الثاني: إذا كان الدين الإسلامي دين واحد، يشمل كل الشرائع السماوية، فلماذا اختص لفظ (الإسلام) في رسالة نبي الرحمة محمد ص، دون غيره من الأنبياء والرسول؟

بعبارة أخرى: لماذا لم نسمع أن الديانات السماوية السابقة كاليهودية والنصرانية، بأنها إسلامية؟

الجواب: يقول السيد عبد الأعلى السبزواري (قد): وقد اختص لفظ (الإسلام) بالغلبة^(٧٢٢) في رسالة خاتم النبيين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَشَرِيعَتِهِ التي تناسب جميع ما ذكر في معنى الإسلام، لا سيما بعد قول نبينا الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه»^(٧٢٣)، و عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من غش مسلماً فليس بمسلم»^(٧٢٤)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»^(٧٢٥)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من بات شبعانا و جاره جائع فليس بمسلم»^(٧٢٦)، فيكون من استعمال العام في الخاص، وهو كثير في اللغة والعرف.^(٧٢٧)

كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «اعتق رقبتى من النار»^(٧٢٨) وظاهر المسألة هنا أن العتق خاص بالرقبة. ولكن المعنى المقصود غير هذا؛ لأنه غير معقول أن يسأل (سبحانه) عتق الرقبة وترك باقي الجسد في النار! فالقصد بالرقبة

هنا (الإنسان) فاعتق رقبتى أي: اعتقني.^(٧٢٩) فيكون (رقبة) من استعمال العام في الخاص.

وهذا الأمر ينطبق على الدين، فرغم أن الدين ابتداءً ومنذ زمن نبي الله آدم وما بعده هو (الإسلام)، ولكن برز اسم (الإسلام) بشكل واضح وجلي في شريعة نبي الرحمة محمد ص في النصوص الشرعية لأن الدين اكتمل به.

المبحث الثالث: الشرائع السماوية، أسئلة وردود

في المبحث الثاني سنقف على سؤالين يتعلقان بالشرائع السماوية وهما كالآتي:

السؤال الأول: لماذا أرسل الله شرائع متعددة، ولم يرسل شريعة محمد ص منذ زمن آدم وما بعده؟

الجواب: تحتاج البشرية من أجل التكامل الى التدرج في الاحكام، ولما وصلت البشرية الى درجة من التكامل، استحقت الديانة الخاتمة التي هي أكمل الديانات التي تصلح الى نهاية البشرية بخلاف الديانات السابقة، فأن دورها كان وقتيا وفق المصلحة الوقتية التي تحتاجها البشرية.^(٧٣٠)

إن الدين الإسلامي اكتمل بالتدرج وليس دفعة واحدة، حيث بدأ بنبي الله آدم وما بعده من الأنبياء والرسل، واكتمل بالخاتم محمد ص، لأن (التدرج سنةٌ قديرَةٌ وحكمةٌ تشريعيةٌ. فمن مظاهر التدرج، هو التدرج في الخلق، فالله قادر أن يخلق كل شيء بكن فيكون، ولكن الحكمة تستلزم التدرج، كما هو حاصل مع خلق الكون في بضعة أيام، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٧٣١)، وفي خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ

لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٧٣٢﴾، وهكذا مع بقية الكائنات.

بل التدرج حصل حتى في شريعة الإسلام، كالتدرج في الأسلوب التربوي حسب المرحلة العمرية، فإذا لم يُرَاعَ التدرج فسيحصل خلل في تربية وصناعة الإنسان، مثال ذلك: روي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبعا، وألزمه نفسك سبع سنين، فان أفلح وإلا فإنه من لا خير فيه». (٧٣٣)

فالإمام الصادق عليه السلام يذكر بأن الخاصية التي تميز مرحلة الطفولة المبكرة-السبع سنوات الأولى-هي اللعب، بينما الخاصية التي تميز مرحلة الطفولة المتأخرة-السبع سنوات الثانية-هي التأديب، بينما الخاصية التي تميز مرحلة الشباب والفتوة -السبع سنوات الثالثة-هي الصداقة. فلو قدّمنا أو أخرنا في الأسلوب التربوي مع كل مرحلة فسيحدث خلل. مثال ذلك: لو تعاملنا مع الأطفال الصغار الذي هم دون الست سنوات بأسلوب التأديب بأن نفرض عليهم التعليم ونعاقبهم على تقصيرهم فسوف يستلزم منه الظلم؛ لأن مدارك الطفل في هذه المرحلة غير ناضجة ولم تصل لمرحلة التمييز والبلوغ حتى يتقبل التأديب.

وهكذا الحال مع التدرج في التشريع الإلهي، مراعاة للتدرج الذي مرّ به الجنس البشري منذ أن خلق الله آدم إلى زمن نبي الرحمة محمد ص.

(حيث بدأ الجنس البشري كما يبدأ الطفل، أقرب إلى البدائية والبساطة، ثم نما الجنس البشري، ونمت أفكاره، فوصل إلى ما يمكن أن نسميه مرحلة صبا البشرية، ثم نما مرة أخرى فوصل إلى مرحلة ما يمكن أن تعد مرحلة شباب البشرية، وكانت الرسائل تناسب كل طور من هذه الأطوار، الذي يستلزم تعدد الرسائل والرسائل بما يواكب التدرج البشري، وهذه الرسائل اتحدت بثوابت العقيدة وأمّهات الأخلاق، واختلفت في كثير من الأحكام والتكاليف.

وهذه المراحل الثلاثة ذكرها د. أحمد شلبي، وهي كالآتي:

١. مرحلة تمثل طفولة الجنس البشري، وهي تشمل المدة التي عبرتها البشرية من آدم إلى نوح، حتى إبراهيم عليهم جميعا السلام. حيث بدأ الجنس البشري كما يبدأ الطفل، أقرب إلى البدائية والبساطة، فكانت الدعوة محدودة بجماعة صغيرة، وكانت الدعوة عبارة عن التوحيد، وترك عبادة الأوثان والأصنام، دون تنظيمات وتفاصيل أخرى، وليس للدعوة في ذلك الحين كتب واضحة، وإنما هي بضع نصائح، وقد توجد بعض ألواح أو صحف عامة.

٢. مرحلة تمثل صبا الجنس البشري، إذ وجد أنبياء بني إسرائيل، وبخاصة موسى وعيسى عليهما السلام. حيث اتسع نطاق الدعوة فشملت قبيلة متشعبة ذات فروع كبني إسرائيل (الأسباط). ودخلت الدعوة بعض التفاصيل والتشريعات. وأصبح للدعوة كتاب هو التوراة أو الإنجيل، ولكن معانيهما هي الموحى بها وصاغها البشر في عبارات، وقد مسها التحريف والضياع.

٣. مرحلة تمثل شباب الجنس البشري، وهو عهد رسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. ولهذه المرحلة ملامح وخصائص تميز بها الدين الإسلامي نذكر منها الآتي:

✦ إتضحت وحدانية الله، وحطمت الأصنام، وفتح بالإسلام عهد جديد، لا يقبل الشرك في أية صورة من صوره.

✦ أصبحت الدعوة عامة لكل البشرية، وأصبح محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رسولا للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (٧٣٤)، والدليل على عموم رسالة محمد ص واضح تمام الوضوح؛ فقد عمت رسالة محمد الخافقين، وشملت الأبيض والأسود والأصفر، ولم يحس أحد من هؤلاء أن الدعوة لا تناسبه، ولا أنها مستوردة إليه من صنف آخر من الناس، بل أحس كل واحد أن الدعوة له، وأنها تنظم كيانه وحياته.

ختمت الرسائل بدعوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والدليل على ذلك واضح للغاية أيضا، فقد مرت القرون تلو القرون بعد محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولم يأت رسول بعد أن طلع على العالم محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

دعوة محمد ص لها كتاب **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** .^(٧٣٥)، فقد مرت السنون، وكثير أعداء الإسلام، ولكن الإسلام بقي دون تحريف أو شبهة تحريف، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ .^(٧٣٦)

ديانة شاملة لأموال الدين وأمور الدنيا، ذكرت لنا صفات الله سبحانه وتعالى، وصورت لنا جنته وناره، وأبرزت معالم الخير والشر، وراحت إلى أمور الدنيا تتحدى تفكير العالم بنظم رائعة في الميراث، والسياسة الاقتصادية، والبيع والشراء، والوصية والهبة، والسلم والحرب، وكل حاجات الإنسان^(٧٣٧)

ن فهم من ذلك أن البشرية لما بلغت مرحلة الشباب، حينها احتاجت الشريعة المحمدية إلى التغيير والتبديل والتطور حسب ما تقتضيه المصلحة نتيجة تغير الزمان والمكان، ولذا فإن الشريعة المحمدية قد نَسَخَتْ قوانين الشريعة السابقة غير الصالحة، وأضفت قوانين أخرى صالحة تنسجم مع كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، أي أن الدين الإسلامي اكتمل بالتشريع المحمدي الأصيل. روي عن الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (إِنْ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَجَمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَا وَضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ - قَالَ- فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ).^(٧٣٨)

بعبارة أخرى: (إن النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو صاحب الدين والرسالة، وأن جميع الرسل والأنبياء الذين سبقوه زمانا إنما كانوا يؤسسون لدينه ويبشرون برسالته، فهم أتباعه، وهو صلى الله عليه وآله متأخر عنهم

زمانا متقدم عليهم مرتبة ومقاما) (٧٣٩)

إن كون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ متأخر زمانه عن زمن الأنبياء السابقين لا يلزم منه جهل الأنبياء بمبعثه لأن الله تعالى أعلمهم بذلك وأمرهم بالتبشير به، بدليل أن كل نبي من الأنبياء مأمور بأن يبشر بقدم نبي الرحمة محمد ص، وأنه خاتم الأنبياء، لذا لما نستقري القرآن نجد بعض الآيات التي تثبت ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧٤٠)، بل إن الله تعالى أخذ العهد على جميع الأنبياء أنه لو بعث محمد وهم أحياء فعليهم أن يؤمنوا به وينصروه؛ كما قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٧٤١)

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء [قبل نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ] أن يخبروا أممهم بمبعثه و نعته، و يبشروهم به، و يأمرهم بتصديقه. (٧٤٢)

السؤال الثاني: لماذا لا يمكنني أن اختار شريعة من الشرائع السماوية غير الدين الإسلامي كالنصرانية؟

الجواب سنذكره في النقاط الآتية:

أولاً: إن الدليل العقلي يحكم بلزوم التمسك بالدين الإسلامي دون بقية الأديان؛ لأن الدين الإسلامي المحمدي الأصيل بلغ الكمال، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٧٤٣)

بمعنى أن العقل يقدّم الشيء الكامل والفاضل على الشيء الناقص

والمفضول، باعتبار تقديم الكامل عدل، والعدل حسن عقلاً، كما أنه يقبح عقلاً تقديم الناقص على الكامل مع وجود الكامل، باعتبار تقديم الناقص حينئذ ظلم، والظلم قبيح عقلاً، فتقديم الكامل من الحسن العقلي. ومن المعلوم أنّ الدين الإسلامي هو خاتم الأديان وآخرها، فلا بدّ وأن يكون أكملها وأجمعها لجميع جوانب حياة الإنسان وأبعاده.

إذن العقل يلزمنا أن نختار الدين الإسلامي باعتباره الدين الكامل، كما يحكم أنّ المتأخر ينسخ المتقدّم، وأنّ في الثاني ما في الأوّل وزيادة ولا عكس، فإنّ الاثنين يضمّ الواحد ولا عكس كما هو واضح، وبمثل هذه الملاكات العقلية يقدّم الدين الإسلامي على غيره عقلاً كما يقدّم نقلاً، فإنّ الشرائع السماوية الأخرى أخبرت بظهور الدين الإسلامي، وأنّه خاتم الشرائع، كما أنّ نبيّه خاتم الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. (٧٤٤)

ثانياً: إن الشرائع السابقة قد نُسخت بالشرعية المحمدية الخاتمة للأديان. وعلى فرض عدم نسخها فالشرائع السابقة قد حُرّفت. (أنّ الأنجيل الأربعة مجهولة الكاتب، كما هو الحال في أكثر أسفار الكتاب المقدس بعهديه، فهي لم تسلم من التحريف والزيادة والنقيصة، على مر الزمن). (٧٤٥)

ثالثاً: إن النبي يحتاج في صدق دعواه إلى المعجز، ولذا كل الأنبياء والرسل لديهم معاجز، ولكن أبرز معجزة تميّز بها النبي ص عن بقية الأنبياء السابقين هي كونها خالدة، وهي معجزة القرآن الكريم، حيث تحدّى الجميع بمعجزة الإتيان بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله.

فالإنسان الذي يريد أن يعتنق ديناً عن إيمان راسخ، من حقه أن يلتمس دليلاً على صدق الرسالة واستمرارها، وأنها ما زالت حيّة لم تمت ولم تنته، وهذا يتجسد فقط في الشريعة المحمدية-بالقرآن-دون الشرائع السابقة.

رابعاً: إن الشريعة الإسلامية لها خصائص غير موجودة في غيرها من الشرائع، فبالإضافة إلى كونها دعوة عامة، وشاملة-كما ذكرنا ذلك قبل قليل-

نذكر منها أيضاً:

❁ تنسجم مع متطلبات الإنسان وتلبي احتياجاته؛ لكونها شريعة كاملة، عن طريق التمسك بالقرآن الذي فيه ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٧٤٦)، وبموالاة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إني تارك فيكم الثقيلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». ^(٧٤٧)

❁ تنسجم مع فطرة الإنسان وعقله، فكثير من الأحكام يقرّها العقل والفطرة، كوجوب التستر والحجاب، وحرمة الزنا وشرب الخمر.

❁ تتسم بالوسطية والاعتدال، لا تشديد فيها، ولا إفراط ولا تفريط، ولا غلو فيه ولا جفاء، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٧٤٨)

مثال ذلك: اليهودية تميل إلى المادية الصرفة، والنصرانية تميل إلى الرهبانية، بخلاف الإسلام الذي جمع بين المادة والروح، روي عن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه قال: إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً وإعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. ^(٧٤٩)

المبحث الرابع: البعثة النبوية الشريفة

بعد أن انتهينا من بيان معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٧٥٠)، وأجبنا على أبرز الأسئلة التي تتبادر في أذهان بعضنا عن دين الله، لنختم المحاضرة بالردّ على السؤال الآتي:

ما هي أهم الأحداث في تاريخ الرسالة الإسلامية؟

الجواب: إن من أهم الأحداث في تاريخ الرسالة الإسلامية هو المبعث النبوي الشريف ونزول الوحي، الذي يمثل بداية التاريخ الإسلامي.

إن يوم المبعث النبوي هو التحول الذي أوجدته البعثة النبوية للبشرية من

حالة الى أخرى، أي من الظلمة الى النور، ومن الجهل الى العلم، ومن عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن، وهو طبق ما وصفه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في كلامه: (إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَ أَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ وَ أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَ فِي شَرِّ دَارٍ مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَ حَيَاتٍ صُمٍّ تَشْرَبُونَ الْكَدِيرَ وَ تَأْكُلُونَ الْجَشِيبَ وَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ تَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنُصُوبَةٌ وَ الْأَثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ) (٧٥١)

وبمثل هذا وصفتهم الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ في خطبتها الفدكية: (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُدَقَّةَ الشَّارِبِ، وَنُهْرَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلَانِ، وَمَوْطِئَ الْأَقْدَامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْوَرَقَ، أذِلَّةً خَاسِيَيْنَ، ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ﴾. فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ). (٧٥٢)

وعلينا في هذه المناسبة أن نشكر الله على هذه النعمة الإلهية الكبرى أولاً، نعمة بعثة الانبياء لبني البشر عموماً، وثانياً بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لنا وللعالمين خصوصاً، لأن الإنسان لا يستغني عن الهدى الإلهي في طريقه وسعيه نحو التكامل والسعادة، إذ يحتاج الى هداية الله وتوجيهه سبحانه وتعالى حتى يسير في طريق الكمال ويحقق السعادة لنفسه، ومع أن الله عز وجل منح الإنسان نعمة العقل حتى يستطيع عن طريقه تحقيق الكمال والوصول الى السعادة، إلا أننا ذكرنا ما مضمونه بأن عقل الإنسان يبقى محدوداً ضمن محيط مدركاته وما يمتلك من المعرفة والعلم، فوجود الأنبياء وبعثهم ضروري من أجل كمال الإنسان وسعادته، ولهذا بعث الله من الرسل مائة وأربعة وعشرين ألف نبي حسب ما تشير اليه بعض الروايات، كل هذا العدد الضخم من الأنبياء إنما جاء لهداية الانسان وإسعاده.

وقد شاء الله أن يختم النبوة بمن هو الأفضل والأكفأ والأقرب اليه وهو نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لكي تكون رسالته وشريعته خاتمة الرسالات والشرائع، نظراً لاستيعابها لغة الزمن، وهذا ما أثبتته الواقع، فمع كل هذا

التطور وتقدم الإنسان نحن نرى أن رسالة الإسلام ظلت غضة ومواكبة لحضارة الإنسان في كل زمان متى ما فهمت على النحو الصحيح. (٧٥٣)

لذا فان هذه الذكرى العطرة تستوجب منا الوقوف على سيرته المختصة بالمبعث النبوي والذي يرويه لنا الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الذي قال: « إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما ترك التجارة إلى الشام ، وتصدق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات كان يغد وكل يوم إلى حراء يصعبه وينظر من قُلبه إلى آثار رحمة الله ، وإلى أنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته ، وينظر إلى أكناف السماء وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي ، فيعتبر بتلك الآثار ، ويتذكر بتلك الآيات ، ويعبد الله حقَّ عبادته ، فلما استكمل أربعين سنة ونظر الله عزَّ وجلَّ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب وأجلها وأطوعها وأخشعها وأخضعها، أذن لأبواب السماء ففتحت ومحمد ينظر إليها ، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد ينظر إليهم ، وأمر بالرحمة فأنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد وعرته ، ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوق بالنور طاووس الملائكة هبط إليه وأخذ بضبعه (٧٥٤) وهزه وقال : يا محمد اقرأ ، قال : وما اقرأ ؟ قال يا محمد: ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٧٥٥) ثم أوحى إليه ما أوحى إليه ربه عزَّ وجلَّ ثم صعد إلى العلوّ ونزل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الجبل وقد غشيه من تعظيم جلال الله وورد عليه من كبير شأنه ما ركبه الحمى والنافض (٧٥٦) ..» (٧٥٧)

(إن الواجب الملقى اليوم على عاتقنا نحن المسلمون، هو الوعي بحقيقة البعثة وتوعية العالم كله بهذه الحقيقة. فالبعثة تعني النهوض والقيام من أجل إنقاذ الإنسان وإنقاذ البشرية، والبعثة تعني إقامة نظام الصلاح والسادات في أوساط المجتمع البشري.. هذا هو معنى البعثة. البعثة تعني طلب الخير لجميع البشرية. فإننا نطلب الخير لكل أبناء البشر، بل وندعو حتى لأولئك الرؤساء الفاسدين المفسدين في الأنظمة الطاغوتية بأن يقوم الله سبحانه

وتعالى إما بهدایتهم وإرجاعهم عن طريق الباطل، أو تقصير أعمارهم كي لا يغرقوا في الفساد أكثر، ولا يستوجبوا غضب الله أكثر^(٧٥٨). وأخيراً لكي نعطي الموضوع حقه مع هذا الاختصار، نشير إلى ما ذكره الإمام علي عليه السلام في هذا المجال حيث يبين لنا بعض تلك الإنجازات والتحوّلات التي شهدتها الأمة من خلال البعثة النبوية الشريفة، والتي تعدّ من مظاهر الرحمة في البعثة النبوية، ونختصرها بالآتي:

أولاً: على المستوى العقائدي

فقد نقلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد وذلك بعد أن كانوا في ضياعٍ وتيه وضلال وانحراف، وليس لهم علم للهداية.

يقول الإمام علي عليه السلام: «أرسله وأعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة»^(٧٥٩)

وقال عليه السلام: «بعثه حين لا علم قائم ولا منارٌ ساطع ولا منهجٌ واضح»^(٧٦٠)

ثانياً: على المستوى الاجتماعي

فالحاكم فيهم في تلك الفترة هو قيم الجاهلية وأحكامها كما يقول الإمام علي عليه السلام: «إنّ الله تعالى بعث محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ... وأنتم معشر العرب على شرّ دين وفي شرّ دار، منيخون بين حجارةٍ خُسن وحياتٍ صُم، تشربون الكدر وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم...»^(٧٦١)

لقد قضى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على كلّ هذه القيم الجاهلية، ونقلهم إلى مصاف الأمم الراقية، فامتلكوا الحضارة والعلم، وسادوا الأمم... ثمّ ما لبثوا أن وقعوا في الذلّة والمهانة عندما تركوا دينهم وإرثهم ورسالة نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

ثالثاً: على المستوى الإنساني

حيث كانت شعوب الجزيرة العربيّة تعيش حالة الغربة ويغمرها الظلام فجاء محمّد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ليكون كما قال الإمام علي عليه السّلام: «أضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفو الجافية» (٧٦٢)

وقال عليه السّلام: «ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجليّ والمنهاج البادي والكتاب الهادي حتّى دخل النّاس في الإسلام أفواجاً أفواجاً» (٧٦٣)

وكما كانت تلك اللّحظات التي بعث الله تعالى فيها رسوله الكريم رحمةً وهدايةً وخيراً ونوراً...فلتكن كلّ اللّحظات التي بعدها وإلى الآن وحتّى قيام الساعة فرصة ثمينة للاستفادة من شعاع النور الذي أظننا الله تعالى به ببركة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وآله المعصومين الأخيار. (٧٦٤)

فَسَلَامٌ عَلَىكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَوْمَ وُلِدْتَ وَيَوْمَ مِتَّ وَيَوْمَ تَبِعْتُ حَيًّا

هوسات عن المبعث الشريف (٧٦٥):

رسول الله كعد للناس يتحدث

بالصار وجراله ابليلة المبعث

اهو بالغار لجن عالخلگ ينحت

وبانت آياته ومكنونه

اسمع بالتعرف مضمونه



رسول الله إياه جبريل هاليله
 و گله (اقرأ) اوحى الباري يوحى له
 إلك قرآن يالأسمك وجب ترتيله
 قرآن الباري واسراره
 وعالعالم تزهي انواره



انبعث طه وطاهه للبشرحه
 سبحانه الذي اختاره ابحكمه
 شفيع الناس هوه وشافع الإمامه
 هادي ومحموده اوصافه
 بانته عالوادم الطافه



من آدم بدت اسراره وسجدنه
 و قبل كل الخلق الباري وحدنه
 وصحنه ابحيدر الكرار قائدنه
 وبالذر الشيعه ملتته
 للهادي طه وبن عمه

الهوامش

- (١) الأحزاب/٣٩.
- (٢) التبليغ الديني مفهومه مضمونه أساليبه-مركز المعارف للتأليف-ص ١١-١٢.
- (٣) الكافي-الشيخ الكليني-ج ١-ص ٢٣.
- (٤) مجلة الإصلاح الحسيني / warithanbia.com / أعداد المجلة/ العدد الثالث والعشرون/ مقالات العدد/ دور التبليغ في بناء المجتمع الفاضل-بقلم م. دعاء فاضل الربيعي.
- (٥) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٧ - ص ١٨٣.
- (٦) مصباح المهجد - الشيخ محمد بن الحسن الطوسي - ص ٧٣٤.
- (٧) دليلك إلى أشهر النور (شهر رجب) - إصدار جمعية المعارف الإسلامية الثقافية - ص ٩.
- (٨) زاد المعاد - ص ٥، نقلا عن مفاتيح الجنان - الشيخ عباس القمي - ص ١٩٤.
- (٩) فضائل الأشهر الثلاثة - الشيخ الصدوق - ص ٤٤.
- (١٠) الإقبال - السيد ابن طاووس - ج ٣ - ص ٢١٦.
- (١١) طه/٨٢.
- (١٢) تحف العقول - ابن شعبة الحراني - ص ٣٧٠.
- (١٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ناصر مكارم الشيرازي، الجزء ١٠ - ص ٤٨ - بتصرف.
- (١٤) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١٦ - ص ٧٩ - ٨٠، الباب ٨٩ من جهاد النفس، الحديث ١.
- (١٥) استفتاءات موقع مكتب المرجع، نقلا عن موقع السراج / alseraj.net / فتاوى سماحة السيد السيستاني / أحكام حول مسائل متنوعة / مسائل أخلاقية - بتصرف.
- (١٦) التحريم/٨.
- (١٧) أصول الكافي - الكليني - ج ٢ - ص ٤٣٢.
- (١٨) مكارم الأخلاق - الطبرسي - ص ٣١٤.
- (١٩) ق/١٨.

- (٢٠) يس/١٢.
- (٢١) الأنفال/١٦.
- (٢٢) الأعراف/١٥٦.
- (٢٣) الطارق/٩.
- (٢٤) من وحي القرآن السيد محمد حسين فضل الله - ج٢٤ - ص ١٨٥.
- (٢٥) خواطر حول الذنوب والأدعية-حيدر اليعقوبي-ص ١١-١٣.
- (٢٦) ورد في المصباح للكفعمي-ص ٢١: (واغفر لي مغفرة عزمًا جزمًا لا تغادر لي ذنبا ولا اكتسب بعدها محرماً)
- (٢٧) الزمر/٥٣.
- (٢٨) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج٧-ص ١٧٦.
- (٢٩) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٩٠ - ص ٢٨٤.
- (٣٠) بحار الأنوار-العلامة المجلسي -ج ٩٠ -ص ٢٨٣.
- (٣١) هود/٥٢.
- (٣٢) الأعراف/٩٦.
- (٣٣) بحار الأنوار-المجلسي-ج٧٥-ص ٢٠١.
- (٣٤) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢٢٧٤.
- (٣٥) مستدرک سفینه البحار-الشيخ الشاهرودي - ج ١٠ - ص ٢١٩.
- (٣٦) الوَتِينُ لغة: الشَّريان الرئيسُ الذي يغذِّي جسمَ الإنسان بالدمّ النقيِّ الخارج من القلب، وهذا كناية عن المصدر الرئيسي لحياة الشيطان الذي سينقطع بالاستغفار.
- (٣٧) أصول الكافي-الكليني-ج٤- ص ٦٢. نقلا عن مآب المذنبين، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية-بتصرف.
- (٣٨) الكافي-الكليني-ج٥- ص ١٤٠.
- (٣٩) البائقة هي الداهية والظلم والتعدي على الحد.
- (٤٠) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٦٥ - ص ١٩.

- (٤١) هود/ ٦١.
- (٤٢) ثواب الأعمال-الشيخ الصدوق-ص١٧١.
- (٤٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الشيرازي، ج ١٨، ص ٤٥٣-بتصرف.
- (٤٤) الفرقان/٧٠.
- (٤٥) التحريم/٨.
- (٤٦) أصول الكافي-الكليني-ج٢-ص٤٣٢.
- (٤٧) النساء/١١٠.
- (٤٨) أصول الكافي-الكليني-ج٢-ص٤٤٣.
- (٤٩) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٦ - ص٣٧.
- (٥٠) بحوث ومقالات من هدي الإسلام-الشيخ حسن عبد الله العجمي -ص ٩٠-٩٣-بتصرف.
- (٥١) الكافي -الكليني-ج٢- ص ٤٥١.
- (٥٢) وسائل الشيعة (الإسلامية) -الحر العاملي -ج ١١ -ص ٣٦٧.
- (٥٣) البقرة/ ١٧٣.
- (٥٤) مآب المذنبين، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية-ص٢٧٥.
- (٥٥) مكارم الأخلاق -الشيخ الطبرسي-ص ٣١٣.
- (٥٦) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٣٠٨.
- (٥٧) الذاريات/١٨.
- (٥٨) شبكة السراج في الطريق الى الله // alseraj.net/ تكرار التوبة والاستغفار-بقلم الشيخ حبيب الكاظمي.
- (٥٩) المؤمنون/٩٩-١٠٠.
- (٦٠) المؤمنون/١٠٠.
- (٦١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٢٦٩.
- (٦٢) مركز الإشعاع الإسلامي/ islam4u.com/ مقالات و دراسات / غفور رحيم لكنه

- شديد العقاب-للسيد سامي خضرا-بتصرف.
- (٦٣) الكافي-الكليني-ج ٢-ص ٦٨.
- (٦٤) كتاب محاسن الكلم، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية-ص٦٦.
- (٦٥) الموسوعة الإسلامية /mail.balagh/ علوم القرآن/ غفور رحيم.. لكته شديد العقاب-للسيد سامي خضرا-بتصرف.
- (٦٦) التبليغ في الكتاب والسنة -محمد الريشهري -ص١٣٠.
- (٦٧) ميزان الحكمة - الري شهري-ج٤ - ص ٢٩٦٥.
- (٦٨) التبليغ في الكتاب والسنة -محمد الريشهري -ص١٣٠.
- (٦٩) كتاب الأسوة الحسنة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- (٧٠) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ١ - ص ٨٢٦.
- (٧١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل -ناصر مكارم الشيرازي، الجزء ١٠ -ص ٤٨-بتصرف.
- (٧٢) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٢-ص ٣٠.
- (٧٣) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين-ج٢، ص ٤٩٣.
- (٧٤) الاختصاص-الشيخ المفيد-ص٦٢.
- (٧٥) ويكي شيعة، الموسوعة الإلكترونية لمدرسة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ / ar.wikishia.net /مقالة عن الإمام محمد الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ-بتصرف.
- (٧٦) موقع الدكتور جاسم المطوع/ مقالات/ الطلاق/ مجموعة نسائية تحرض على الطلاق-بتصرف.
- (٧٧) الشيخ الصفار/ saffar.org/ مقالات/ الخلافات الزوجية - قراءة اجتماعية في التصور الإسلامي.
- (٧٨) تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان -السيد محمد الحسيني الشيرازي-ج١، ص٤٧٧.
- (٧٩) تدخل الأهل في حياة الزوجين وأثر ذلك في حدوث الطلاق-أيمن صالح-ص٣.
- (٨٠) الحجرات/١٠.
- (٨١) النساء/٣٥.

- (٨٢) الكافي-الكليني- ج ٢- ص ٢٠٩.
- (٨٣) نهج البلاغة- شرح صبحي الصالح- ص ٤٢١.
- (٨٤) الكافي-الكليني- ج ٢- ص ٢٠٩.
- (٨٥) خَبَّبَ فلان - في اللغة:- أي خدعه وأفسده، غرَّر به، كحَّته على طلب الطلاق ونحو ذلك، وهو من الذنوب العظيمة.
- (٨٦) صحيح أبي داود- الرقم: ٢١٧٥.
- (٨٧) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٢ - ص ٣٠٦.
- (٨٨) رواه الترمذي، الرقم (٢٥٠٩).
- (٨٩) يس/١٢.
- (٩٠) المبسوط-الطوسي- ج ٥- ص ٢-٣.
- (٩١) م.ن.
- (٩٢) الشيخ الصفار/ saffar.org /مقالات/ الخلافات الزوجية - قراءة اجتماعية في التصور الإسلامي.
- (٩٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٧٠٢.
- (٩٤) أمالي الطوسي- ص ٩٩ / ١٥٢.
- (٩٥) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٧١ - ص ٣١٢.
- (٩٦) موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) -الشيخ هادي النجفي - ج ٦ - ص ٢٥١.
- (٩٧) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org /الاستفتاءات/ عقود الوالدين-سؤال رقم (٢).
- (٩٨) الشيخ الصفار/ saffar.org / دروس/ من فقه الأسرة/ التحكيم والإصلاح في الخلافات الزوجية.
- (٩٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الشيرازي - ج ٣ - ص ٢٢٥-٢٢٦-بتصرف.
- (١٠٠) مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org /الاستفتاءات/الأحكام الشرعية- سؤال رقم (٤).

- (١٠١) منهاج الصالحين-السيد علي السيستاني-ج ٣-مسألة ٣٦٦-ص ١١١.
- (١٠٢) الإسرائء/٨٤.
- (١٠٣) التوبة/٧٨.
- (١٠٤) موقع الدكتور جاسم المطوع/ مقالات/ الطلاق/ مجموعة نسائية تحرض على الطلاق-بتصرف.
- (١٠٥) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٢-ص ١٢١ / ٣٥ و ح ٣٦.
- (١٠٦) روي عن الإمام الباقر (عَلَيْهِ السَّلَامُ): من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله، لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه. ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٣ -ص ٢٣٧٢.
- (١٠٧) النساء/١٣٥.
- (١٠٨) مركز الإشعاع الإسلامي/ islam4u.com/ مقالات و دراسات/ العصبية والتعصب- بقلم الشيخ محمد توفيق المقداد.
- (١٠٩) موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) - الشيخ هادي النجفي - ج ٧ - ص ١٧٥.
- (١١٠) موقع حلوها/ hellooha.com/ تحديات الحياة الزوجية/ قضايا اسرية/ أسباب تدخل الأهل بين الزوجين وتأثير الأهل على الحياة الزوجية-بتصرف.
- (١١١) الحجرات/١٢.
- (١١٢) تدخل الأهل في حياة الزوجين وأثر ذلك في حدوث الطلاق-أيمن صالح-ص ١٢-١٣.
- (١١٣) مجلة فرحة-العدد (٥)- يناير/فبراير- ١٩٩٧ م-ص ٢٤.
- (١١٤) تدخل الأهل في حياة الزوجين وأثر ذلك في حدوث الطلاق-أيمن صالح-ص ١٤-١٥.
- (١١٥) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٢ -ص ٢٥٢.
- (١١٦) الكافي-الكليني- ج ٢-ص ٢١-ح ٧.
- (١١٧) كتاب زاد عاشوراء، إعداد معهد سيد الشهداء للمنبر الحسيني، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- (١١٨) حلوها/ hellooha.com/ تحديات الحياة الزوجية/ قضايا اسرية/ حل مشكلة تدخل الأهل بين الزوجين ووضع حدود لأهل الزوج والزوجة-بتصرف.
- (١١٩) الوطن/ alwatannews.net/ صفحات متخصصة/ مختصون: تدخلات الأهل

في الحياة الزوجية للأبناء خطوة نحو الطلاق-بتصرف.

(١٢٠) لا يشترط في علاج الشخصية الحساسة تعاطي الأدوية بل هناك العلاج المعرفي السلوكي، والشريعة اختصرت العلاج بالتخلص من سوء الظن بالآخرين، واستبداله بحسن الظن، روي عن قال أمير المؤمنين: عَلَيْهِ السَّلَامُ: اطلب لأخيك عذرا فإن لم تجد له عذرا فالتمس له عذرا. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٥ - الصفحة ٢٠٠.

(١٢١) فلقد روي عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: دخل علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وفاطمة جالسة عند القدر وأنا أنقي العدس قال: يا أبا الحسن، قلت: لبيك يا رسول الله قال: اسمع مني وما أقول إلا من أمر ربي ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة، صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين داود النبي ويعقوب وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ،... إلى نهاية الحديث. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٠١ - ص ١٣٢.

(١٢٢) تدخل الأهل في حياة الزوجين وأثر ذلك في حدوث الطلاق-أيمن صالح-ص ١٢-١٣.

(١٢٣) جاسم المطوع / drjasem.com / مقالات / فهم الرجل والمرأة / تدخل الأب في هذه الحالات خطأ؟-بتصرف.

(١٢٤) الشورى/٣٨.

(١٢٥) مركز الكفيل الأسري / family-guidance.net / تدخل الأهل بين الأزواج-من برنامج مساكن طيبة- الحلقة الثانية عشرة - الدورة البرامجية ٣٢.

(١٢٦) التغابن/٤.

(١٢٧) التوبة/١٠٥.

(١٢٨) كشف الغمة-أبو الحسن الإربلي- ج ٣ - ص ١٨٩ . ١٨٠، وبحار الأنوار-المجلسي- ج ٥٠ - ص ١٤٢.

(١٢٩) للشاعر أحمد الحداد.

(١٣٠) للشاعر سعيد الفتلاوي الطويرجاوي.

(١٣١) شعراء القطيف -ص ٢٥٩.

(١٣٢) مجمع مصائب أهل البيت ع-الشيخ الهنداوي-ج ٤-ص ٣٢٠-٣٢١.

(١٣٣) الأنفال / ٤١ .

(١٣٤) معالم المدرستين - السيد مرتضى العسكري ج ٢٢-ص ١٠٥.

(١٣٥) إن الخمس واجب في العناوين السبعة الآتية: ١. غنائم الحرب التي يغنمها المسلمون من أعدائهم في المعارك والحروب. ٢. المعادن وهي التي يستخرجها الإنسان من الأرض كالذهب والفضة وغيرهما. ٣. الكنز وهو المال المدفون في الأرض، سواءً في أرض الإسلام أو أرض الكفر. ٤. الغوص وهو كل ما يستخرجه الإنسان من البحر كاللؤلؤ والمرجان وغير ذلك. ٥. ما يفضل عن مصاريف الإنسان السنوية المعبر عنها شرعاً بـ«المؤنة». ٦. الأرض التي يشتريها الذمي من المسلم، والذمي هو الداخل في عهد مع المسلمين فيكون دمه وماله وعرضه حراماً على المسلمين كحرمة هذه الأمور بين المسلمين أنفسهم. ٧. المال الحلال المختلط بالحرام وله أسبابٌ عديدة كاللّجارة بالمحرّمات وغيرها وما شابه بشرط عدم العلم بمقدار الحرام ولا بتشخيصه من بين أمواله.

(١٣٦) المسائل المنتخبة - السيد السيستاني - الصفحة ٢٣٩.

(١٣٧) بحار الأنوار-المجلسي- ج ٩٣ -ص ١٨٥.

(١٣٨) موقع السراج/ alseraj.net / المحاضرات/ أهمية الخمس في الشريعة الإسلامية- من كلمات الشيخ حبيب الكاظمي-بتصرف.

(١٣٩) تفسير العياشي-العياشي-ج ١ -ص ١٠.

(١٤٠) التهذيب-الشيخ الطوسي-ج ٤: ١٢٥ | ٣٦١.

(١٤١) مركز الإشعاع الإسلامي للبحوث والدراسات الإسلامية/ islam4u.com/ مقالات ودراسات/ وجوب الخمس في الاسلام-بقلم الشيخ محمد توفيق المقداد.

(١٤٢) مجلة بقية الله/ ./baqiatollah.net/ السنة الثالثة عشر العدد ١٥٥ معارف إسلامية/ فلسفة تشريع الخمس في الإسلام-بقلم الشيخ حسن الهادي.

(١٤٣) مركز الإشعاع الإسلامي للبحوث والدراسات الإسلامية/ islam4u.com/ مقالات ودراسات/ وجوب الخمس في الاسلام-بقلم الشيخ محمد توفيق المقداد-بتصرف.

(١٤٤) الأنفال/ ٤١ .

(١٤٥) صحيح البخاري : ٤٤/٤.

(١٤٦) أنظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤: ٣٩٧، والمفردات للراغب الأصفهاني: ٣٦٦، وأقرب الموارد للعلامة الشرنوبني ٤: ٧٣، والمصباح المنير للغيومي ١: ٤٧، وتاج العروس للزبيدي ٩: ٧، ولسان العرب للفيروز آبادي ١٥: ٣٤٢.

(١٤٧) وقد خصصها فقهاء أهل السنة بغنائم دار الحرب من جهة الإجماع. وهذا الإجماع لا حجية له للنقاط الثانية والثالثة والرابعة التي تم ذكرها.

- (١٤٨) معالم المدرستين - السيد مرتضى العسكري- ج ٢ - ص ١٠٥ .
- (١٤٩) إن الركاز هو (المال الذي يوجد مدفوناً لا يعلم له مالك) لكن صاحبه قد كان ركزه في الأرض أي أثبته.
- (١٥٠) البخاري / كتاب الزكاة / ب ٦٦ , ح ١٤٩٩ - مسلم / ١٣٣٤/٣ , كتاب الحدود , ح ٤٥ - أبو داود / كتاب الخراج والإمارة , ح ٣٠٨٥ - الترمذي ٦٥٢/٣ , كتاب الأحكام , ب ٣٧ , ح ١٣٧٧ - ابن ماجة ٨٣٩/٢ , كتاب اللقطة , ب ٤ , ح ٩٢٥ - أحمد ٣١٤/١ - الدارمي ١٩٦/٢ - الحاكم ٦٥/٢ - الحميدي ٢٧٢/٢ , ح ٥٩٧ , وغيرها .
- (١٥١) البخاري - كتاب الزكاة - ب ٦٥ - ح ١٤٩٨ .
- (١٥٢) المجموع , شرح المهذب للنووي ٦٧/٦
- (١٥٣) المحلى ٢٣٨/٧ , م ٩٤٨ .
- (١٥٤) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ الخمس/ آية الخمس تشمل غير غنائم الحرب (٢)-بتصرف .
- (١٥٥) أنظر. الوسائل ٤٩٩/٩ الباب ٨ من أبواب ما يجب فيه الخمس .
- (١٥٦) روضة الواعظين- ج ١ - ص ٢١٠ .
- (١٥٧) موقع السراج/ alseraj.net / المحاضرات/ أهمية الخمس في الشريعة الإسلامية- من كلمات الشيخ حبيب الكاظمي .
- (١٥٨) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ الخمس/ آية الخمس تشمل غير غنائم الحرب (١)-بتصرف .
- (١٥٩) موقع الولاء الالكتروني/أسئلة وأجوبة/ لماذا لا يؤتي الشيعة الزكاة؟ - مقال الشيخ علي حسن، بتصرف .
- (١٦٠) الأنبياء/٧٣ .
- (١٦١) مريم/٥٥ .
- (١٦٢) مريم/١٣١ .
- (١٦٣) الأعلى/١٤-١٥ .
- (١٦٤) الليل/١٨ .
- (١٦٥) السجدة/٧ .

- (١٦٦) المؤمنون/٤.
- (١٦٧) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ الخمس / فرق في الأهمية بين تشريع الخمس وتشريع الزكاة-بتصرف.
- (١٦٨) التوبة/٢٤.
- (١٦٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩٣ - ص ١٩١ .
- (١٧٠) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ الخمس / أهمية الخمس وكيفية إخراجه.
- (١٧١) في المصادر : موالينا .
- (١٧٢) وسائل الشيعة -الحر العاملي -ج ٦- ص ٥٣٨ .
- (١٧٣) ميزان الحكمة -الريشهريّ -ج ٢- ص ١٥٩٥ .
- (١٧٤) تفسير الميزان -الطباطبائيّ -ج ٩- ص ٣٨٦ .
- (١٧٥) ميزان الحكمة -الريشهريّ -ج ٢- ص ١٥٩٥ .
- (١٧٦) بحار الأنوار-المجلسي -ج ٩٣- ص ١١٩ .
- (١٧٧) وسائل الشيعة-الحر العاملي- ج ٩ - ص ٥١٤ .
- (١٧٨) التوبة/١٠٣ .
- (١٧٩) الإسراء/١٠٠ .
- (١٨٠) ميزان الحكمة-الريشهري- ج ٣-ص٢٦٣٩ . وفي مسند أحمد- ج ٥- ص ١١٧ .
- (١٨١) العلق/٦-٧ .
- (١٨٢) مواعظ قرآنية ، سلسلة الدروس الثقافية ، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- (١٨٣) البقرة/٢٦١ .
- (١٨٤) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ١١٤٧ .
- (١٨٥) نهج البلاغة-ج ٤-ص ٥٧ .
- (١٨٦) موقع السراج/ alseraj.net / المحاضرات/ أهمية الخمس في الشريعة الإسلامية- من كلمات الشيخ حبيب الكاظمي-بتصرف.

- (١٨٧) راجع: منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ١ - ص ١٧٥.
- (١٨٨) مشكاة الأنوار: ٤٦.
- (١٨٩) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - ص ٣٠٠.
- (١٩٠) ميزان الحكمة- الريشهريّ - ج ٢-ص ١٥٩٤.
- (١٩١) الكافي- الكلينيّ -ج ٤-ص ٣.
- (١٩٢) وسائل الشيعة- الحر العاملي -ج ٩ -ص ٥٢٨ .
- (١٩٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٣ - ص ١٨٣.
- (١٩٤) الغيبة - الشيخ الطوسي - ج ١ - الصفحة ٣١٥.
- (١٩٥) المدثر/٤٤.
- (١٩٦) الفجر/١٨.
- (١٩٧) مركز الأبحاث العقائدية/aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ الخمس / أهمية الخمس وكيفية إخراجه-بتصرف.
- (١٩٨) هود/٦.
- (١٩٩) الأنعام/ ٩٤.
- (٢٠٠) مستدرك الوسائل- الميرزا النوري- ج ١٣-ص ٥٢.
- (٢٠١) الكافي- الشيخ الكليني- ج ٤-ص ٣٢.
- (٢٠٢) مواظ قرآنية ، سلسلة الدروس الثقافية ، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية-ص ٤٤-٤٧-بتصرف.
- (٢٠٣) معارج اليقين في أصول الدين - الشيخ محمد السبزواري -ص ٢٠٢.
- (٢٠٤) يس/٤٧.
- (٢٠٥) الملك/٢.
- (٢٠٦) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ -ص ١١٤٧.
- (٢٠٧) غرر الحكم: ١٠٧٣٨.
- (٢٠٨) الجاثية/٢٣.

- (٢٠٩) فترة العبادة المذكورة في بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٠ - ص ٢٤٠.
- (٢١٠) البحار - المجلسي - ٩٣ - ص ١٨٨ .
- (٢١١) النور/١٩ .
- (٢١٢) عقائد الإمامية - المظفر - ص ٤٦ .
- (٢١٣) الأصول الأصيلة - الفيض القاساني - ص ٩١ .
- (٢١٤) موقع سماحة السيد سعيد الحكيم / alhakeem.com / الاستفتاءات / الخمس / مستحق الخمس .
- (٢١٥) الحجرات/٦ .
- (٢١٦) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني / sistani.org / الاستفتاءات / الحقوق الشرعية - سؤال رقم (١٩)
- (٢١٧) منهاج الصالحين - السيد السيستاني - ج ١ - ص ٤١١ - مسألة ١٢٦٤ .
- (٢١٨) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني / sistani.org / الاستفتاءات / سهم الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - سؤال رقم (١٠)
- (٢١٩) البقرة/٢٦٨ .
- (٢٢٠) الاستعاذة - عبد الحسين دستغيب - ص ٥٢ - ٥٣ .
- (٢٢١) الوجيز في أحكام العبادات، وفق فتاوى سماحة السيد السيستاني - أحكام الخمس - مسألة ١٥٧ .
- (٢٢٢) مدرسة الفقاهة / eshia.ir / قائمة الدروس / الأستاذ الشيخ حسن الجواهري - بحث الفقه - ١٠ / ٣ / ٣٨ .
- (٢٢٣) وفاة الإمام علي الهادي عليه السلام - الدرزي - ص ٦٠ / ٦١ .
- (٢٢٤) المصدر السابق والصحيح هو المعتز لأن المعتمد ببيع له سنة ٢٥٦ هـ .
- (٢٢٥) مجمع مصائب أهل البيت Q - الشيخ الهنداوي - ج ٤ - ص ٣٢١ - ٣٢٤ .
- (٢٢٦) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٢ - ص ٦٢٢ .
- (٢٢٧) التحريم/٦ .
- (٢٢٨) حسين الخشن / al-khechin.com / مقالات / اجتماعية / الطفل والتربية الدينية .

- (٢٢٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٠١ - ص ٩٥.
- (٢٣٠) المحاسن - البرقي - ج ١ - ص ٢٩٣.
- (٢٣١) المرجئة فرقة منحرفة، فهم يهتمون بالعقيدة ولا يهتمون بالعمل ولا يعدّونه عنصراً مؤثراً في الحياة الأخروية، ويعيشون على أساس العفو والرجاء وبالجملة يهتمون بالرغب دون الرهب.
- (٢٣٢) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ - ص ٤٧.
- (٢٣٣) مكارم الأخلاق - الشيخ الطبرسي - ص ٢٢٢.
- (٢٣٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ - ص ٣٨٢.
- (٢٣٥) حسين الخشن / al-khechin.com / مقالات / اجتماعية / الطفل والتربية الدينية - بتصرف.
- (٢٣٦) نقلاً عن: العيسوي، عبد الرحمن، دراسات في تفسير السلوك الإنساني، ص ١٩٣.
- (٢٣٧) الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، عبد الأمير مهنا، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٢ - ١٩٩٢ م، ط ١، ج ٣، ص ٥.
- (٢٣٨) تربية الطفل - الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب - الكاتب مركز المعارف للتأليف والتحقيق - ص ٢٢٠ - ٢٢١.
- (٢٣٩) فيما يتعلق بربطه بالقرآن، فلقد تطرقنا لهذا الموضوع بشكل مفصل في الجزء الثامن من كتاب (لمسات تربوية) حيث يمكنكم تحميل الكتاب بأن تكتبوا في الباحث الإلكتروني: مؤلفات مياسة شبع - كتاب لمسات تربوية - الجزء الثامن.
- (٢٤٠) حقوق الطفل في الإسلام - حسين الخشن - ص ٩٥ - ٩٨.
- (٢٤١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦٢٢.
- (٢٤٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٨١، ح ٨٦٣.
- (٢٤٣) كنز العمال، ج ١٦، ص ٤٤٠.
- (٢٤٤) مجمع الزوائد، ج ٨، ص ١٥٩. والطبراني، المعجم الأوسط، ج ٥، ص ١٣٠.
- (٢٤٥) الشيخ إبراهيم الكفعمي، المصباح (جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية)، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ط ٣، ص ٢٥٤.
- (٢٤٦) فجاج: الطريق الواسع الواضح بين جبلين.

(٢٤٧) تربية الطفل - الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب-الكاتب مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص ٢٣٦-٢٣٧ .

(٢٤٨) زاد المبلغات-مياسة شبع-ج٢-المحاضرة الأولى(إثبات وجود الله)-ص٢٢.

(٢٤٩) يمكنكم تحميل الكتاب بأن تكتبوا في الباحث الالكتروني: مؤلفات مياسة شبع-كتاب لمسات تربوية- الجزء الأول.

(٢٥٠) إبراهيم/٣٢.

(٢٥١) البقرة/١١٥.

(٢٥٢) الشورى/١١.

(٢٥٣) التوحيد:١-٤.

(٢٥٤) الشورى/١١.

(٢٥٥) البقرة/١٥٥.

(٢٥٦) الأنعام/١٣٣.

(٢٥٧) إبراهيم/٣٩.

(٢٥٨) النحل/١٨.

(٢٥٩) البقرة/١٥٢.

(٢٦٠) إبراهيم/٧.

(٢٦١) الفرقان/٥٨.

(٢٦٢) البقرة/١٨٦.

(٢٦٣) كيف نجيب عن أسئلة الأطفال حول الله؟ - دار المعارف الإسلامية الثقافية- سلسلة الكتاب المسموع.

(٢٦٤) سوف نتطرق لهذا الموضوع في محاضرة منفصلة في الجزء الثاني عشر من كتاب(زاد المبلغات) بعنوان(التربية على حب محمد وآل محمد ع).

(٢٦٥) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٤ - ص ٣٦٨٠. وكنز العمال ١٦ : ٤٥٦ / ٤٥٤٠٩.

(٢٦٦) عوالي اللئالي-الاحسائي-ج١-ص١٦٥.

- (٢٦٧) العتبة العلوية المقدسة / imamali.net / قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ الديني / بروشور عن ظواهر في الميزان (عيد الحب) - بتصرف.
- (٢٦٨) آل عمران / ١١٠.
- (٢٦٩) آل عمران / ١٠٢.
- (٢٧٠) آل عمران / ٨٥.
- (٢٧١) بحار الأنوار - المجلسي - ج-٤٥ - ص ٣٠٣.
- (٢٧٢) يوسف / ٥.
- (٢٧٣) المنافقون / ٤.
- (٢٧٤) الممتحنة / ١.
- (٢٧٥) الحدائق الناضرة - البحراني - ج ١٨ - ص ٤٢٣.
- (٢٧٦) مركز الأبحاث العقائدية / qaed.com / الأسئلة العقائدية / أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) بالمعنى الخاص / مولاتهم عامل مهم لدخول الجنة - بتصرف.
- (٢٧٧) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار - الطبرسي - ص ١٢٥.
- (٢٧٨) الممتحنة / ٨.
- (٢٧٩) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني / sistani.org / الاستفتاءات / العلاقات مع غير المسلمين - سؤال رقم (٥).
- (٢٨٠) الكافرون / ١-٦.
- (٢٨١) النساء / ١٤٤.
- (٢٨٢) المائدة / ٥١.
- (٢٨٣) عيون الحكم و المواعظ - الواسطي - ص ١٥٠.
- (٢٨٤) عوالي اللئالي - الاحسائي - ج ١ - ص ١٦٥.
- (٢٨٥) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٤ - ص ٣٨٥.
- (٢٨٦) المكتب الشرعي لسماحة السيد السيستاني دام ظلّه - لبنان
- (٢٨٧) م.ن.

- (٢٨٨) كتاب وتزودوا في شهر الله، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية-ص٨٢- بتصرف.
- (٢٨٩) المجادلة/٢٢.
- (٢٩٠) مستدرك سفينة البحار - الشيخ علي النمازي الشاهرودي - ج ٩ - ص ٣٩١.
- (٢٩١) كتاب وتزودوا في شهر الله، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية-ص٨٥.
- (٢٩٢) صفات الشيعة-الشيخ الصدوق-ص ٩.
- (٢٩٣) الخصال-، الشيخ الصدوق-ص ٦٢٦.
- (٢٩٤) مركز الإشعاع الإسلامي / islam4u.com / المجيب / هل الحب المتبادل بين الجنسين حرام في الشريعة الإسلامية؟- الشيخ صالح الكرباسي.
- (٢٩٥) الشيخ حسين الخشن / al-khechin.com / مقالات / فكر ديني / الحب بين الحلال والحرام.
- (٢٩٦) الروم/٢١.
- (٢٩٧) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج٢-ص ٢٣-حديث : ٢٤٩٣٠ .
- (٢٩٨) مركز الإشعاع الإسلامي / islam4u.com / الإجابات اليومية / لماذا الحب حرام- الكاتب: الشيخ صالح الكرباسي.
- (٢٩٩) الشيخ حسين الخشن / al-khechin.com / مقالات / فكر ديني / الحب بين الحلال والحرام
- (٣٠٠) نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ١-ص ٢١١.
- (٣٠١) أمالي الصدوق-ص٣٩٦.
- (٣٠٢) البقرة/٢١٦.
- (٣٠٣) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني / sistani.org / الاستفتاءات / الإنترنت.
- (٣٠٤) م.ن.
- (٣٠٥) موقع المجيب-مؤسسة المصطفى للإرشاد / almojib.com / استفتاءات فقهية / التكلم مع الفتيات.
- (٣٠٦) ماذا تسأل الفتيات؟ -مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص١٦.

- (٣٠٧) م.ن -ص ١٩.
- (٣٠٨) ماذا تسأل الفتيات؟ -مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص ١٦.
- (٣٠٩) موقع مكتب سماحة السيد السيستاني/ sistani.org / الاستفتاءات/ الأعياد والمناسبات.
- (٣١٠) م.ن.
- (٣١١) م.ن.
- (٣١٢) بحار الأنوار- الشيخ محمد باقر المجلسي -ج ٤٤ -ص ٣٨٢.
- (٣١٣) نهج البلاغة: الحكمة: ١٤٧.
- (٣١٤) العتبة العلوية المقدسة/ imamali.net /قسم الشؤون الدينية/شعبة التبليغ الديني/ظواهر في الميزان (عيد الحب)-بتصرف.
- (٣١٥) ميزان الحكمة -محمد الريشهري -ج ١ -ص ٥٠٣.
- (٣١٦) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٢٧ -ص ٩٥.
- (٣١٧) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).
- (٣١٨) الكافي -الشيخ الكليني - ج ٥ - ص ٥٦٩.
- (٣١٩) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٥ - ص ١٤٤.
- (٣٢٠) آل عمران/ ٢٨.
- (٣٢١) عوالي اللئالي-الاحسائي-ج ١-ص ١٦٥.
- (٣٢٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٧.
- (٣٢٣) الروم/ ١٠.
- (٣٢٤) العتبة العلوية المقدسة/ imamali.net /قسم الشؤون الدينية/شعبة التبليغ الديني/ظواهر في الميزان (عيد الحب)-بتصرف.
- (٣٢٥) بحار الأنوار-المجلسي- ج ٥٠ -ص ١٥.
- (٣٢٦) بحار الأنوار-المجلسي- ج ٥٠ -ص ١٥.
- (٣٢٧) محطات من سيرة أهل البيت- سلسلة الدروس الثقافية- نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية-ص ١٠٣.

(٣٢٨) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٩٤. والفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي : ٢٠٨ .
٢٠٩. نقلا من كتاب الإمام محمد الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ سيرة وتاريخ-ص ١٤-١٥ .

(٣٢٩) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ-محمد
الريشهري - ج ٨ - ص ١١٩. وراجع خصائص الأئمة عليهم السلام-ص ٧٧.

(٣٣٠) السيرة الاجتماعية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)-السيد زهير
الاعرجي-ص ١٣٣-١٣٨-بتصرف.

(٣٣١) من مصادر أهل السنة: مستدرك الحاكم ٣ : ٤٨٣ ، وتلخيص للذهبي هامش
نفس الصفحة ، ونور الأبصار : ٧٦ ، والفصول المهمة لابن الصباغ : ١٢ ، وكفاية الطالب
للكنجي الشافعي : ٤٠٧-٤٠٦ ، ومناقب الإمام أمير المؤمنين لابن المغازلي : ٧. وأسد
الغابة ٤ : ٣١ ، والسيرة الحلبية ١ : ١٣٩ ، ونزهة المجالس ٢ : ٢٠٤ ، وتذكرة الخواص :
١٠ .

وأما من مصادر الشيعة: الأمالي للصدوق: ٨٠، المناقب لابن شهر آشوب، ١ / ٣٦٠،
ومصباح الزائر، والإقبال للسيد ابن طاووس، وكشف اليقين، وكشف الحق للعلامة الحلي،
وكشف الغمة للأربلي: ١٩، وكنز الفوائد للكراچي: ١١٥، وعمدة الطالب لجمال الدين
أحمد الداوري: ٤١، وإحقاق الحق للتستري، وتقويم المحسنين للفيض الكاشاني: ١٢،
وخصائص الأئمة للشريف الرضي، وأعلام الوري للطبرسي: ٢٩، والمصباح للكفعمي:
٥١٣، وغيرها من المصادر.

(٣٣٢) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٣٥-ص ٣٦-٣٨.

(٣٣٣) الصف/١٨.

(٣٣٤) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري الازدي «١٠٠هـ - ١٧٠هـ» اللغوي
والنحوي الشهير صاحب العروض، وصاحب أول وأقدم قاموس للغة العربية باسم كتاب
العين، توفي في حكم هارون العباسي.

(٣٣٥) تنقيح المقال ج ١ ص ٤٠٣، سيرة الأئمة الاثني عشر لهاشم الحسنی ج ١ ص ١٤٥ ،
الإمامة في ضوء الكتاب والسنة لمهدي السماوي ص ٢٢٩ ، وفي الكنى والألقاب للقمي ج ٢
ص ٣٤٩ نسبه للشافعي ، وفي المناقب للخوارزمي ص ٨: عن بعض الفضلاء ولم يسميه.

(٣٣٦) كشف الغطاء-الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء - ج ١-ص ٤.

(٣٣٧) آل عمران/٤٩.

(٣٣٨) وسائل الشيعة (الإسلامية) - الحر العاملي - ج ٢٠ - ص ١٠٧.

(٣٣٩) آل عمران/٣٧.

(٣٤٠) آل عمران/٦١.

(٣٤١) آل عمران/٦١.

(٣٤٢) شواهد التنزيل ١/ ٣٩٩.

(٣٤٣) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق إلى يوم القيامة) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٣٩ - الصفحة ٢٨٧.

(٣٤٤) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com/ الأسئلة العقائدية/ الإمام علي (عليه السلام) / نطقه (عليه السلام) عند ولادته-بتصرف.

(٣٤٥) بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢١ وروضة الواعظين ص ٨٣ والروضة في فضائل أمير المؤمنين لشاذان بن جبرئيل القمي ص ١١٠ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٥٨.

(٣٤٦) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٧٧ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٨٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ٢٦٤.

(٣٤٧) مريم/٢٩-٣٠.

(٣٤٨) مريم/١٢.

(٣٤٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٨ - الصفحة ٢٧٩.

(٣٥٠) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٤٨ والفضائل لابن شاذان ص ٣٤ وبحار الأنوار ج ١٥ ص ٣٥٣ وج ٥٠ ص ٨٢ والغدير ج ٧ ص ٣٨ وج ٩ ص ٢٨٧ عن مصادر كثيرة. نقلا عن موقع مركز الإشعاع الإسلامي/ islam4u.com/ مقالات ودراسات /وليد الكعبة-بقلم السيد جعفر مرتضى العاملي.

(٣٥١) الدحان/٣.

(٣٥٢) القدر/١.

(٣٥٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٦ ص ١١٩-١٢٠-بتصرف.

(٣٥٤) تَنخَنَحَ الرَّجُلُ : تَرَدَّدَ صَوْتُهُ فِي حَنَجْرَتِهِ.

(٣٥٥) المؤمنون/٢.

(٣٥٦) علل الشرائع: ١٣٤ / ١.

(٣٥٧) الكهف/٦٥.

- (٣٥٨) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ٢١٠٢.
- (٣٥٩) مركز الإشعاع الإسلامي / islam4u.com / مقالات ودراسات / وليد الكعبة-بقلم السيد جعفر مرتضى العاملي-بتصرف.
- (٣٦٠) فصلت/١٢.
- (٣٦١) النحل/٦٨.
- (٣٦٢) القصص/٧.
- (٣٦٣) مريم/٢٤-٢٥.
- (٣٦٤) الشوري/٢.
- (٣٦٥) بصائر الدرجات -محمد بن الحسن الصفار-ص٣٣٦. نقلا عن مركز الأبحاث العقائدية / aqaed.com / الأسئلة العقائدية / علم المعصوم / كيفية تلقي الأوامر الإلهية بالنسبة للأئمة (عليهم السلام). بتصرف.
- (٣٦٦) راجع : كنز العمال ج ١١ ص ٥٨٠ وج ١٢ ص ٦٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٥ وصحيح البخاري ج ٤ ص ٢٠٠ ومسند أحمد ج ٦ ص ٥٥.
- (٣٦٧) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٧٧ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٨٣ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ٢٦٤.
- (٣٦٨) مركز الإشعاع الإسلامي / islam4u.com / مقالات ودراسات / وليد الكعبة-بقلم السيد جعفر مرتضى العاملي.
- (٣٦٩) مصنفات الشيخ المفيد (ره) / ٧٤ / رسالة تفضيل أمير المؤمنين (عليه السلام) -مناظرات في العقائد والأحكام للشيخ عبد الله الحسن ١/٢٦٧.
- (٣٧٠) مركز الأبحاث العقائدية / aqaed.com / الأسئلة العقائدية / الإمام علي (عليه السلام) // هل حب المخالف لعلي (عليه السلام) ينجيه يوم القيامة؟!.
- (٣٧١) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٢ - ص ٢٩.
- (٣٧٢) كان خطيباً فصيحاً بليغاً شجاعاً، قال فيه الامام علي عليه السلام: « هذا الخطيب الشحشح»، لذا قال فيه ابن أبي الحديد المعتزلي: هذه الكلمة قالها علي عليه السلام لصعصعة بن صوحان العبدي رحمه الله، وكفى صعصعة بها فخراً أن يكون مثل علي عليه السلام يُثني عليه بالمهارة و فصاحة اللسان، وكان صعصعة من أفصح الناس.
- (٣٧٣) الضحى/١١.

(٣٧٤) نوح/٢٦.

(٣٧٥) البقرة/٢٦٠.

(٣٧٦) القصص/٣٣.

(٣٧٧) مريم/٢٣.

(٣٧٨) نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية: ١ / ٢٧ ، وأحمد الرحماني الهمداني في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من حبه عنوان الصحيفة: ٣٧٠-٣٧١ ، والحاج حسين الشاكري في من سيرة الإمام علي: ١٣٠-١٣٢ .

(٣٧٩) الأسرار العلوية-فاضل المسعودي-ص٦٧.

(٣٨٠) كشف الغمة للأربلي: ج١، ص ٦٢٦١؛ الجواهر السنوية للحر العاملي - ص ٢٣٠؛ شرح إحقاق الحق للمرعشي: ج٥، ص ٥٧.

(٣٨١) مريم/٢٣.

(٣٨٢) نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية ج ١ ص ٢٧ / أحمد الرحماني الهمداني في الإمام علي ص ٣٧٠-٣٧١ / التبريزي الأنصاري في اللمعة البيضاء ص ٢٢٠-٢٢١ / الحاج حسين الشاكري في، من سيرة الإمام علي ص ١٣٠-١٣٢ / هاشم آل قطيط في ومن الحوار اكتشفت الحقيقة ص ١١١-١١٣ / أبو القاسم في الإمام علي من المهد إلى الحد ص ٥٤٩.

(٣٨٣) السيرة الاجتماعية للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)- السيد زهير الاعرجي-ص ١٣٣-١٣٨.

(٣٨٤) البقرة/١٢٧.

(٣٨٥) عيون أخبار الرضا(ع) -الشيخ الصدوق-ج١- ص ٦٨.

(٣٨٦) كشف الغمة: ١٩.

(٣٨٧) إبراهيم/٣٧.

(٣٨٨) موقع إمام حسين / imamhussain-lib.blogspot.com / الامام علي بن ابي طالب / السيد نبيل الحسيني /اهل البيت» فضائل / أوجه التشابه والتطابق بين الكعبة المشرفة وبين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ودليله القرآني-بقلم السيد نبيل الحسيني.

(٣٨٩) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٢٧ - ص ١٤٥.

(٣٩٠) الإسراء/ ٨٤.

- (٣٩١) مشارق أنوار اليقين - الحافظ رجب البرسي - ص ٢٣.
- (٣٩٢) الأسرار العلوية - فاضل المسعودي - ص ٧٤-٧٥.
- (٣٩٣) كشف اليقين : ١٩ ، بشارة المصطفى : ٧-٨ . والارشاد : ٢/٧٠٥ الامالي : ٨٠-٨١
وعلل الشرائع ومعاني الاخبار مثله.
- (٣٩٤) الأسرار العلوية - فاضل المسعودي - ص ٧٦-٧٧.
- (٣٩٥) الأسرار العلوية - فاضل المسعودي - ص ٧٧-٧٨.
- (٣٩٦) تاريخ دمشق : ٤٢ / ٣٥٦ / ٨٩٤٨ ، المناقب لابن المغازلي : ١٠٧ / ١٤٩ ، كفاية الطالب : ١٦١ ؛ المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٢٠٢.
- (٣٩٧) المستدرک، الحاكم النيسابوري، ج٣، ص ١٤٢، المعجم الكبير، الطبراني، ج ١٠، ص ٧٧.
- (٣٩٨) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٣ - ص ٢٦٣.
- (٣٩٩) آل عمران / ٩٧.
- (٤٠٠) نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ١ - ص ١٨٩.
- (٤٠١) خصائص الأئمة (عليهم السلام) : ٧٣ عن أبي موسى الضهير البجلي عن أبي الحسن عن أبيه عن الإمام علي (عليهم السلام).
- (٤٠٢) البقرة / ١٤٣.
- (٤٠٣) آل عمران / ١٤٤.
- (٤٠٤) أهل البيت في الكتاب والسنة - محمد الريشهري - ص ٤٠٠.
- (٤٠٥) آل عمران / ٩٧.
- (٤٠٦) البحار - المجلسي - ج ٢٩ - ص ١٧٠ - ١٧١.
- (٤٠٧) موقع إمام حسين / imamhussain-lib.blogspot.com / الامام علي بن ابي طالب / السيد نبيل الحسيني / اهل البيت « فضائل / أوجه التشابه والتطابق بين الكعبة المشرفة وبين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ودليله القرآني - بقلم السيد نبيل الحسيني.
- (٤٠٨) أسد الغابة : ٤ / ١٠٦ / ٣٧٨٩ ؛ المسترشد : ٣٨٧ / ١٣٠ كلاهما عن الصنابحي، المناقب لابن شهر آشوب : ٣ / ٢٤٢ عن سلمة بن كهيل وفيهما صدره وكلها عن الإمام

علي (عليه السلام).

(٤٠٩) مسند أحمد بن حنبل: ج٤، ص٩٦. مسند أبي داود: ص٢٥٩.

(٤١٠) كفاية الأثر للخزاز القمي: ص٢٩٦

(٤١١) موقع إمام حسين / imamhussain-lib.blogspot.com / الامام علي بن ابي طالب / السيد نبيل الحسيني / اهل البيت « فضائل / أوجه التشابه والتطابق بين الكعبة المشرفة وبين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ودليله القرآني-بقلم السيد نبيل الحسيني.

(٤١٢) مجمع البيان في تفسير القرآن-الفضل بن الحسن الطبرسي-، الجزء ٢ - ص ٧٩٧.

(٤١٣) الأعراف/٩٦.

(٤١٤) للشاعر سعد مطلوب الخفاجي

(٤١٥) البقرة/١٥٥-١٥٧.

(٤١٦) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٧٩ -ص١٢٥.

(٤١٧) مواهب الرحمن في تفسير القرآن- السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري - ج ٢ -ص١٦٨.

(٤١٨) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٧٩ - ص١٢٥-١٢٦.

(٤١٩) البقرة/١٥٦-١٥٧.

(٤٢٠) البقرة/١٥٦.

(٤٢١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ -ص١٥٦٣.

(٤٢٢) الكافي-الكليني- ج٢- ص ٩٠.

(٤٢٣) أخلاق أهل البيت- محمد مهدي الصدر-ص١٠١.

(٤٢٤) جامع السعادات-الزرقاني- ج ٢-ص٤٣٨.

(٤٢٥) بحار الأنوار- العلامة المجلسي - ج ٦٨ -ص ٧٦.

(٤٢٦) البقرة/١٥٥-١٥٧.

(٤٢٧) الأنعام/٩٠.

- (٤٢٨) بحار الأنوار-المجلسي- ج٦٧- ص ٢٠٤.
- (٤٢٩) تفسير العياشي : ٢ | ٦٦ ح ٧٦.
- (٤٣٠) جواهر التاريخ - الشيخ علي الكوراني العاملي - ج ١ - ص ١٢٧.
- (٤٣١) نظم درر السمطين : ١٩١ .
- (٤٣٢) أعلام الهداية- المجمع العالمي لأهل البيت (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - ج ٣- ص ٩٣-٩٧.
- (٤٣٣) النمل/١٦.
- (٤٣٤) مريم/٥-٦.
- (٤٣٥) الأنفال/٧٥.
- (٤٣٦) النساء/١١.
- (٤٣٧) البقرة/١٨٠.
- (٤٣٨) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ١ - ص ١٣٢.
- (٤٣٩) روضة الواعظين- الفتال النيشابوري - ج ١- ص ١٥١.
- (٤٤٠) زاد المبلغات- مياسة شبع- ج٣- المحاضرة العاشرة.
- (٤٤١) تفاصيل الرواية في بحار الأنوار - العلامة المجلسي- ج ٤٣ - ص ١٧٧.
- (٤٤٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٩ - ص ١٢٥-١٢٦.
- (٤٤٣) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٥٧٥.
- (٤٤٤) فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، ج ٢ - ص ٦.
- (٤٤٥) كتاب من فقه الزهراء- السيد محمد الحسيني الشيرازي - ج ١- ٦٢- بتصرف.
- (٤٤٦) الأحقاف/١٥.
- (٤٤٧) كامل الزيارات- ابن قولويه القمي- ص ١٢٢.
- (٤٤٨) اللهوف- ابن طاووس- ص ٤٠.
- (٤٤٩) أهل البيت في الكتاب والسنة - محمد الريشهري - ص ٢٩١.
- (٤٥٠) آل عمران/٤٧.

- (٤٥١) معالي السبطين ٢: ٢٧.
- (٤٥٢) الصافات/١٠٣-١٠٥.
- (٤٥٣) بحار الأنوار-الشيخ المجلسي-ج ٤٥ -ص ١١٥.
- (٤٥٤) الروم/٧.
- (٤٥٥) التكاثر/٥-٦.
- (٤٥٦) الأمالي - الشيخ الصدوق -ص ٢١٧
- (٤٥٧) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٨ - ص ٥٧.
- (٤٥٨) الكافي -الكليبي-ج ٢ -ص ٣٠٧ - ح ٤ .
- (٤٥٩) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٥-ص ١١٤.
- (٤٦٠) زينب الكبرى- الشيخ جعفر النقدي -ص ٥٩.
- (٤٦١) البرّة: الرداء.
- (٤٦٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٥ -ص ٦٠.
- (٤٦٣) حصلنا على هذه المعلومات القيّمة من دائرة المعارف الحسينية : قسم معجم الأنصار الهاشميين : الجزء الثالث ، لآية الله المُحقّق الشيخ محمد صادق الكرباسي (حفظه الله) .
- (٤٦٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٥ -ص ٨٢.
- (٤٦٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ -ص ٢٢١.
- (٤٦٦) الذاريات/٥٦.
- (٤٦٧) زينب الكبرى (عليها السلام) من المهد إلى اللحد- السيد محمّد كاظم القزويني - ص ١٩٩-٢٠٢.
- (٤٦٨) وقعة الطف: ٢٧٢ - ٢٧٤، عن تاريخ الطبري، ٤٦٦:٥ وإرشاد المفيد ١٢٤:٢.
- (٤٦٩) إن أقدم مصدر معتبر لأخبار السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ هو ما كتبه السيد علي بن الحسين العبيدي الأعرجي، المنسوب إلى عبيد الله الأعرج بن الحسين بن علي بن الحسين السجاد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الذي أدرك الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ وروى عنه، له كتاب: أنساب آل أبي طالب، ولذا عَرَّفَ بالعبيدي النسابة، وله رسالة أخبار الزينبيات، جمع فيه الأخبار التي تخصّ المسمّيات بزینب المنتسبات إلى بني هاشم منهن، أو من غيرهنّ، ومنهنّ السيدة

زينب بنت فاطمة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهي رسالة مطبوعة ومنشورة.

(٤٧٠) السيدة زينب وأخبار الزينبيات للعبدي-ص ١٩-٢٢، نشر حسن محمد قاسم ط المنيرية، بمصر.

(٤٧١) المشهور أن قبر السيدة زينب (ع) يقع في جنوب العاصمة السورية دمشق حيث سميت المنطقة التي دفنت فيها بـ «الزينبية» كما ذكر ذلك الشيخ القرشي، في كتابة السيدة زينب بطلة التاريخ، ص ٩٨ - ٣٠٣.

(٤٧٢) السيدة زينب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في تاريخ الإسلام - بتصرف.

(٤٧٣) للشاعر أبو علي الركابي

(٤٧٤) آل عمران/١٨٥.

(٤٧٥) ق/٢٢.

(٤٧٦) معاني الأخبار-الشيخ الصدوق-ص ٢٨٩.

(٤٧٧) إرشاد الأذهان إلي تفسير القرآن -محمد السبزواري -ج ١-ص ٧٩.

(٤٧٨) النساء/٧٨.

(٤٧٩) لقمان/٣٤.

(٤٨٠) الدفتر الأول للمثنوي، طبع ميرخاني، ص ٦.

(٤٨١) ميزان الحكمة -محمد الريشهري -ج ٤ -ص ٢٩٥٦.

(٤٨٢) الكافي-الكليني-ج ٢-ص ٤٥٨ -ح ٢٠.

(٤٨٣) شرح نهج البلاغة -ابن أبي الحديد-ج ١٨ -ص ٢٢١.

(٤٨٤) مريم/٨٤.

(٤٨٥) نور الثقلين، الجزء ٣، ص ٥٧.

(٤٨٦) الخصال-الشيخ الصدوق-ص ٦١٦ / ١٠.

(٤٨٧) الفجر/١٤.

(٤٨٨) لقمان/١٦.

(٤٨٩) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ١-ص ٥٨٩.

- (٤٩٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢-ص ٣٠٥.
- (٤٩١) مستدرک الوسائل-الميرزا النوري- ج ٢- ص ١٠٤.
- (٤٩٢) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٢٢ -ص ٥٢٢-٥٢٣.
- (٤٩٣) آل عمران/١٨٥.
- (٤٩٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٣ - ص ٣٤.
- (٤٩٥) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٢ -ص ١٥٦٠.
- (٤٩٦) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٤ -ص ٢٩٧٦.
- (٤٩٧) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٧٩ -ص ١٣٩-١٤٠.
- (٤٩٨) رواه أبو داود في سننه ٣ : ١٨٣ / ٣٠٩٠.
- (٤٩٩) مسكن الفؤاد-الشهيد الثاني -ص ٣٠.
- (٥٠٠) ثواب الأعمال-الشيخ الصدوق-ص ٢٣٣ / ٤.
- (٥٠١) الكافي-الكليني-ج ٢-ص ٩٠.
- (٥٠٢) المؤمنون/١٠٢-١٠٣.
- (٥٠٣) رواه السيوطي في الجامع الصغير : ١ : ٤٠٦ / ٢٦٥٢.
- (٥٠٤) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٨٢ -ص ١١٨.
- (٥٠٥) مسكن الفؤاد-الشهيد الثاني -ص ٣٦.
- (٥٠٦) هذا المعنى ذكرته نصوص عديدة منها ما روي في بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٧-ص ١١١.
- (٥٠٧) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٨٢ -ص ١١٩ / ١٢ عن مسكن الفؤاد.
- (٥٠٨) مواهب الرحمن في تفسير القرآن-السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري - ج ٢ -ص ١٦٨.
- (٥٠٩) نهج البلاغة-محمد عبده-ج ٣ -ص ٢٢٤.
- (٥١٠) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٢ -ص ١٥٦٢.
- (٥١١) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٣ - الصفحة ٢٧٠٥.

- (٥١٢) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٣-ص ٢٧٠٥.
- (٥١٣) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ٣-ص ٢٥٧٩.
- (٥١٤) غرر الحكم: ٤٤، ٤٦٩٠.
- (٥١٥) النحل/٢٥.
- (٥١٦) الكافي-الكليني-ج ٢-ص ٩٠ / ٩.
- (٥١٧) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٨١-ص ٦١.
- (٥١٨) السجدة/٢٤.
- (٥١٩) تأريخ دمشق: ٥١ / ٥٢ ، عيون الأخبار لابن قتيبة : ٣ / ٥٧.
- (٥٢٠) المؤمنون/١١٥.
- (٥٢١) الملك / ٢.
- (٥٢٢) زاد المبلغات-مياسة شبع-ج ١-المحاضرة الثالثة عشر (فلسفة الابتلاء) المبحث الثاني-ص ٢٢٤.
- (٥٢٣) للتوضيح راجعوا المصدر السابق.
- (٥٢٤) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٧٩-ص ١٣٩.
- (٥٢٥) شبكة الألوكة / alukah.net / آفاق الشريعة / مقالات شرعية / النصائح والمواعظ / الحكمة من الموت-بتصرف.
- (٥٢٦) الكافي-الكليني-ج ٣-ص ٢٦٠.
- (٥٢٧) الكافي-الكليني-ج ٢-ص ٥٨.
- (٥٢٨) المؤمنون / ٩٩ - ١٠٠.
- (٥٢٩) أخلاق أهل البيت ع-محمد مهدي الصدر-ص ١٠١.
- (٥٣٠) جامع السعادات-الزراقي-ج ٢-ص ٤٣٨.
- (٥٣١) أمالي الطوسي-ج ٢-ص ٩٩.
- (٥٣٢) ميزان الحكمة -محمد الريشهري - ج ١-ص ٣٠٧.
- (٥٣٣) كلمة (الزوج) بغير تاء التأنيث تطلق على الذكر والأنثى.

- (٥٣٤) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٤٤-ص ٢٩٧.
- (٥٣٥) النحل/٣٢.
- (٥٣٦) معرفة المعاد-السيد محمد الحسيني الطهراني -ج ١-ص ٢١٦-٢١٨.
- (٥٣٧) صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم: ١٩٢٩.
- (٥٣٨) آل عمران/١٧٨.
- (٥٣٩) الكافي -الشيخ الكليني - ج ٢ -ص ٤٤٤.
- (٥٤٠) هود/١١٣.
- (٥٤١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٣٥٨).
- (٥٤٢) الأنفال/٢٣.
- (٥٤٣) الأنعام/٢٨.
- (٥٤٤) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٦-ص ١٢٨.
- (٥٤٥) وسائل الشيعة (آل البيت) -الحر العاملي - ج ٢ - ص ٤٤٩.
- (٥٤٦) الكهف/٧٤.
- (٥٤٧) الكهف/٨٠-٨١.
- (٥٤٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل -الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٩ -ص ٣٣٠-بتصرف.
- (٥٤٩) تفسير نور الثقلين-ج ٣-ص ٢٨٦-٢٨٧.
- (٥٥٠) البقرة/١٥٥.
- (٥٥١) مركز آل البيت العالمي للمعلومات / قم المقدسة، نقلا عن موقع الشيعة/ أسئلة وأجوبة/ الرد على الأسئلة العقائدية/ ما الحكمة من موت الأطفال-بتصرف.
- (٥٥٢) بحار الأنوار -العلامة المجلسي - ج ٥ - ص ٢٩٣.
- (٥٥٣) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج ١ -ص ٤٥ - أبواب مقدّمة العبادات ب ٤ ح ١١ .
- (٥٥٤) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٥-ص ٢٩٣.
- (٥٥٥) مناقب آل أبي طالب-ابن شهرآشوب-ج ٤-ص ٨١.

- (٥٥٦) سنن ابن ماجة ١/ ٥٠٦ ح ١٥٨٩.
- (٥٥٧) أخرجه في مشكاة المصابيح-ص ٥٧٢ قال: رواها البيهقي في دلائل النبوة وأحمد. ورواه ابن حجر في الإصابة ج ١-ص ٣٤، وابن عبد البر في الاستيعاب بذيله-ص ٣٨٠ وهكذا ابن الأثير في أسد الغابة ج ٢-ص ٢٢.
- (٥٥٨) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الشيخ الهنداوي-ج ٢-ص ١٢٥-١٢٦.
- (٥٥٩) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الشيخ الهنداوي-ج ٢-ص ١٠٩.
- (٥٦٠) شعراء القطيف-الشيخ علي بن منصور ص ٢٣٦.
- (٥٦١) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الشيخ الهنداوي-ج ٤-ص ٢٤٣-٢٤٤.
- (٥٦٢) المؤمنون/ ١١٥.
- (٥٦٣) الذاريات/ ٥٦
- (٥٦٤) الأعراف/ ٦٩.
- (٥٦٥) الملك/ ٢.
- (٥٦٦) الزمر/ ٦٨.
- (٥٦٧) مفاهيم القرآن-جعفر سبحاني-ج ٨-ص ٢٠٧.
- (٥٦٨) الزمر/ ٦٨.
- (٥٦٩) ويكي شيعية. الموسوعة الإلكترونية لمدرسة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ / ar.wikishia.net /مقالة عن النفخ في الصور.
- (٥٧٠) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٨-ص ١٤٣.
- (٥٧١) المعارج/ ٤.
- (٥٧٢) النحل/ ٨٩.
- (٥٧٣) الزمر/ ٦٩.
- (٥٧٤) المائدة/ ١١٧.
- (٥٧٥) الشهادة والإشهاد في إمامة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الدكتور حميد النجدي-ص ٦-٧. بتصريف.
- (٥٧٦) الإلهيات-آية الله جعفر سبحاني-ج ٤-ص ٢٥٥.

- (٥٧٧) الكهف/٥٤.
- (٥٧٨) النحل/١١١.
- (٥٧٩) النساء/١٦٥.
- (٥٨٠) آل عمران/١٤٠.
- (٥٨١) الشهادة والإشهاد في إمامة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-الدكتور حميد النجدي-ص٩.
- (٥٨٢) الحج/١٧.
- (٥٨٣) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ١٩-ص٢٣٦.
- (٥٨٤) النساء / ٤١.
- (٥٨٥) النساء / ١٥٩.
- (٥٨٦) الأحزاب / ٤٥.
- (٥٨٧) الرُّخْف/٨٦.
- (٥٨٨) يونس/٣٦.
- (٥٨٩) الجن/٢٦.
- (٥٩٠) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٢٦ -ص١١٠.
- (٥٩١) أصول الكافي-الكليني-ج ١-ص١٧١- باب عرض الأعمال.
- (٥٩٢) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٢٣ - الصفحة ٣٥١.
- (٥٩٣) البقرة/١٤٣.
- (٥٩٤) تفسير البرهان : ١ / ١٦٠.
- (٥٩٥) الشهادة والإشهاد-عبد الحميد النجدي-ص١٠-بتصرف.
- (٥٩٦) المائدة / ٢٠.
- (٥٩٧) البقرة / ١٤٣.
- (٥٩٨) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٧ -ص٣٤.
- (٥٩٩) ق/١٨.
- (٦٠٠) ق/٢١.

- (٦٠١) الإلهيات-آية الله جعفر السبحاني - ج٤-ص٢٥٣.
- (٦٠٢) الزلزلة/٤-٥.
- (٦٠٣) مجمع البيان -الشيخ الطبرسي- ج ٩ - ١٠ - / ٧٩٨، تفسير سورة الزلزلة.
- (٦٠٤) الإسراء / ٤٤.
- (٦٠٥) مفاهيم القرآن-جعفر سبحاني-ج٨-ص٢٦٠-٢٧٣.
- (٦٠٦) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ١٠-ص٤٨.
- (٦٠٧) نقلاً عن تفسير الميزان-السيد الطباطبائي-ج٦-ص٣٣٧.
- (٦٠٨) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج٤-ص٤٧٤-الحديث ٩.
- (٦٠٩) الإلهيات-آية الله جعفر السبحاني - ج٤-ص٢٥٣.
- (٦١٠) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٧ - ص ٣٢٥ ، الباب ١٦.
- (٦١١) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٧ - ص ٣١٦.
- (٦١٢) الفرقان / ٣٠.
- (٦١٣) بحار الأنوار-المجلسي-ج ٧ - ص ٣١٩ . ٣٢٠ ، الباب ١٦.
- (٦١٤) مفاهيم القرآن-جعفر سبحاني-ج٨-ص٢٦٠-٢٧٣.
- (٦١٥) الأحزاب/٣٣.
- (٦١٦) الزخرف/٨٠.
- (٦١٧) الإسراء / ١٣.
- (٦١٨) الإسراء / ١٤.
- (٦١٩) الكهف/٤٩.
- (٦٢٠) مفاهيم القرآن-جعفر سبحاني-ج٨-ص٢٦٠-٢٧٣.
- (٦٢١) الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل -ج٤-ص٢٥٥.
- (٦٢٢) الزلزلة/٦.
- (٦٢٣) آل عمران/٣٠.
- (٦٢٤) ثواب الأعمال -الشيخ الصدوق -ص١٥٠.

- (٦٢٥) الإلهيات-آية الله جعفر السبحاني - ج٤-ص٢٥٣.
- (٦٢٦) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٧٦ - الصفحة ٢٥٣.
- (٦٢٧) فصلت/٢٠-٢١.
- (٦٢٨) من وحي القرآن السيد محمد حسين فضل الله - ج ٢٠ - ص ١٠٨.
- (٦٢٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الشيرازي - ج١٥- ص ٣٨٠.
- (٦٣٠) مجمع البيان في تفسير القرآن الفضل بن الحسن الطبرسي-ج٩-ص١٢.
- (٦٣١) الأمثل-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٥ - ص٣٨٥.
- (٦٣٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٥ - ص ٣٨٣.
- (٦٣٣) الميزان في تفسير القرآن السيد محمد حسين الطباطبائي ، الجزء ١٧ - ص٣٧٨.
- (٦٣٤) المعاد-العلامة الطباطبائي مدّ ظلّه، نسخة خطيّة-ص٤٥.
- (٦٣٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الشيرازي - ج١٥- ص ٣٨٣.
- (٦٣٦) يس/٦٥.
- (٦٣٧) النور/٢٤.
- (٦٣٨) الإسراء/٣٦.
- (٦٣٩) الكشكول-الشيخ البهائي-ج١-ص٤١.
- (٦٤٠) الميزان في تفسير القرآن-السيد محمد حسين الطباطبائي -ج١٧-ص٣٧٨.
- (٦٤١) موقع النجاح/annajah.net/مهارات النجاح/التعليم والتدريب/تدريب الذاكرة/ذاكرة الجسد: حقيقة علمية!!
- (٦٤٢) ق/٢٢.
- (٦٤٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الشيرازي - ج١٥- ص ٣٨٢.
- (٦٤٤) معرفة المعاد-الطهراني ج٠-٧-ص١٢٢.
- (٦٤٥) يس/٦٥.
- (٦٤٦) يوسف/٢٣.
- (٦٤٧) الأنعام/١٤٩.

- (٦٤٨) الأمالي - الشيخ الطوسي - ص ٩.
- (٦٤٩) ثواب الأعمال - الشيخ الصدوق - ص ١٧١.
- (٦٥٠) تفسير الأئمة - ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٨ - ص ٤٠٧.
- (٦٥١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - ص ٣٤٤.
- (٦٥٢) فصلت / ٢٠.
- (٦٥٣) المجادلة / ١٨.
- (٦٥٤) تفسير القمي علي بن إبراهيم القمي - ج ٢ - ص ٢٦٤.
- (٦٥٥) مجالس الأئمة المعصومين (ع) - سلسلة مجالس العترة، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية - ص ٨٣.
- (٦٥٦) مجمع مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - الشيخ الهنداوي - ج ٤ - ص ٢٤٩.
- (٦٥٧) مشكاة الأنوار - علي الطبرسي - ص ٢٩٣.
- (٦٥٨) النحل / ٧٠.
- (٦٥٩) مجمع البيان في تفسير القرآن - الشيخ الطبرسي - ج ٦ - ص ٥٧٤.
- (٦٦٠) تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب - محمد المشهدي - ج ٧ - ص ٢٣٦.
- (٦٦١) الميزان في تفسير القرآن - السيد الطباطبائي - ج ١٢ - ص ٢٩٤.
- (٦٦٢) ننكسه في الخلق، دراسة لوضع المسن - الدكتور علي الجابري - بتصرف.
- (٦٦٣) الرحمن / ٦٠.
- (٦٦٤) عمون / ammonnews.net / كتاب عمون / هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ - منال القطاونه.
- (٦٦٥) وسائل الشيعة - الحر العاملي - ج ١١ - ص ٤٩ - باب ١٩ - ح ١.
- (٦٦٦) من كتابات الأستاذ بدر الشبيب.
- (٦٦٧) مشكاة الأنوار - علي الطبرسي - ص ٢٩٣.
- (٦٦٨) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ١١٦٤.
- (٦٦٩) شرح رسالة الحقوق - الإمام زين العابدين (ع) - ص ٥٦٥.

- (٦٧٠) الكافي-الشيخ الكليني - ج ٢ -ص٦٥٨.
- (٦٧١) مجموعة من المؤلفين، فتاوى الشبكة الإسلامية-ج٨-ص ١٨٤٦-بتصرف.
- (٦٧٢) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٧٢-ص١٣٧.
- (٦٧٣) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٢-ص ٦٥٨.
- (٦٧٤) تفسير القمي -علي بن إبراهيم القمي - ج ٢ -ص٦٤.
- (٦٧٥) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٧٢-ص١٣٧.
- (٦٧٦) الكافي-الكليني-ج ٢ -ص ١٦٥.
- (٦٧٧) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٧٢ -ص١٣٨-بتصرف.
- (٦٧٨) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٢-ص ٦٥٨.
- (٦٧٩) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٧٢ -ص ١٣٧.
- (٦٨٠) الكافي-الكليني-ج ٢ -ص ١٦٥.
- (٦٨١) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٧٥ -ص١٤٨.
- (٦٨٢) الكافي-الشيخ الكليني-ج ٢-ص ٦٥٨.
- (٦٨٣) ننكسه في الخلق، دراسة لوضع المسن-الدكتور علي الجابري.
- (٦٨٤) موقع النجاح/ annajah.net / الأسرة والمجتمع/ أساليب وطرق التعامل مع كبار السن وكيفية تطبيقها-بتصرف.
- (٦٨٥) شرح نهج البلاغة ١٤ / ٦٤.
- (٦٨٦) العقائد الإسلامية/ research.rafed.net/عقائد الشيعة/ أبو طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ناصر الإسلام-بقلم الشيخ مهدي المجاهد.
- (٦٨٧) أوائل المقالات: ٤٥.
- (٦٨٨) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج ٣٥ / ١١٤ -ح ٥١.
- (٦٨٩) المصدر السابق ح ٤٤.
- (٦٩٠) كنز الفوائد: ٨٠.
- (٦٩١) الكافي-الكليني-ج ١ / ٤٤٨ ح ٢٨.

- (٦٩٢) موقع الشيعة/ ar.al-shia.org / النبي وأهل بيته/ ذوو النبي وأهل بيته/ حياتهم وسيرتهم/ أبو طالب بن عبد المطلب- بقلم: محمد أمين نجف.
- (٦٩٣) بحار الأنوار- العلامة المجلسي- ج٣٥- ص١٢٥.
- (٦٩٤) مجالس شهر رمضان-- الليلة السابعة (مؤمن قريش أبو طالب) - ص٩٣-٩٥. نقلًا عن موقع معهد الإمام الحسين ع/ mahad-alhassanain.com/ المكتبة القصائد والأشعار الحسينية/ المناسبات/ مجالس شهر رمضان/ المجلس السابع لليلة السابعة من شهر رمضان.
- (٦٩٥) شبكة الألوكة/ alukah.net / آفاق الشريعة / مقالات شرعية / النصائح والمواعظ/ حاجة الإنسان إلى الدين (١)
- (٦٩٦) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com / الأسئلة العقائدية/ الإسلام والمسلمون/ ما هي فائدة الدين الاسلامي وهل فشل الدين تاريخيا؟
- (٦٩٧) المدخل إلى الشريعة الإسلامية- الشيخ عباس كاشف الغطاء- ص٨.
- (٦٩٨) تقريب القرآن إلى الأذهان- السيد محمد الحسيني الشيرازي- ج١- ص٣٢٤.
- (٦٩٩) آل عمران/ ١٩.
- (٧٠٠) دروس في العقيدة الاسلامية. إعداد ونشر جمعية المعارف الاسلامية الثقافية- ص٩-١٢.
- (٧٠١) الأنبياء/ ٢٥.
- (٧٠٢) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٣ - ص ٣٣٨.
- (٧٠٣) المائدة/ ٤٨.
- (٧٠٤) المدخل إلى الشريعة- الشيخ عباس كاشف الغطاء- ص٢٤.
- (٧٠٥) الشيخ محمد القطيفي/ alobaidan.org / أحدث المقالات/ تمثيل الدين والشريعة- بتصرف.
- (٧٠٦) الشورى/ ١٣.
- (٧٠٧) موقع السيد منير الخباز/ almoneer.org/ المكتبة الصوتية والمرئية / متفرقات/ مفهوم الإسلام في القرآن والسنة- بتصرف.
- (٧٠٨) صحيح البخاري- الصفحة أو الرقم: ٣٤٤٢.

(٧٠٩) القرآن الكريم/ surahquran.com/أحاديث نبوية/ مجموع الفتاوى/ حديث إنا
معاشر الأنبياء ديننا واحد والأنبياء أخوة لعلات وإن أولى الناس-بتصرف.

(٧١٠) يونس/٧١-٧٢.

(٧١١) البقرة/ ١٣٠ - ١٣٢.

(٧١٢) يوسف/ ١٠١.

(٧١٣) يونس/ ٨٤.

(٧١٤) المائدة/ ١١١.

(٧١٥) آل عمران/٨٤.

(٧١٦) تفسير الكاشف-محمد جواد مغنية-ج٢- ص٢٦-٢٩-بتصرف.

(٧١٧) تفسير الكاشف-محمد جواد مغنية-ج٢- ص٢٦-٢٩.

(٧١٨) مجمع البيان في تفسير القرآن-الشيخ الطبرسي-ج٢-ص٧١٧.

(٧١٩) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦-ص ١٩٣.

(٧٢٠) بحار الأنوار-العلامة المجلسي - ج ٢ - ص ٢٠٤.

(٧٢١) آل عمران/٨٣.

(٧٢٢) الغلبة هو أن يكون أصل اللفظ في الأصل عاما ثم يصير بكثرة الاستعمال في أحدها
أشهر بحيث لا نحتاج ذلك الشيء بخلاف ما كان واقعا عليه. مثال ذلك: كلمة خليل
الرحمن تطلق لإبراهيم والبيت للكعبة، والكتاب للقرآن، والرحمن لله تعالى، والأسود
للحية.

(٧٢٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ١٣٤٠.

(٧٢٤) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٧ - ص ٢٨٣.

(٧٢٥) كنز العمال ٤: ٦١ ح ٩٥١٩.

(٧٢٦) سفينة البحار، مادة جار. نقلا عن العلاقات الزوجية مشاكل وحلول-السيد علي
أكبر الحسيني - ص ٢٩١.٢٨٨.

(٧٢٧) مواهب الرحمن في تفسير القرآن-السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري - ج ٥
-ص١٤١.

- (٧٢٨) دلائل الإعجاز-ص٢٢٨.
- (٧٢٩) بلاغة الخطاب الحسيني-آمنة حسين يوسف-ص٢٢٨.
- (٧٣٠) مركز الأبحاث العقائدية/ aqaed.com / الأسئلة العقائدية/ الإسلام والمسلمون/ لماذا الإسلام آخر الديانات.
- (٧٣١) الأعراف/٥٤.
- (٧٣٢) المؤمنون/١٤.
- (٧٣٣) مكارم الأخلاق-الشيخ الطبرسي-ص ٢٥٥.
- (٧٣٤) سبأ/ ٢٨.
- (٧٣٥) فصلت/٤٢.
- (٧٣٦) الحجر/٩.
- (٧٣٧) مقارنة الأديان-الإسلام-دكتور أحمد شلبي-ص ١٩-٢٦-بتصرف.
- (٧٣٨) فضائل أهل البيت (ع) -محمد حياة الأنصاري-ص ٣٢.
- (٧٣٩) صحيفة بشائر الإلكترونية/ bshaer.net/أقلام/لماذا آباء النبي على دين إبراهيم؟! -علي محمد عساكر.
- (٧٤٠) الصف/ ٦.
- (٧٤١) آل عمران/٨١.
- (٧٤٢) مجمع البيان-الشيخ الطبرسي-ج ٢ -ص ٤٦٨- في بيان معنى قوله تعالى: « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ».
- (٧٤٣) المائدة/٣.
- (٧٤٤) الأسئلة العقائدية/ aqaed.com /الإسلام/ الدليل العقلي على صحّة الإسلام.
- (٧٤٥) دروس في الأديان-سلسلة المعارف الإسلامية , نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- (٧٤٦) النحل/٨٩.
- (٧٤٧) وسائل الشيعة (آل البيت) -الحر العاملي - ج ٢٧ -ص٣٤.
- (٧٤٨) البقرة/ ١٤٣.

- (٧٤٩) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٧ - ص ٧٦.
- (٧٥٠) آل عمران/١٩.
- (٧٥١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٢ - خطبة (٢٦).
- (٧٥٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٩ - ص ٢٢٤.
- (٧٥٣) موقع الشيخ حسن الصفار / saffar.me / خطب الجمعة النصية/المبعث النبوي ونهضة الأمة-بتصرف.
- (٧٥٤) الضبع. وسط العضد. وفي المصدر: بضبعيه. وهزه: حركه.
- (٧٥٥) العلق/١-٥.
- (٧٥٦) النافض: حمى الرعدة.
- (٧٥٧) التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عَلَيْهِ السَّلَام - ص ٦٠ - ٦١.
- (٧٥٨) شبكة المعارف الإسلامية/ almaaref.org / حديث العلماء والقادة/ الإمام الخامنئي / ثقافة إسلامية/ ثقافة إسلامية/ المبعث النبوي: انتشار للبشرية من حمية الجاهلية إلى قيم الفطرة الإنسانية.
- (٧٥٩) نهج البلاغة، الخطبة: ١١.
- (٧٦٠) م.ن. الخطبة: ١٩٦.
- (٧٦١) م.ن. الخطبة: ٢٦.
- (٧٦٢) م. ن. الخطبة: ١٥١.
- (٧٦٣) م. ن. الخطبة: ١٩٥.
- (٧٦٤) شبكة المعارف الإسلامية/ almaaref.org / سيرة وتاريخ/ النبي وأهل البيت/ النبي الأكرم محمد (ص)/ البعثة النبوية-المبعث النبوي: نور ورحمة وهداية.
- (٧٦٥) للشاعر سالم الإحسائي

عَلَّمَ الْقُرْآنَ
عَلَّمَ الْقُرْآنَ
عَلَّمَ الْقُرْآنَ

